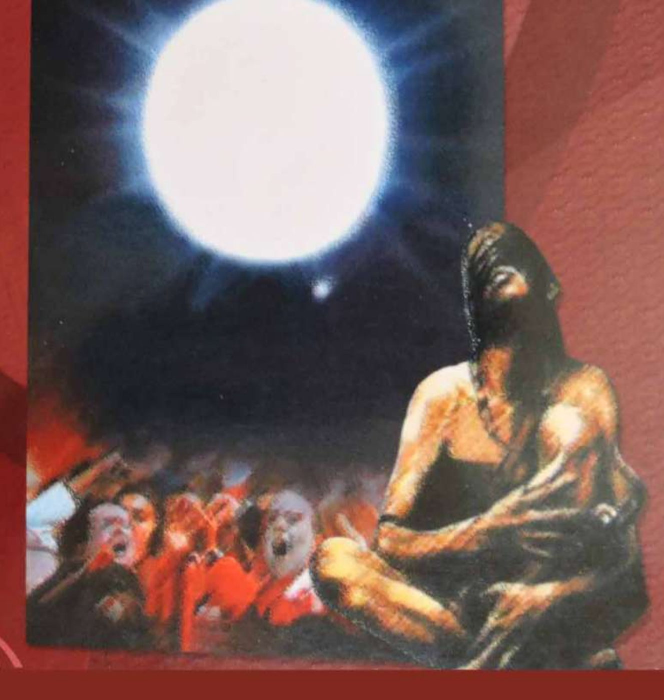
المؤلـف : د. ريمون موري
المترجم : موريس جـلال

الحيـــاة مابعد المـــوات



الرائي

الحيـاة ما بعد الموات

الحياة ما بعد الموت / دراسة فيما وراء الطبيعة
تأليف: د. ريمون موري - ترجمة: موريس جلال
الطبعة الأولى: ٢٠٠٨
حقوق الطبع محفوظة لدار الرائي



الناشر:
دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر
العنوان الرئيسي:
دمشق - قدسيا - الأحداث
شارع صلاح الدين الأيوبي
جادة الجلاء (٣) - بناء رقم ١٠.
هاتف: ٣٢٢٣٩٨٨٨٨-١١-٩٦٣+
فاكس: ٣٢٢٣٩٨٨٨٢-١١-٩٦٣+
بريد الكتروني: al-raee@mail.sy

تصميم الغلاف والإشراف الفني: الفنان فاروق بنوح
التنضيد الضوئي: دار الرائي / دمشق - سورية.
التنفيذ الطباعي: مطابع طربين

المؤلف: د. ريمون موري

المترجم: موريـــس جـــلال

الحيـاة ما بعد الموات

- الكتاب الأصلي بعنوان -

(LA VIE APRÈS LA VIE)



كلمة المترجم

قُيّض لي أن صادفت في غضون حياتي بعض الأفراد الملحدين الذين يتشبّثون بفلسفتهم. كما التقيتُ بآخرين على عدد غير قليل يؤكدون أن تطوّر العلوم والتكنولوجيا قد أفضى بالعلماء إلى نتائج علمية مذهلة تؤكد، دون احتمال أي شكّ، على وجود خالق مبدع لهذا الكون دون حدود، وهو " الله " تعالى ربّ الحياة والموت.

وثمّة أيضاً تجاربّ ومغامراتّ قد اكتسبها عدد لا يُحصى من البشر، خلال وفاة أكيدة وموثّقة طبياً ويُقرّ بها الفلاسفة أيضاً. وكثير من هؤلاء الأفراد الذين أطلقتُ عليهم اسم (المواتيّون) لا يجرؤون على البوح بما جرى لهم عقب انسلاخ نفوسهم عن أجسادهم (وهذا ما يدعوه الفلاسفة العرب: " تعرّي النفس من خبائها " أي أجسادها)، وذلك لئلا يُعدّوا ضحايا هلوسات بشرية، فيصمتون دون أي بوحٍ بما في داخل سريرتهم.

منذ أعوام لا أستطيع إحصاءها، طالعتُ كتاباً يسرد الحوادث والتجارب ذاتها، وقد تمّ جمعها من أقطار عديدة في عالمنا. وحول هذه الأمور الفوطبيعية قد تمّ التأكيد طبيّاً على ما يرويه هؤلاء (المواتيون). وقد أشير في نهاية ذاك المؤلّف أن كاتباً أمريكياً، دكتوراً في الطب والفلسفة، قد أصدر كتاباً يروي التجارب والمغامرات ذاتها، وبنسبة عالية جداً. وذلك دون وجود أية صلةٍ ما بين الكاتبين لهذين المؤلفين على صعيدي المكالمة والمطالعة.

وها أنذا أزفّ للقراء الكرام صدور هذا الكتاب الذي ألّفه الدكتور ريمون مودي، وهو دكتور في الطبّ وفلسفة الطبّ. وهو يمحّص هذه الأمور الفوطبيعية [أي التي تفوق الطبيعة الدنيوية] تمحيصاً طبياً وفلسفياً. وفي نهاية المطاف قد أدلى برأيه القاطع بعبارة وضعها على غلاف الكتاب الخارجي، فقال: " قد عادوا مما وراء الحياة !".

والمدهش الرائع في كل هذه الأمور أن العناية الإلهية تتصل دون هوادة بالبشرية من خلال هذا " الموات " أي الوفاة العابرة التي أتحدّث عنها، بل بطرق عديدة أيضاً يكتشفها الإنسان تدريجياً، عبر جميع عصور البشرية. ففي عهد الفلاسفة الإغريقيين هناك أفلاطون الفيلسوف الفذّ وقد أورد في مؤلفاته سرداً لأمور مشابهة جداً لما يسرده هذا الكتاب. وقد عُثر على مؤلف في " التيبيت " [قطر في أواسط آسيا] تحت عنوان " كتاب الموت ": حيث تروى التجارب (المواتية) الشبيهة جداً بمضمون الشهادات في هذا المؤلف.

وفي ملحق ثان لهذا الكتاب، سوف أضيف ما قد حصلتُ عليه في مطالعاتي وفي اتصالاتي ببعض الناس الذين باحوا لي بأمور شبيهة جداً بتجارب (المواتيين) في هذا الكتاب. والثابت لدينا، نحن المؤمنين " بالله " تعالى الواحد الأحد، أنه هو حقاً ربّ الحياة والموت، والمحبّ للبشر الذين هم خليفة " الله على الأرض " !.

و" الله " تعالى هو وليّ الجهد والتوفيق

المترجم المحلّف

موريس جلال

المقدمة بقلم بول ميسراكي

حوالَي نهاية الصيف الأخير، إذْ علِم صديقي السينماعَوي [المختص بالسينما] إيتيينَ بيرنِيْه، بالاهتمام الذي أوليه للظواهر شبه السيكولوجية أو شبه العادية، فقد أتاني من رحلته إلى نيويورك بنسخةٍ من هذا الكتاب الخارق للمعتاد، وهو: Life after life (الحياة بعد الحياة) لمؤلفه الدكتور ريمون مُودي، وكان هذا المُؤلَّفُ يُثير في أقطار أمريكا مناقشاتٍ صاخبة سبقَ لي أن أدركتُ صداها بفضل مقالة مُسهَبة صدرت في المجلة الأمريكية "نيوزويك" في ١٢ تموز / يوليو عام ١٩٧٦.

صدرت هذه المقالة تحت عنوان (الحياة بعد الوفاة) Life after death مع نقطة استفهام (؟)، وكان مطلعها تعليقاً على الأعمال التي أصبحت مشهورةً وهي للكاتب الدكتور إيليزبت كوبلير ــ روسّ، إنها بحثٌ خاص بالتصرّف السيكولوجي الذي يقوم به المنازعون وهم على عتبة الموت. وسبق لهذه الدراسات أن كشفت القناع – من بين أمور أخرى ومعارضةً كلّ توقّع - عن أن أفراداً أُعيدوا إلى الحياة بفضل تقنيات جديدة، بعد أن قضوا فترةً من الزمان (امتدت حتى اثنتي عشرة ساعة) في حالة موت سريري - مع انقطاع التنفس، وغياب خفقات القلب، وانعدام النشاط في الدماغ. وروى هؤلاء، في بعض الأحيان، مغامراتٍ غريبةً قد حدثت لهم خلال انتقالهم الوجيز إلى حيّز ما وراء الحياة. وعلاوةً على ذلك، لبثوا يبدون قادرين على تقديمهم بياناً صادقاً عما جرى لهم في غرفة المشفى بينما لم يزالوا على أسرّتهم دون وعي، ودون أي علاقة تُشير إلى

الحياة . وكانوا يوضحون بدقة عدد أعضاء المعالجين الذين سبق لهم أن شاركوا في الجهود المبذولة لإنعاشهم، ويردّدون حرفيا الكلمات التي تم تبادلها فيما بيْنهُم، ووصفوا أخيراً الطرُق التي استخدمها فرقاء الإنقاذ، وهي طرُق ما كانوا يعرفونها حتى ذاك الحين. وغدت دقة إحصائهم هذه الأمور دليلاً على أن الأمر لم يكن يعني أحلام يقظة، ولا صنوفاً من الهلوسات. وإن هذا الاستمرار لشكلٍ من أشكال الوعي لدى فردٍ من الناس لم يعُد جسدُهُ ينهضُ بأية وظيفة حيوية، لا يزال استمرار وعي بمقدوره أن يُمثل تماماً (حسب أقوال الدكتور كوبلير- روسّ) برهنةً أولى على بقاء الحياة البشرية بعد موت الجسد موتاً كاملاً.

هل ينبغي علينا قولُ ذلك ؟ فإن تصريحاً بهذه النتيجة إذْ يصدر عن طبيب ينعم بسلطة طبية ما، قد أدى إلى الضرورة بأن يُحدث استنكاراً ما بين السيكولوجيين، لا بل بين علماء اللاهوت الذين يعتبرون أن بقاء النفس على قيد الحياة (إن كان ثمّة نفس) ينبغي أن يبقى أمراً خاصاً بالإيمان. لكن، قد تيقّظ الانتباه العام في الأوساط الطبية لدى الولايات المتحدة حيث لبث الاختصاصيون يترصّدون الظهور المحتمل لبعض الوقائع الجديدة.

هنا بالذات، تندرج دراسة الدكتور ريمون مُودي الذي يروي لنا قُرابة خمسين شهادة تمّ انتقاؤُها ما بين عدد يفوق بكثير هذا العدد. وقد صدرت هذه الشهادات إما عن أشخاص قد أُنقذوا بصعوبة من موت مُوقّت، وإما عن غيرهم جابهوا الموت مجابهةً عصبية فأتونا بانطباعاتٍ مُتوافقة على نحو مرموق، وإن الدكتور مودي وهو أشدُّ حذراً من زميله (الدكتور كوبلير- روسّ)، يرفض أن يُعتبَر احتمالاً وجود برهان (بالمعنى العلمي لهذه الكلمة) على حياة بعد الموت. بيْدَ أنهُ، في القسم الثاني من بحثه - وأرى أن هذا القسم هو الأهم - قد بذل جهده، عبثاً، ليجد لهذه الظواهر

---

* هذا الموت السريري المُوقّت سندعوه "المَوات" [المترجم]

المروية تفسيرات طبيعية - ومنها على سبيل المثال - تأثير مخدرات تقوم بفعلها الحقيقي، أو تأثير تكيُّف سيكولوجي يُنسبُ إلـى وسـط المرضـى الثقافي أو الديني. غير أن أيّ تفسير من هذه التفسيرات لا يـصمد، فـي النهاية، أمام من يتفحّص هذا الأمر بعمق. بحيث أن فرضـية اسـتمرار شكل ما للوعي البشري عقِب موت الجسد فيزيائياً، تظـلُّ فرضّـية مـن المستحيل أن تستبعد بصورة نظاميّة. فمن حيث الرأي الموضوعي، لا بد لهذه الفرضيّة أن تأخذ حيّزاً ما بين الأمور المُمكنة. وهو ذا إذن الوضـع الذي توصّلنا إليه حالياً ونحن على قيد انتظارنا تطوراً جديـداً للمعـارف الإنسانية.

*

إن ريمون مودي Raymond Moody، وهـو دكتـور فـي الطـب والفلسفة، قد حرص على أن يقدم نفسة للقارئ، خلال " مدخل " لا يدع أي شكّ حول الروح المنهجية، كما حول فكرة مؤلِف هذا الكتاب السديدة.

تمهيد

بقلم الدكتور إليزابيت كوبلر- روسّ

حظيتُ بمتعة قراءتي (الحياة بعد الحياة)، كتاب الدكتور مودي، قبل نشره، وإني لمسرورٌ جداً بأن هذا الجامعي الشاب قد وُهب الشجاعة فجمع اكتشافاتهِ لكي يضع هذا البحث من نمط جديد على منال الجمهور العام.

قد سنحت لي الفرصةُ (على الصعيد الشخصي، وخلال الأعوام العشرين الأخيرة، لحضوري بعض المرضى الذين بلغوا أقصى آلامهم) لاهتمامي اهتماماً متصاعداً بدراستي ظاهرةَ الموت دراسةً عميقة. وعلى هذا المنوال، علِمنا الكثير حول سيرورة هذا الانتقال، بيد أنهُ يبقى لنا، جمٌّ من الأسئلة التي لا بدّ من توضيحها، وحول ما يعانيهِ مرضانا حينما يُعتبرون أمواتاً على الصعيد الطبي.

إن بحثاً مماثلاً لما يعرضه الدكتور مُودي في هذا الكتاب هو بحث يأتي إلينا بالكثير من الأضواء الموضّحة، بل علاوة على هذه الخطوة المجدية، يؤكد هذا البحث على ما تعلمناه منذ ألفي سنة، أي أن ثمّة حياة بعد الموت ذاته، ويبرُزُ بجلاءٍ بيّنٍ من تقصّيه أن المريض الذي يموت يظلُ على قيد الوعي بما تحيط بهِ حتى عقِبَ الإعلان عن موته سريرياً.. [أي: " الموات "] وما يتلاقى على نحو مرموق مع بحوثي الخاصة التي تقوم على أساس ما يراهُ المرضى، عقِبَ موتهم السريري، وبعد رجوعهم

إلى الحياة بصورة تناقضُ كل التوقّعات، وحتى، في غالب الأحيان، لـدَى مفاجأة أقطاب الاختصاصيين المؤهّلين ذوي الشهرة العالمية.

إنّ هؤلاء المرضى جميعاً قد أخذهم الانطباع بأن كل واحد منهم يعوم خارج جسده مصحوباً بإحساس من السلام والارتيـاح العـارم. وأدرك غالبيّتهم بوعيهم وجودَ شخص آخر قد وفد ليؤدي خدمة أثناء هذا الانتقال نحو صعيد آخر من الوجود. وسبق لجميعهم تقريبـاً أن قـام باسـتقبالهم بعضُ الكائنات العزيزة على قلوبهم وقد ماتوا قبلهم، أو قد استقبلهم وجـهٌ من أهل الدين كان قد ترك أثرهُ على حيـاتهم الدنيويـة وكـان متوافقـاً، بالتأكيد، مع معتقداتهم الدينية. أما أنا، فقد أثريْتُ بالمزيد من الغنى الحقيقي بفضل قراءتي هذا الكتاب لِمؤلّفه الدكتور مودي، في حينِ حيثُ قد تَهيّأتُ، من جانبي، لتحريري نتائج ما سبق لي أن لاحظته على هذا الصعيد.

بطبيعة الحال، أقول إن الدكتور مودي مُلزم بأن يستعدّ لمجابهة العديد من الانتقادات سيرشقُهُ بها فريقان متعارضان: فمن جانب سوف يـستنكر بعضُ رجال الكنيسة الجسارة التي أقْدَمَ عليها المؤلف حينما تناول ببحثـه مضماراً يُعدُّ محرّماً، وهناكَ بعض الممثلين لعقيدة من العقائد قد سبق لهم أن أعربوا عن عدم موافقتهم، إزاء دراسات كهذه، بل مضى أحدُ الكهنـة حتى التفوّه بأنّ " النعمة تباع جزافاً " أما آخرون فقد اعتبروا بصورة لهـا المزيد من البساطة، أن البقاء على قيد الحياة عقب الموت لا بدّ أن يظـلّ موضوعاً إيمانياً ولا يمكن طرحُهُ على البحث من قبل أي إنسان.

أما الفئة الأخرى من المتكدّرين ومنهم الدكتور مُودي فينبغي علـيهم أن يواجهوا امتعاض بعض الاختصاصيين، أي امتعاض العلماء والأطباء الذي يرون أن كل تقصٍّ من هذا القبيل يشتمل على طابع مُناهض للعلم.

أرى أن مجتمعنا يجتازُ حالياً فترة انتقالية: ويلزمُنا أن نتحلّى بـالجرأة لكي نُشرّعَ أبوباً جديدة فنقبل أن **أدواتنا العلمية الراهنة لا تتوافق مع هذه الميادين الجديدة**. كما أرى أن هذا الكتاب سيمضي بنا إلى آفـاق جديـدة

لصالح ذوي الأذهان غير المنحازين وسيوفّر لهم الأمل والجسارة لكي يتناولوا مجالات للتقصّي لا تزال غير مكتشفة وسوف يعلم المفكّرون أن هذا التقرير الذي أنجزه الدكتور مودي يتطابق مع الحقيقة الدقيقة، فقد سجّلَهُ باحثٌ أصيلٌ ونزيهٌ. وعلاوةً على ما سبق، إن أعمالي الخاصة وملاحظات علماء آخرين، الجامعيين منهُم والكنسيِّين ذوي العقول الرزينة، فجميع هؤلاء يثبتون حقيقةَ هذا البحث، ولم يتردّدوا فاقتحموا هذه الميادين التي لم يقتحمها أحد، وراح الأمل يزوّدُ بعونه جميعَ الذين يتوقون إلى " المعرفة "، بدلاً من " الاعتقاد والظن ".

ومن ثَمَّ، أُوصيَ بقراءة هذا الكتاب أيّ شخص، أيّاً كان ينعم بذهن منفتح، وأهنِّئ الدكتور مودي على الشجاعة التي برهن عليها إذْ أعلن ثمار اكتشافاته ونتائجها.

افتتاحية المؤلّف

إن هذا الكتاب الذي ألّفهُ كائنٌ إنسانيّ، يعكس على نحـــو ضــــروري الأمور السابقة والآراء الشخصية والأحكام المُسبقَة لهذا الكتاب، ومن ثم، ورغم الجهود التي بذلتها لكـــي ألتـــزم بالموضـــوعية والنزاهـــة بقــدر مستطاعي، فإن بعض المعطيات الخاصة بي قد تستطيع مساعدة القـــارئ على أن يكوِّن لنفسه حُكماً من الأحكام حول التأكيدات الخارقة للمعتاد التي يشتمل عليها النص التالي.

أولاً، لم أتواجد قط على وشك الموت، ولا أزعم بالتالي أن أقدِّم شهادة مباشرة لتجربة قد أكون أنا موضُوعها ذاتياً. ولكن، لا أشعر، من جـــرّاء ذلك، بحق المطالبة بموضُوعية كاملة، حينما سبق لحساسيتي أن تواجدت مندرجة في تأليف هذا الكتاب: وبسبب تدويني الجمّ الكثير مـــن قـــصص تروي التجارب المثيرة للاهتمام التي سيُعنى بها بعد الآن، قد أفضى بـــي الأمرُ، نوعاً ما، إلى الإحساس بهذه التجارب، وكأنني قد عشتها أنا نفسي. وعلى ذلك، أتمنى بحرارة ألا يكون هذا التصرف السيكولوجي قد ذهـــب بي إلى أن أعرّض للمخاطر الطابع العقلـــي والتـــوازن الحـــصيف لهـــذه الدراسة.

وثانياً، إني أكتب كما قد يفعل ذلك أحد الناس الذي لم يكتسب العـــادةَ الدقيقة على الآداب الفسيحة الخاصة بالظواهر الخفيّة والمجاورة لما هـــو طبيعي. ومتى أقول ذلك، لا أسعى إلى أن أرشق بالشك هذا النـــوع مـــن الكتب، وإني متيقِّنٌ على نقيض هذا، أنّ تبحُّراً في العلوم على مزيد مـــن

التمام في هذا المضمار قد يؤدي عوناً ثميناً في تمثّل بعض الحوادث التي توجّب عليّ أن أدرسها. ولذلك، أعقد العزم الثابت منذ الآن، على مزاولتي بأعظم حرصٍ ممكن قراءة بعض المؤلفات، ولئن اقتصرت على أن أرى بأيِّ مقدار سوف تدعم هذه البحوثُ المنجزةُ على يد آخرين الاكتشافاتِ التي قيِّض لي أن أقوم بها.

ثالثاً، إن تربيتي الدينية جديرة ببعض التعليقات: قد كانت أسرتي تتردّد إلى الكنيسة الكلفانية (أي البروتستانية)، مع أن أهلي لم يسعوا قط إلى فرضهم آراءهم ومعتقداتهم الدينيةَ على أولادهم. لقد جهدُوا فقط، بقدر ما كنتَ أنمو، إلى تشجيعي على سلوكي الطرُق - مهما كانت - التي أرغبُ في سلوكها، وإلى تسهيلهم علي الوصول المحتمل إليها. بحيث أني تطوّرتُ مُزوّداً " بديانة " تفتقدُ مجملاً من العقائد الثابتة، مكتفياً بالأحرى بميلٍ من نوعٍ عامّ إلى الأمور الروحية، وإلى التقاليد العريقة، وإلى المذاهب الدينية. وأعتقد أن جميع الأديان الكبيرة تأتينا بحقائقها، كما أعتقد أيضاً أن أحداً منا لا يقدر على توفيره الآراء المعارضة والمناسبة حيال هذه الحقائق الأساسية التي تنقلها إلينا هذه الديانات.

رابعاً، إن تأهيلي الجامعي والمهَني هو بالأحرى تأهيل متنّوع، وبمقدوري القولُ إنه مُتقطِع. فقد تبعتُ محاضرات الفلسفة في جامعة فرجينيا ونلتُ رتبة الدكتوراه في هذه المادة عام ١٩٦٩. وإن العلوم التي يشدُّني إليها اهتمامي الأخص في هذا المنحى هي علم الأخلاق، وعلم المنطق والألسنيّة. وعقب تدريسي الفلسفةَ خلال ثلاثة أعوام في جامعة تقع في شرق كارولينا الشمالية، صممت على متابعتي محاضرات الطب متوخياً أن أصير طبيباً نفسانياً، وأن أعلّم الفلسفة الخاصة بالطب في مدرسةٍ للأطباء. وبالطبع، قد واتت هذه الدراساتُ وهذه التجاربَ جميعُها بصورةٍ مُجديةٍ طريقتي في معالجة هذه المواضيع التي أزاولها هنا.

آمل أن يجتذب هذا الكتاب انتباه المطالعين إلى ظـاهرة " **المـوات** " التي تلبث في آنٍ معاً منتشرة جداً ومخبّأة بحرص، وأملي أيضاً أن يُسهم هذا الكتاب في إثارته لدى جمهور القرّاء موقفاً ينعم بالكثير من التقبّل حيال ما يعرضه، لأني على قناعة ثابتة من أن هذه الظاهرة تشتمل على دلالية تنعمُ بقيمة سامية جداً، ليس فقط لأنها تعني شتّى العلوم الجامعية وممارستها (السيكولوجيا، علم الطب النفساني، الطب، الفلسفة، علم اللاهوت، الخدمة الدينية)، بل تعني أيضاً منحى حياتنا اليومية.

لا بد لي أن أشير هنا بدقة وفوراً – وذلك لأسباب سوف أشرحها فيما بعد – إلى أني لا أزعم البتّة " البرهان " على وجود حياة عقب الوفاة، وعلاوة على هذا، لا أرى أن " برهاناً " من هذا القبيل يظل برهاناً ممكناً في هذا الزمان. وذلك، بوجه ما، ولأجل هذا السبب، قد تجنّبتُ ذكر بعض الأسماء الحقيقية وأخفيت بعض التفاصيل التي يُحتمل أنها تحدّد هوية أبطال هذه القصص. وبدا لي هذا الأمرُ ضرورياً، لحماية الحياة الخاصة للأفراد المعنيين، – وفي العديد من الأحوال –، لكي أحظى على إذن نشر هذه التجربة التي أصبحت أول منْ تمّ البوحُ لي بها.

سيكونون كثيرين هؤلاء الذين سوف يصفون جميع التأكيدات المدوّنة في تتالي هذه الصفحات بأنّها مستحيلة وتعصى على كل تصديق وستغدو ردة فعلهم الأولى أنهم سيرفضونها رفضاً قاطعاً. وبطبيعة الحال قد لا يطرأ على بالي فكرة توجيهي اللوم إلى هؤلاء الذين يقومون بردّة الفعل هذه، فمن المحتمل أنني شخصياً قد أكون فعلت ذلك على غرارهم، منذ بضعة أعوام وحسب. ولا أطلب من أي إنسان القبول ولا الاعتقاد بما يشتمل عليه هذا الكتاب، استناداً إلى سلطتي [العلمية]. وفي واقع الأمر، وبصفتي منطقوياً [أي أستاذاً في المنطق]، أرفض وأدين هذه الطريقة التي تنحو إلى الاعتقاد المرتكز على مرجعية تعود إلى سلطات عارية من

كل ضمانة. وبالتالي، ألحُّ بقوة على ما قلته سابقاً، لكي لا يشعر أي قارئ أنه مدعوٌّ إلى مثل هذا التصرّف.

كل ما أطلبه من أي مطالع قد يرفض أن يولي ثقتَهُ لما يكون قد قرأهُ، هو أن يستعلم حسناً من أي جهة كانت لمصلحته الخاصة، وهذا ما يُشكّل تحدياً منحت لي الفرصة أن أُطلقهُ مراتٍ عديدة. ومن بين الذين يتصدّونَ لهذا التحدي، قد بات الكثيرُ منهُم يشكّون في البداية، ثم أفضى بهم الأمر هذا إلى مشاركتي في اندهاشي واستغرابي إزاء الوقائع [الثابتة].

علاوةً على ما سبق، إني لَمُتَيقّنٌ من أن العديد من القرّاء سيجدون هنا عزاءً كبيراً إذْ يلحظون أنهُم ليسوا وحدهم في معرفتهم تجربةً من هذا القبيل. ولهؤلاء - وبخاصةٍ كما يحدث الأمرُ هذا في أغلب الأحيان إنْ احتفظوا بمُغامرتهم السّرية مع استثنائهم بعض الأفراد الأخصّاء - أتوخى أن أقول ببساطة ما يلي: إن أعزّ أمنياتي هي أن يهبَهُم هذا الكتابُ الشجاعةَ على الإعراب عن رأيهم بمزيد من الحرية، لكي يتمكن أحدُ **المظاهر الأشد فتنةً وسحراً من النفس البشرية** أن يُصبح أخيراً موضّحاً بمزيد من البيان والجلاء.

الجزء الأول

الموت بصفتِهِ ظاهرة

ما هو الموت ؟

ها هو سؤال لم تنقطع الإنسانية عن التساؤل حوله منذ وُجد البشر. وخلال هذه السنوات الأخيرة، سنحت لي الفرصة لذكر هذه المشكلة أمام عدد وفير من المستمعين أصبحوا يُشكلون جمهوراً يتنوّع تنوعاً شديداً: صفوف تلاميذ لدراسة الفلسفة والسيكولوجية والسوسيولوجية، من جانب. ومنظمات أبرشياتية، وشتّى أنواع البث التلفزيوني العام، ونوادٍ خاصة، من جانب آخر. وفي النهاية، أمام مؤتمرات مِهنيّة طبية. واستناداً إلى ما استطعت ملاحظته، غدوتُ قادراً على إثباتي بيقين تامّ أن هذا الموضوع يُثير لدى المستمعين (ذوي حساسية وأنماط حياة شديدة الاختلاف) ردود فعل في المشاعر قوية بأقصى الحدود.

لكنْ، رغم الأهمية التي يتّسم بها هذا التساؤل، من الثابت، في نظر غالبية المستمعين إلينا، أن الحديث عن الموت أمرٌ عصيب، وثمّة سببان لهذه الصفة على الأقل.

السبب الأول هو بخاصة من نوع سيكولوجي وثقافيّ: فإن موضوع الموت موضوع مُحرَّم. ونشعر، بصورة واعية بدرجات متفاوتة، أن الاتصال بالموت – وحتى على نحوٍ غير مباشر – يُرغمنا، نوعاً ما، على أن ننظر مباشرةً الواقعة التي لا مناص منها ألا وهي أننا سنموت نحن أنفسنا ذاتَ يوم، ويصير لنا هذا المنظور المحتمل، بشكل مفاجئ أكثر قرباً منّا، وأوفر واقعيةً، وأقرب تفكيراً. وهكذا، على سبيل المثال، إن غالبية الطلاب في الطب – وأندرِجُ في هذا العدد – قد استطاعوا الملاحظة أن اللقاء بالموت (ولئن كان بعيداً، كما يتبدّى إبّان زيارة أولى في مخابر التشريح، عند عتبة الدراسة الطبية)، هو لقاء بمقدوره أن يُثير مشاعر تَكدُّرٍ عميق. وكما أرى، يظهر لي سبب ردة الفعل هذه ظهوراً واضحاً جليّاً، إذْ تفكّرتُ فيه لاحقاً فقد أدركتُ أنني لم أتأثر فقط بمصير الشخص الذي لَبثتُ أتأمل جُثتَهُ (رغم كون هذا الشعور هو أيضاً، شعوراً حاضراً بالتأكيد). فما بقيت أراه على الطاولة ظلّ يُبدي لي رمز وضعي الشخصي، وَضْعِ كائنٍ سيموت. وبصورةٍ ما، ولئن لم يزل هذا إلا عند حدود وعْيي، فلا بد أن تغدو فكرتي هي التالية: " ذات يومٍ، سيحدث لي هذا، أنا أيضاً ".

كذلك هو الأمرُ، على الصعيد السيكولوجي، فمن الممكن أن يُعتَبر الحديثُ عن الموت كطريقة، وحتى غير مباشرة، للتقرّب منه. فثمّة الجمّ من الناس يشعرون، دونما أي شك، بأن مجرّد ذكر الموت يبقى له كصدى، جعلَهُ حاضراً في الذهن، وقريباً جداً، بحيث يُمسي من المستحيل الابتعاد عن الطابع المحتوم لوفاتنا نحن. وعلى هذا المنوال إذْ نرغب في العزوف عن هذه الصدمة السيكولوجية، نختار بصورة عامة أن نتحاشى، بقدر إمكاننا، الحديثَ عن مثل هذا الموضوع.

إن السبب الثاني الذي يجعل الحديث عن الموت أمراً عسيراً سببٌ أشدّ تعقيداً، لأنه يتخذ مصدرهُ من الطبيعة ذاتها الخاصّة بلُغتِنا. فإن كلمات

اللغة البشرية تنتمي بغالبيّتها إلى أشياء وأمور لدينا عنها تجربةٌ محسوسة، بوسيلة أعضاء حواسّنا. أما الموت، فعلى نقيض ذلك يعزف عن التجربة الواعية لأكثريّتنا، لأننا، على الصعيد العام، لم نمرّ يوماً من طريق الموت الدائم.

وحيث أنه ينبغي علينا الحديث عن الموت، فيلزمُنا الابتعاد في آن معاً عن مُحرّمات المجتمع والمزالق الألسنية الراسخة بعمق شديد فينا، من جرّاء عدم خبرتنا. وفي أغلب الأحيان، نلجأ في نهاية المطاف إلى التماثلات وإلى تحسين الأسماء، فنُشبِّهُ الموت، وواقعة الموت، بظروف تتحلى بالمزيد من السرور خلال حياتنا، وبحوادث نعتاد عليها بوجه أسهل. وإن التماثل الأوسع انتشاراً في هذا الشأن هو بصورة محتملة تشبيه الموت بالنوم. فنبوح لأنفسنا بأن الموت، هو نوعاً ما، كواقعة النوم. وتظهر هذه الصورة من جديد، على نحوٍ دارج أيضا، في أفكارنا وكلامنا في كل يوم كما تظهر مجدداً في آداب جميع الثقافات خلال الأزمنة بأسرها. وكان يُعثر عليها بشكل متكرّر في مؤلفات الإغريقيين القديمة. فعلى سبيل المثال، سبق للشاعر الإغريقي هوميرُس، في ملحمته " الإلياذة " أنّهُ وصَفَ النوم بكونِهِ " شقيق الموت "، أما أفلاطون، في كتابه " الدفاع عن سقراط " فقد جعل أستاذَهُ هذا ينطق بهذه الكلمات، حين حكَم عليه بالموت قضاتهُ الأثينيّون، فقال:

<< إن كان الموت يُشبه نوماً مجرّداً من الأحلام، فإن الموت لكسبٌ رائع. وإن جعل أحدُ الناس يختار إحدى هذه الليالي حيث ينام لربما دون أن يراوده أي حلم، لكي يُشبّه هذه الليلة بالليالي الأخرى من حياته، وإن توجّب عليه، عَقبَ تفكّرٍ عميق، أن يقول كم من الأيام عاشها وكم من أفضل الليالي قضاها وهي أكثر متعةً من تلك الليلة، (فإن هذا الإنسان) قد يرى أن هذه الأيام والليالي يسهل إحصاؤها بالمقارنة مع سواها من الأيام والليالي. فإن كان الموت هكذا، فأنا على يقين من أن [الموت]

كسبٌ للبشر، حيث أن كل تتابع للأزمنة يُمكن اعتبارُهُ كلا شيء أكثر من ليلةً واحدةً طويلةَ الأمد. <<

غير أن آخرين يفضلون اللجوء إلى مجاز مختلف رغم أنـــه ينتـــسب بدقة إلى ما سبق. فيقولون إن الموت هو " النسيان ". فمَنْ يمـــوت ينـــسى جميع همومه: فالذكريات، الشديدة منها والمؤثرة تنطمس وتمّحي.

مهما بدَت التشابهات قديمةً ومتكررة، فـــإن " النـــوم " و" النـــسيان " يظهران في آخر المطاف على قليل من الملاءمة بصفتهما الوقتية وتهدف إلى عزائنا. ولئن ارتديا شكلين متمايزين فهما يعودان إلى الأمـــر ذاتـــه: فبشكلٍ مُلطّف، يؤكدان كلاهما على أن الموت ليس أمراً آخر سوى فنـــاء وَعْينا جذرياً ونهائياً. وإن غدا الوضع على هذا المنوال، حقاً، فـــالموت لا يشتمل على أي مظهرْ يرغب فيه الإنسان، ويجده في النوم وفي النـــسيان. فالنوم يُشكل تجربةً إيجابية، ويتمناها الإنسان خلال حياته، فهـــو يعلـــم أن اليقظة تتبع النوم، وإن ليلة جيدة من النوم تجعل المناشط النهاريـــة أوفـــر متعة وأجدى إنتاجاً. وإن لم يكن ثمّة يقظة فكل الكسب من نـــوع عميـــق سيصير هباءً. وعلى المنوال ذاته، فإن اختفاء وعينا، الـــذي لا يرضـــى بإمحاء ذكرياتنا السيئة، قد يحرمنا أيضاً من ذكرياتنا الحسنة. وفي آخـــر المطاف، يظهر أي واحدٍ من هذين التماثلين قادراً على أن يمنحنا العـــزاء أو الأمل إزاء الموت.

لكن، هناك طريقة أُخرى لاعتبارنا الأمور، وهي ترفضُ تماثل الموت بفقدان الوعي على نحوٍ نهائي. وحسب هذه الفكرة التي يعـــود تقليـــدها، بصورة محتملة، إلى أزمنة أكثر قِدماً، **ثمّة جزء مـــن الكـــائن البـــشري يستمر على قيد الحياة**، فيما يصير جسده المادي الخاضع للتلف النهـــائي، منقطعاً عن القيام بوظيفته. وإن هذا الجزء من الإنـــسان المـــستمر بعـــد الموت قد أُطلق عليه العديدَ من التسميات: عقل، نفس، فكرْ، روح، الـــ " أنا "، الـــ " كائن "، الوعي. ومهما تتوعت اللفظة التي يتم اختيارها، فإن

المفهوم (الذي على أساسه يمر كل واحدٍ منّا، إبان موته، إلى شكل آخر من الوجود)، هو مفهوم يُشكّل أحد المفاهيم المحترمة بالأكثر ما بين المعتقدات البشرية. فقد عُثِرَ في آسيا الصغرى [تركيا الحالية] على مقبرة كان يستخدمها أقوام نيأندرتال[٢] منذ قرابة مئة ألف سنة، فهناك صور باتت أحفورية قد أتاحت للأركيولوجيين أن يكتشفوا أن أولئك الناس لما قبل التاريخ كانوا يدفنون موتاهم في توابيت من زهر، وعسى يبدو ذلك أنه يعني اعتبارَهم الموت كمناسبة للتمتع والبهجة، كمرور المتوفى من هذا العالم إلى عالم آخر أفضل. وفي كل مكان وعلى الأرض نوعاً ما ثمة مدافن وقبور يرجع عهدها إلى العصور البدائية وتأتينا بالبرهان على اعتقاد وإيمان ببقاء الإنسان على قيد الحياة عقِبَ موت الجسد.

ومجمل القول هو أن السؤال الذي قد طرحناه منذ قليل حول طبيعة الموت، سؤالٌ يثير إجابتين متناقضتين، ولهما القِدَم ذاتُه. بيد أنهُما لا تزالان صالحتَين حتى هذه الأيام. فالبعض يؤكدون أن الموت يؤدي إلى انحلال الوعي فيما يلبث آخرون، على القناعة ذاتها، يؤكدون أن الوفاة انتقال، أو نقل النفس، أو نقل الذهن، أو الإنسان الميْت إلى بُعد آخر من حقيقة الواقع.

خلال الصفحات التالية، لن أزعم أنني اختار إحدى هاتين الفرضيتَين. بل أتوخى فقط أن أُدلي هنا بنتائج استقصاء قد قمتُ به شخصياً.

خلال هذه السنوات الأخيرة، أفضى بي الأمر المعتاد إلى التقائي بعدد وفير من الناس قد مَرّوا بما سوف أطلق عليه اسم " المَـوَات " [أي: " الموت الموقّت "]. وقد جرت اللقاءات بوجوه عدة: في البداية، كان الأمر يعني مجرد صدفة، وخلال عام ١٩٦٥، فيما لبثتُ أتابع دروسي الفلسفية في جامعة فيرجينيا، تعرّفت على رجلٍ كان أستاذاً للطب النفساني

---

[٢] نيأندرتال: نوع من الثدييات الأحفورية [المتحجرة] لها سمات جسد الإنسان الحالي [المترجم].

في إحدى مدارس للطب. ومنذ البدء، ذُهشت من حرارة استقباله لي، ومن مودتِه، وموهبته بالنكتة الظريفة. وبعد ذلك، فوجئت مفاجأة عظيمة بأني علمت عنه واقعة مرموقة، أعني أنهُ قد كان " ميتاً " (لا مرة واحدة وحسب، بل مرتين، مع فترة عشرة دقائق تقريباً بينهما)، وأنّهُ أدلى بشهادة تفوق الخيال قطعياً، حول ما قد جرى له. فيما كان يُعتبرُ ميتاً. ثمّ سمعته يروي قصتَه على مجموعة صغيرة من الطلاب وقد اشتد اهتمامهم بحديثه. وفي تلك الفترة، أخذني انطباع معتدل عن مثل هذا الأمر، ولكنْ، حيث أني افتقدت حينئذٍ أي معيار يُتيح لي إصدار حكم حول مثل هذه المغامرة، اكتفيت بأني " صنفتُ " المعلومة ما بين أفكاري، وكذلك بوسيلة تسجيلٍ على شريط مغناطيسي أنجزته خلال حديثه.

عقب ذلك ببضعة أعوام، بعد أن نلت الدكتوراه بالفلسفة، بدأت أدرّس في إحدى جامعات كارولينا الشمالية. وبمناسبة إحدى محاضراتي، قرأتُ طلابي كتاب أفلاطون " فيدون " Phédon، حيث يُسجّل خلود النفس، ما بين مواضيع سواها يعالجها في هذا الكتاب. وقد محورتُ محاضرتي، بصورة رئيسية، على المذاهب الأخرى التي سبقَ أن لقّنها الفيلسوف الإغريقي بمعزلٍ عن أي تشديد خاص على المقاطع حيث يعني الأمر " الحياة بعد الوفاة." وذات يوم، في نهاية المحاضرة، اقترب مني أحد الطلاب وسألني هل من الممكن أن أنظّم جدالاً حول بقاء النفس على قيد الحياة بعد الموت، فالموضوع هذا لبثَ يُثير اهتمامه، لا سيما وأن جدّتَه كانت " مواتية " [أي: " ميتة " بشكل موقت]، خلال إجراء عملية جراحية، ثم انتقلت إلى تجربة مُذهلة. فرجوته أن يُتحفني بالمزيد عن هاتيك التجربة، وكم غدت مفاجأتي عظيمةً حينما أخبرني بسلسلة الحوادث ذاتها تقريباً التي وصفها لي أستاذ الفلسفة قبل بضعة أعوام.

ومنذ ذاك الحين، بدأت أسعى إلى مثل هذه الأوضاع سعياً إلى اكتساب المزيد من النشاط. فصممت على أن أُدرج في برنامج محاضراتي

قراءة بعض النصوص التي تنتمي إلى " المَوات " [أي بقاء الحياة بعد الموت البيولوجي]، وأنا أتجنب بحرص التلميح إلى الشهادتَين اللتَين كنت أقتنيهما. وبالتالي، أخذت موقفاً "مُتَرقِباً " لكي أتمعّن في مثل هذه الأمور: فإنْ كان ثمة قصص من هذا القبيل تتبدى متكررة ولئن قليلاً، لغَدوتُ على وشك أن أُثير قصصاً أخرى، وهكذا لبث تفكيري. وسعياً إلى ذلك، ظلّ يكفي أن أذكر الفكرة العامة للبقاء في طور الحياة، خلال مناقشاتنا الفلسفية، وأن أبْدي ذهناً منفتحاً على هذه الأمور. فبقيت أنتظر.

وحدثت مفاجأة جديدة: فقد لاحظت أنه، في قُرابة جميع صفوف الدراسة حيث يشتمل كل منها على ثلاثين تلميذاً تقريباً، كان هناك دائماً طالب يفد إلي ليكلمني، بعد الدرس، وليروي لي تجربة شخصية حول " موت موقت " أي " المَوات ".

إن ما حيّرني بالأكثر، منذ بداية هذا الاستقصاء، إنما هو التماثلات ما بين الشهادات التي يُدلى بها، وذلك رغم أنها لم تزل تردني من أفراد متنوعين إلى أقصى الحدود، من حيث الآراء على أصعدة الدين والمجتمع والثقافة.

عندما دخلت مدرسة الطب في عام ١٩٧٢، سبق لي أن جمعتُ عدداً وفيراً من هذه الوثائق، وبدأت أذكر بصراحة هذا البحث في حضور بعض علاقاتي الجديدة على صعيد المضمار الطبي. وفي نهاية الأمر، شجّعني أحد أصدقائي على الاستفاضة في هذا الشأن أمام لجنة من الأطباء، ثمّ تعاقبت سلسلة من المحاضرات الأخرى. وفُرضت عليّ مُجدّدًا الملاحظة أنني، عند نهاية كلٍّ من هذه الاجتماعات، كنت أرى بصورة منتظمة أحد الحاضرين يقترب مني ليروي لي مغامرة مماثلة لما قد ذكرت.

وكلما استمرّ اهتمامي بهذه الظاهرة معروفاً بمقدار متصاعد لدى من تحلّقوا حولي، طفق بعض الأطباء يوجهون إلي بعض المرضى الذين قد

بعثوهم من " الموات "، فراحوا يتحدثون عن بعض التجارب الغريبة، وأرسل لي آخرون تقارير خطية، بعد أن قرأوا في الصحافة مقالات أخذت تلمّح ببحوثي العلمية.

وفي هذه الآونة الراهنة، **أعرف قرابة مئة وخمسين حالة تكرر هذه الظاهرة**. وإن التجارب التي تُلزمني بدراستها لم تزل تجارب مصنَّفة في ثلاث فئات متمايزة:

الفئة الأولى: التجارب التي عاشها أشخاص أنعشوا بعد أن تم اعتبارهم أمواتاً، وأُعلن عنهم بهذه الصفة، أو اعتبرهم أطباؤهم أمواتاً على الصعيد السريري [أي: " مَواتيين "].

الفئة الثانية: التجارب التي عاشها أفراد شاهدوا الموت عن قرب كثير، من جرّاء حوادث أليمة، أو جروح خطيرة أو بسبب المرض.

الفئة الثالثة: التجارب التي عاشها أشخاص أوشكوا أن يموتوا وأعطوا وصف الذين كانوا يُحيطون بهم. وفيما بعد، أعرب لي هؤلاء الشهود بفحوى هذه التجارب بصفتهم منازعين يُشرفون حقاً على الموت.

في هذا التراكم من مواضيع البحث التي يمكن تقديرها بمئة وخمسين من الحالات المتنوعة، قد توجب علي بالطبع أن أجري انتقاءً. استجاب جزءٌ من هذا الاختيار لقصدٍ مني دقيق، على سبيل المثال، رغم أن بعض التقارير من الفئة الثالثة أصبحت تقاطع وتتمم بصورة كاملة إحصاءات النمُوذجين الأولين، فقد فضّلت إهمالها بغالبيتها، وذلك لسبَبين. أولاً، قد سمح لي هذا الحذف بتقليص عدد الحالات المدروسة إلى نِسَب لها المزيد من سهولة المعالجة. وثم، استطعت، بفضل هذه الطريقة، التشبّث، قدرَ المستطاع، بشهادات مباشرة بمقدار أوفر. وبالتالي تيسّر لي أن أستجوب، على نحو مفصَّل بدقة، قرابة خمسين شخصاً، لبثتُ قادراً أن أدلي بأقوالهم بكل إخلاص. ومن بين هذه الأقوال الحالات المنتمية إلى الفئة الأولى:

(حالات تشتمل على موت سريري تمت ملاحظتهُ) وهي تنطوي بالتأكيد على مظهرٍ " مُذهل " بمقدارٍ أشدّ من حالات الفئة الثانية (حينما لا يكون الموت إلا على وشك الحدوث). ومن الأكيد أنني كلما قمت بمحاضـرات عامة حول هذه الظاهرة، فإن الحوادث التي بقيت تتضمن فترة من " موتٍ " مُلاحَظٍ، لبثت تُثير اهتماماً عارماً. وثمّة بعض المقالات التي نشرتها الصحافة قد تم تحريرها بطريقة تفسح المجال للظنّ بأني قد أوقفت اهتمامي حصرياً على أوضاع تنتمي إلى هذه الفئة.

لكنْ، حينما كنت أنتقي الأمثلة المعدّة لإدراجها في هذا الكتاب، قاومت إغراء اقتصاري على الحالات التي تَشملُ " الموات " [أي " الموت المؤقت "]. لأن حالات النمط الثاني (كما لن يتأخر القارئ عن ملاحظته وضوح ذلك) لا تختلف فقط عن حالات النمط الأول بل تشكّل معها نوعاً من الاستمرار. وإلى جانب ما سبق، ومع أن تجارب الموت المؤقّت تتقاطع فيما بينها تقاطعاً مرموقاً، فإن الظروف المحيطة بها، وشخصية الذين يروونها، تتنوع تنوعاً بالغاً. وبالتالي، قد بذلتُ جهودي لكي أقدّم اختياراً من التجارب يعطي صورة مخلصة عن هذا التنوع.

فيما نحتفظ في أذهاننا بهذه الاعتبارات، هيّا بنا الآن لننتقل إلى تفحّص ما عَساهُ يحدث، بقدر ما أفلحت في اكتشافه، عندما يباغت الموتُ الإنسان.

الجزء الثاني

تجربة الموت

مهما كانت التنوّعات المقدَّمة، عن طريق الظروف المحيطة بأساليب التقارب من الموت، وكذلك عن طريق النماذج الإنسانية المختلفة التي تعاني من هذا الوضع، فالأمر الثابت هو أن تشابهات مُدهشة تظهر بين الشهادات حول التجربة نفسها. في الواقع، تلبث هذه التشابهات على ما هي، بحيث يصير ممكناً أن نستَمدّ منها قرابة خمس عشرة من السمات المشتركة، والمتكرّرة دون هوادة وذلك بمقدار الوثائق التي كان بوسعي أن أجمعها.

وإذْ لا أزال اعتمد هذه التشابهات، سأجهد الآنَ في أن أُكَوِّنَ مجدّداً وباختصار نموذجاً مثالياً على الصعيد النظري، مُدخلاً فيه جميع العناصر المشتركة في الترتيب الذي يلبث فيه أمراً نموذجياً أن نرى ظهور هذه العناصر.

<< هو ذا إذن إنسان يموت، وفيما يبلغ ذُروة الضيق الجسدي، يسمع في آنٍ معاً الطبيب الذي يلاحظ موتهُ. ويبدأ حينئذ يُدرك ضجة

كريهة، كمثل نغمة قويّة من جرس الأبواب أو نوع من الطنــين، وفــي الحين ذاته يشعر بأنهُ مخطوفٌ بسُرعة شديدة خلال نفق معتم وطويــل. ثم يتواجد فجأةً خارج جسده المادي، ولكن دون أن يُغادر بيئته الجسدية المباشرة، فيرى جسَدَهُ هو على شيء من المسافة، كما يفعل أيُّ مُشاهد. ويلاحظ، من وجهة نظره المحظية هذه، المحاولات الساعية إلى إنعاشه من جديد، وهي محاولات تعني بخاصة جسده، ويلبث في حالة من التوتر الشديد نفسانياً.>>

<< وعقب بعض اللحظات، يستدرك نفسهُ ويتأقلم شيئاً فشيئاً مــع غرابة وضعه الجديد خارج جسده. ويُدرك أنه لا يزال يمتلك " جــسداً " آخر لكن هذا الجسد قد اتّخذ طبيعةً خاصة جداً، ويتمتع بملكات مختلفــة جداً عن الملكات التي بقيت مع هذه الجثة التي تركها لتوّه. وبعد قليــل، تجري حوادث أخرى: فثمّة كائنات من الأرواح تتقدم للالتقاء به، وتبدو أنها تريد منحهُ المعونة، ويلمحُ " أرواحَ " بعض أهله وأصدقائه الــذين قضوا نحبهم قبلهُ. وفجأةً، يحضُرُ كيانٌ روحي، من نوع مجهــول، روحٌ ذو حنان دافئ، زاخر ينبضُ بالحب ــ " كائن من نور " ــ ويظهر لــهُ. ويقوم هذا الــ " كائن " بطرحه سؤالاً عليه، سؤالاً منطوقاً بغير كــلام، ويجعله يقوم بحصيلة حياته السابقة. ويُعينه هذا الكيان في هذه المهمة، إذْ يوفّرَ له رؤيةً بانورامة آنية [فسيحة وشاملة] عن جميع الحــوادث التي مهرت مصيره بوسمها.>>

<< ثم يأتي حينٌ حيث يبدو المواتيُّ [الميت خلال فترة وحسب] أنه يصادف أمامهُ نوعاً من حاجز، أو من حدّ من الحدود يرمز ظاهرياً إلى الفاصلُ الأخير ما بين الحياة على الأرض والحياة المُقبلة. لكنه يلاحــظ عندئذ أنه يتوجب عليه الرجوع إلى الخلف، وأن زمان موته المُستمرّ لم يأتِ بعدُ. وفي هذه اللحظة، يقاوم هذه الضرورة لأنه يبقى عندئذ مفتوناً بتدفق حوادث ما بعد الحياة ولا يتمنى الاكتفاء إلــى حياتــه الجــسدية

الدنيوية. وتجتاحهُ مشاعر عارمة من الفرح والحب والسلام. ورغم كل هذا يتواجد من جديد متحداً بجسدهِ المادي: فيولد ثانيةً إلى الحياة مع جسده على الأرض.>>

<< فيما بعد، متى يُحاول أن يشرح لمن حولهُ ما شعر به إبان مواتهِ [أي غيابه عن الحياة الدُنيوية]، يصطدم بعراقيل مختلفة. ففي البداية، يعجز عن أن يجد كلماتٍ بشرية تُمكّنهُ من وصفه وصفاً مناسباً تلك الحادثة لما فوق الأرض. وعلاوةً على ما سبق، يرى تماماً أن من يُصغون إليه ولا يصدقون أنه جادّ بأقواله. بحيث أنهُ يعزف عن بوحه للآخرين بما جرى له فعلياً. ومع ذلك فهذه التجربة قد دمغتْ حياتهُ بوسمها العميق، ولا سيما قلبت رأساً على عقب جميع الأفكار التي لبثت أفكارهُ حتى ذاك الحين حول الموت وحول علاقاته بالحياة الدنيوية.>>

لا بد أن نرسّخ في أذهاننا أن العلاقة المذكورة سابقاً لا يمكنها بأي حال أن تماثل قصة تجربة خاصة. وحبّذا ألا نجد فيها سوى ' نموذج '، أي علاقة مُركبة من شتى العناصر وقائمة انطلاقاً من العناصر المشتركة المُكتَسبة من عدد الشهادات العديدة. وإن اخترتُ أن أحرّر هذا العرض للأمور، فذلك بقصد توفيري، منذ البدء، فكرةً عامة عما يستطيع كائن بشري، على نحو محتمل، أن يشعر به في حين الوفاة. وبطبيعة الحال، بما أن الأمر يعني توضيحاً تجريدياً، لا حالةً معاشةً بوجه حقيقي، فأتوخى أن أستعيد بدقة، خلال هذا الفصل، كل سمة من هذه السمات العامة، وأعرضَ على القارئ بعض الأمثلة.

لكن، قبل الخطوة الجديدة، يلزمني أن أعرب عن بعض التوضيحات الدقيقة التي لا غنى عنها، لكي أُموضِعَ من جديد بقية هذا العرض حول تجربة الموت في نص مناسب.

أولاً: رغم تشابهات مدهشة ما بين شتى الشهادات، فليس ثمة شهادتان متماهيتان بصورة مطلقة (مع أن العديد من الشهادات ليست بعيدة عن بلوغها هذا التماهي المطلق).

ثانياً: لم أجد أية شهادة تتضمن في آن معاً جميع التفاصيل لهذا الوصف / النموذجي Tableau-robot. غير أن العديد من هذه الشهادات يتضمن على نقيض ذلك، الجزء الأعظم من هذه التفاصيل، أي ثمانية أو أكثر من النقاط المحصية وهي خمس عشرة: والبعض من هذه الشهادات يبلغ اثنتي عشرة نقطة.

ثالثاً: ليس ثمة أيُّ عنصرٍ من العناصر المسجلة في الشهادات الفردية التي استلمتها، عنصراً يتواجدُ من جديد بشكل منتظم في هذه القصص كلها. بيد أن البعض من هذه العناصر تبدو قابلةً أن نعتبرها شاملةً للعالم.

رابعاً: إن أي واحد من العناصر المسجلة في الوصف/النموذجي المذكور سابقاً لا يصدر عن شهادة فريدة وخاصة: فكل عنصر من هذه العناصر قد استُخرِج من عدة قصص مختلفة لكنها تنحو إلى التلاقي والتوافق.

خامساً: إن الترتيب الذي يَمُرُّ فيه " المَوَاتيَ " عبر حالات مختلفة وُضعت بإيجاز سابقاً في هذا الكتاب، هو ترتيب يمكنُ أن يختلف عمّا يُقدِّمُهُ " نموذجي النظري ". فعلى سبيل المثال، قد أعلن عدة أشخاص أنهُم لمحوا " الكائن النوراني "، وذلك قبل أو خلال مغادرتَهم جسدَهم المادي، وليس هذا مماثلاً " لنموذجي "، بعد ذلك ببضع اللحظات. لكن الترتيب الذي ذكرتُ فيه شتى المراحل في الوصف/النموذجي هو ترتيب يمكن اعتباره كنموذجي بما فيه الكفاية: فإن الروايات المختلفة لم تزل بالأحرى نادرة.

سادساً: لا تمضي الشهادات كلها بعيداً بنفس المقدار عن تسلسل وقائع هذه التجربة الافتراضية، وكما يبدو فإن دوامها يرتبط بالشخص المعني الذي قد بلغ أو لم يبلغ مرحلة " المَوات " [أي الموت السريري] من حيث الظاهر وحسب، في الوضع الإيجابي، وخلال مرحلة دوام الحالة هذه. وعلى العموم يقوم من اعتُبروا " أمواتاً " على الصعيد السريري فقط [وهم: المَوَاتيون] برواياتهم لنا تجارب على مزيد من الكثافة، وأوفر ألواناً مما قد روى هؤلاء الذين لم يستطيعوا سوى اقترابهم من تخوم نهاية حياتهم. وكذلك هو وضع مَن ظلّوا في حالة الموت السريري الظاهر فقط [أي: المَوَات] خلال فترة أطول، فهم يعمّقون أكثر من غيرهم قصتهم بالنظر إلى من بقي غيابُهم عن الحياة أقصر من غيره.

سابعاً: سَنَحَ لي أن اجتمعت بأشخاص تم إنعاشهم عقب " مَوَاتِهم " [أي الموت السريري فقط]، ولم يرووا أي حدث من الحوادث التي ذُكرت قبل الآن: وبوجه له المزيد من الدقة، إنهم أكّدوا على عدم تذكّرهم بحالتهم السابقة لإنعاشهم. ولدينا هنا أمرٌ مثير للاهتمام: فقد علمت بحالات أشخاص قد مرّوا بهذا " المَوَات " عدة مرّات، بين سنوات وأخرى، وإن لم يحتفظوا بأي انطباع عن أحدى هذه التجارب فقد رأوا أن تجربة أخرى كانت غنية بالحوادث بأقصى الحدود.

ثامناً: استرعي انتباهَ القارئ على أن ما أنقله هنا كتابةً هو صدى يعكس شهادات، وقصصاً وتقارير وَرَدت إلي شفوياً من الأفراد الذين استجوبتُهم. ومن ثمَّ إن لحظت أن هذا العنصر أو ذاك من " نموذجي " لا يظهر في هذه القصة أو تلك، فلا يمكن بأية حال الخلوصُ من ذلك أن هذا الحادث لم يَعِشهُ الشخص المعني: ويعني هذا الأمرُ، بكل بساطة، أن الشاهد لم يذكر لي هذا التفصيل، أو أيضاً أن وجود هذا التفصيل لا يبرز بروزاً واضحاً من الشهادة التي اقتنيتُها.

حيث أن كل ما سبق قد تمّ تحريره بوجه حسن، سنتمكن الآن الانتقال إلى تفحّصنا شتى المراحل والحوادث المتنوعة التي يبدو أنها تُكوّن المصير المشترك لموتانا هؤلاء [وهم المَواتيون].

١ - اللاتواصلية

إن شروط المفهومية لِلُغة ما ترتبط عموماً بوجود قانون هام لتجارب مشتركة قد شاركنا فيها جميعاً. ومن هنا تنجم المصاعب التي يلزمنا أن نجدها على طريقنا خلال التطورات التي ستجري لنا: فإن الحوادث التي عاشها هؤلاء" المَواتيون ": الذين لامسوا الموت الدائم وحسبْ، لا تشكّل جزءاً من تجربتنا المشتركة. وبالتالي، علينا التوقّع تماماً أن يصطدم هؤلاء المعنيون بعراقيل دلالوية [خاصةً بعلم دلالية ألفاظ اللغة Sémantique]، متى سيحاولون الإعراب عما جرى لهم. وفي الواقع، هذا تماماً ما يحدث. فالأفراد المعنيون مجمعون على وصفهم تجاربهُم بأنها تعصى عن التعبير عنها inneffables، أي من المستحيل الإعراب عنها لغيرهم **[هذه هي: حالة اللاتواصلية]**.

كثيرون هم الذين أدلوا لي بهذه الملاحظة التالية: " لا أجد كلمات لكي أعبّر عما أحاول أن أقوله لك " أو بتعبير آخر لأحدهم: " ليس ثمة أية لفظة، ولا صفة، ولا أية ذروة للتفضيل، باستطاعتها أن تترجم ذلك ". وقد لخّصت لي إحدى النساء بإيجاز هذا الوضع فقالت: " كما ترى يُشكل ذلك بالنسبة إليّ مشكلة حين أحاول الإعراب عما حدث لي، فإن جميع الكلمات التي استخدمها تُترجم ثلاثة أبعاد. فخلال مغامرتي، لم أكف عن التفكير: " قد علمتني محاضراتي الهندسية أنه ليس هناك، في كل شيء وبالنسبة إلى كل شيء، سوى ثلاثة أبعاد، وهذا ما اعتبرته أمراً مُكتسباً. لكن هذا التفكير ضلال: " **فثمة أكثر من ثلاثة ". وبكل تأكيد، إن العالم حيث نعيش حالياً عالم ثُلاثي الأبعاد، لكن العالم الآخر أي عالم ما بعد الحياة، ليس هو كذلك بتّةً. ولهذا السبب يصعب علي بمقدار بالغ أن أشرح لك ما**

أتوخّاه. فأنا مُرغمة على استخدامي كلمات ثلاثية الأبعاد. وأجهد لكي ألتصق بالحقيقة بقدر كل استطاعتي، ولكن ليست الأمور تماماً كما أنحو إليها [في تعبيري]، وأعجز عن أن أصف لك بدقة لوحة طبقَ ما أريد.

٢- الإصغاء إلى الحكم

يؤكد العديد من المرضى أنهم سمعوا أطباءهم، أو أشخاصاً سواهم حاضرين، عندما أعلنوا موتهم من جرّاء مرضهم. وإليكم ما روته لي إحدى النساء:

<< كنت في المشفى، لكن قد جهل الجميع ما هو مرضي، أما طبيبي، الدكتور جيمس فعمل على نقلي إلى دائرة الراديولوجيا [الأشعة] لكي يفحصوا لي كبدي، آملاً أن يجدوا فيه سبباً ما. لكن، في المرحلة الأولى، توجّب أن يجربوا على ذراعي دواءً من العقاقير كانوا سيحقنونني به، لأني غدوتُ أتحسس من أدوية كثيرة. وحيث أن أي ارتكاس لم يظهر، قرروا المُضيّ في عملهم، وكل ما أفلحوا فيه هو أن قلبي لم يَعُد يخفق. وسمعت الراديولوجوي [المختص بالأشعة الطبية] يهرع إلى التلفون، وسمعته بكل وضوح وهو يشكل أحد الأرقام، ثم يقول: " يا دكتور جيمس، قتلت لتوّي زبونتك، السيدة مارتين " بيد أني كنت أعرف أنني لم أمت. وأردت أن أقوم بحركة لكي أخبرهم بأني لم أزل حيةً لكن عجزت عن كل حركة. وفيما لبثوا يجهدون لإنعاشي، سمعتهم يقولون كمْ من السنتيمترات المكعّبة من شيء ما كانوا سيحقنونني بهِ، لكني لم أشعر بوخزة الحقْن. ولم أشعر بأي شيء حينما لبثوا يلمسونني.>>

في حالة أخرى، سبق لإحدى النسوة أنها عانت من عدّة حوادث قلبية مؤلمة، وصارت ضحية لأزمة حيث أوشكت أن تفقد حياتها، فروت ما يلي:

<< اعترتني الآلام فجأةً في صدري، وكأنني طوِّقت بملزمة كانت تشدّ عليّ. وسمع زوجي وأحدُ أصدقائنا ضجة سقوطي على الأرض، فهرعوا إليّ لنجدتي. وتواجدتُ فجأةً في عتمة كاملة، ومن خلالها سمعت زوجي يصرخ وكأنهُ بعيد جداً عني، ويقول: " هذه المرة، قُضي الأمر ! " ورأيت أنا أيضاً أني انتهيت فقلت لنفسي: " أجل، إنه مصيب، انتهى الأمر. >>

كان ثمّة شابٌ قد اعتُبر ميتاً من جرّاء حادثة سيارة، ثم صرّح بما يلي: " سمعت صوت امرأةً تسأل: " هل مات ؟ " وأجابها رجلٌ: " نعم، قد مات. "

إن الشهادات من هذا القبيل تتلاقى بدقة بالغة وهذا ما يتذكره الأطباء أو مساعدون آخرون. هو ذا مثال تلقّيتهُ من أحد الأطباء:

<< إن إحدى زبوناتي قد توقف قلبها تماماً حينما أوشكتْ بمعية جرّاحٍ آخر على أهبة إجراء عملية لها. وهناك رأيت حدقتيها تتمددان. فحاولنا إنعاشها، ولكن دون جدوى، بحيث أني ظننتُها ميتةً، فقلت عندئذ لزميلي: " هيا بنا نحاول مرةً أخرى قبل عُذولنا تماماً. " وأخيراً بدأ قلبها يخفق، واستردّت وعيها. وفيما بعد، حينما سألتُها إن كانت قد احتفظت بذكرى هاتيك " الوفاة " العابرة، أجابتني أنها لم تتذكر الكثير باستثناء إصغائها إلى قولي: " هيا بنا نحاول مرة أخرى قبل عدولنا تماماً. >>

٣- مشاعر من دعة وسلام

يصف الكثير من الناس أفكاراً وأحاسيسَ ممتعة بأقصى الحدود تتموضعُ في الأحيان الأولى. ففي أعقاب جرح خطير في رأس أحد الرجال، بات كل ما يُشير إلى الحياة يعصى على كل استقصاء، ثم روى ما يلي:

<< حين أصبت بالجرح، أحسست مؤقتاً بألم مبرّح، ثم زال هذا الألم. وأحسست بأني أعوم داخل حيّز معتم. وكان البرد في ذاك اليوم قارساً جداً، ولكن، فيما بقيت في العتمة، لبث كل ما أحس به حرارة لطيفة وشعوراً بهناء لا حدّ له، ولم يسبق لي قط أني شعرت به. (...)، وأذكر أني فكّرت فقلت: " لا بد أني فقدت الحياة، فمت. >>

تم إنعاش امرأة عقب أزمة قلبية، فروت ما حدث لها:

<< بدأت أشعر بإحساسات عذبة. وما كنت أحسُّ قطعياً بأي شيء إلا بالسلام والهناء والعزاء وبدعة عظيمة. واعتراني الانطباع بأن همومي كلها قد انقطعت عني فرحت أخاطب نفسي: " كم الوضع عذب، كم هو هادئ، فأنا لا أشعر بأي ألم في جسدي؟ " >>

وإليكم ما يذكره أحد الرجال: " شعرت فقط بإحساس ممتع من العزلة والسلام (....) وكان الوضع رائع الجمال وذهني في دعة وسلام. "

مات أحدهم من جرّاء جراح أصيب بها في فييتنام، وقال بعد مواته [أي بعد عودته إلى الحياة] إنه عندما أصيب قد شعر: " بنوع من الارتياح العظيم "، ثم أضاف: " لم أشعر بأي ألم، ولم أنعم قطّ في حياتي كلها بمثل هذا الاسترخاء في أعصابي. بل كنت في راحة وغدا كل شيء على ما يرام. "

٤ - الضجيج

يلمّح الكثير من الشهادات إلى إحساسات غريبة يسمعها الإنسان في حين وفاته العابرة، أو عند اقترابها. وتغدو هذه الإحساسات أحياناً كريهة، وثمة إنسان استمرّ موتهُ عشرين دقيقة خلال إجراء عملية جراحية له في البطن، وقال ما يلي: << قد دوّى نوعٌ من الأزيز الشديد يصدر من داخل رأسي. وأزعجني كثيراً ... ولن أنسى أبداً ذاك الصوت >>. وروت امرأة أنها، فيما راحت تفقد وعيها، قد سمعت << رنة قرع جرس عنيفة.

ولعلّني أصفها كطنين حاد. فتواجدتُ مُقحمةً في زوبعة ". وقد وصف لي هذا الإحساس المبرّح كفرقعة شديدة، كعزيف هادر، كــصوت تفجيــر، وأيضاً " كصفير تُطلقهُ الريح. >>

في ظروف أخرى، تبدو هذه الظواهر السمعية متّخذةً مظهراً موسيقيا أبهج متعةً. وهكذا، فإن رجلاً قد تمّ إنعاشهُ بعدما أعلن موتهُ لدى وصوله إلى المشفى، وخلال مدة تجربته، روى ما يلي:

<< كنت أسمع شيئاً يشبه رنين أجراس بعيدة، وكأن الريح قد أتت به إليّ، وغدا ذلك يُذكّرُ بصوت قيثارات تشبه صوت المحركات الهوائية من نوع ياباني ... وكان هذا الصوت الوحيد الذي استطعت إدراكه مــن حين إلى آخر. >>

أوشكت امرأة شابة أن تُمنى بنزيف داخلي قد تضاعف بمشكلة التخثر التجلطي، وقالت إنها في حين إغمائهــا **<< بــدأت تــسمع نوعــاً مــن الموسيقى: موسيقى رائعة الجمال وجليلة المهابة. >>**

٥- النفــق المعتــم

في غالب الأحيان، ومع صــدور الــضجّات فــي آن معــاً، يــشعر " المواتيون " بإحساس كونهم مخطوفين بسرعة شديدة، خلال نــوع مــن حيّز معتم. ولكي يُعربوا عن هذا الحيّز يستخدمون ألفاظاً متنوعــة جــداً. وقد سمعتُ تَسْميتهُ بلفظات عديدة: مغارة، بئر، فضاء مُـسوّر، مدخنــة، فراغ، خواء: vacuité بالوعة، أسطوانة. ورغم مصطلحات مختلفة، مــن الجلي أن هذه الألفاظ تجهد للإعراب عن واقع حقيقي فريــد، فهيّــا بنــا لنتفحص شهادتين يُسيطر فيهما " النفق. "

<< حدث لي ذلك لمّا كنت صبياً صغيراً في التاسعة من عمري، أي منذُ سبعة وعشرين عاماً، لكن الأمر قد أدهشني بقوة، بحيث أني لا أزال أتذكره. ففي بعد ظهر يوم من الأيام، أصبت فجاةً بمرض خطير، ونُقلت

بسرعة إلى أقرب مستشفى من منزلي. وما أن وصلت حتى اتُّخذ القرار لتخديري، ولماذا ؟ لا أعرف، لأني كنت صغيراً جداً. وفي ذاك الزمان كان يُستخدم الإثير éther. فأعطوني هذه المادة واضعين على أنفي قطعة نسيج، ومنذ تلك اللحظة كما قيل فيما بعد، توقف خفقان قلبي. وما كنت أفهم عندئذ أن هذا الأمر هو الذي كان يحدث في داخلي، ولكن عندئذ حدث لي شيء غريب: ففي البدء، ـ سأصف لكم بدقة ما شعرت به ـ إني سمعت هذا الضجيج من صوت جرس كمثل بـرّزرن بـرّزرن. وبإيقاع شديد. ثم، ذهبتُ مخطوفاً ـ سيبدو لكم الأمر جنوناً ـ في هذا الممر الطويل المعتم، شيٌ ما مثل مجرى المجارير، إذا أردتم. ولا أستطيع أن أصفه لكم. ورحت أغور في هذه الضجة المستمرة، ضجة رنين الجرس. >>

وهناك شخص آخر أعلن ما يلي: << أصبتُ بارتكاس حساسية سيئة جداً بسبب تخدير موضعي، فانقطع تنفّسي تماماً. وأول ما حدث ـ وحدث كل شيء بسرعة شديدة هو أني ذهبت من خلال هذا الفراغ الكبير الأسود وبسرعة جنونية. ومن الممكن فهم ذلك، ولنفرض أنه نفق. فشعرت بأني مخطوف في إحدى هذه التسليات في أسواق شعبية من نوع الجبال الروسية وبسرعة خاطفة.>>

خلال مرض خطير، أفضى برجلٍ إلى الاقتراب بشدّة من الموت بحيث أن بؤبؤي عينيه قد تمددا، فيما راح جسده يفقد حرارته ويبرد. فروى ما يلي:

<< وجدت نفسي في حيّزٍ فارغ، وفي العتمة الكاملة، ومن الصعب عليّ شرح المكان، لكنني شعرت بأني أغوص في هذا الفراغ، في العتمة التامة. بيد أني بقيت على وعيي الكامل. وحدث الأمر وكأني قد أقحمت

في اسطوانة لا هواء فيها. واستحوذ عليَّ انطباع من اليمْبُسْ: Limbes[٣] وفي آن معاً كنت هنا وفي مكان آخر أيضاً. >>

ثمة إنسان قد " مات " عدة مرّات من جرّاء حروق خطيرة وجروح أصابته بسبب سقوطه على الأرض، فقال ما يلي:

<< بقيت أعاني من الصدمة طوال أسبوع تقريباً، وخلالَ هذه الفترة، وبصورة مفاجئة، مضيت بسرعة في هذا الفراغ الأسود وبدا لي أني لبثت هنا ردحاً من الزمان، وأنا أعوم أو أسقط عبْرَ الفضاء ... ولم أزل هكذا والفراغ يمتصني بحيث عجزت عن كل شيء آخر. >>

قبل انتقالنا إلى تجربة مماثلة حدثت لرجل إبّان طفولته، وقد عانى من قلق شديد بسبب الظلام. ومع ذلك عندما توقف خفقان قلبه من جرّاء حادث دراجة مؤلم وبسبب جروح مُنِيَ بها داخل جسده، قال ما يلي:

<< انتابني الشعور بأني أتحرك خلال واد طويل ومُعتم، وكانت شدّة الظلام كاملةً لا يمكن اختراقها بحيث أني لم أعد أشاهد شيئاً. لكن هذه التجربة غدت أروع ما حدث لي، والأكثر طمأنةً لي، ولم أنعم بها في أي يوم من حياتي كلها. >>

ثمة حالة أخرى، قالت عنها امرأة مصابة بالتهاب غشاء الكرش ما يلي: **<< كان الطبيب قد أدخل أخي وأختي ليُتيح لهما أن يُشاهداني للمرة الأخيرة. وحقنتني الممرضةُ بإبرة لكي تساعدني على الموت دون الجمّ الكثير من الألم. وراحت الأشياء التي كانت تحيط بي في المستشفى تبتعد عني أكثر فأكثر، فيما بدت تتراجع عني، وأدخلتُ رأسي أولاً في أنبوب ضيّق ومعتم جداً، ومررت تماماً خلالَهُ وبدأت أنزلق وأنزلق دون انقطاع. >>**

---

[٣] اليَمْبُس: مكان تواجد أرواح الناس الأبرار بعد موتهم، وقبل موت السيد المسيح على الصليب، وذلك حسب المذهب المسيحي الكاثوليكي [المترجم]

وهناك امرأة قد لامست الموت من جرّاء حادث للمرور، قد استمدّت مقارنةً بمشهدٍ مُتلفزٍ وقالت:

<< اعتراني انطباع من هدوء، من سلام مطلق، وتواجدت في نفق يتشكل من دوائر وحيدة المركز. وبعد هذه المغامرة بقليل، شاهدت على شاشة التلفزيون بثاً تحت عنوان " نفق الزمان " كان أشخاص يسيرون إلى الزمان الماضي خلال نفق بشكل حلزوني، أجل هذه هي أقرب صورة أستطيع أن أستخدمها. >>

رأى أحدُ الرجال الموتَ عن قرب شديد واستخدم تشابهاً مختلفاً نوعاً ما، وقد استمدّه من ثقافته الدينية، وقال ما يلي:

<< فجأةً، شاهدت نفسي في وادٍ شديد العمق والظلام، وكان هناك ما يُشبه الطريق، لِنقُل إنه طريق على جانب عُمقِ الوادي، ولبثتُ اتبع هذا الطريق. وبعد ذلك بكثير، عقب شفائي، قد راودتني الفكرة التالية: أني أعلم الآن ما يقصده " الكتاب المقدس " بقوله: " وادي الوفاة المظلم ": فأنا قد ذهبت إلى هناك. >>

٦- الانسلاخ عن الجسد

قلّما يكون ثمة شك في أننا نماهي أنفسنا بجسدنا المادي، وذلك في غالبية الأحيان وفي غالبية الأوضاع. وبالطبع نعترف أيضاً بأننا ننعم " بفكرة "، لكننا، على العموم، نميل إل أن ننسب لهذا الفكرة طابعاً سريع الزوال أكثر من جسدنا. ومهما يكن من أمر، من المحتمل ألاّ يكون الفكر هذا سوى نتيجة النشاط الكهرباني والكيميائي لدماغنا، وليس دماغنا سوى جزء واحد من جسدنا. وفي رأي العديد من الناس، إنها لَمُهمة مستحيلة تصوّرنا ما قد يستطيعُ فِعلُ الوجود أن يعني، خارج الغلاف الجسدي الذي نلبث معتادين عليه، رُغم كونه سجناً لروحنا.

إن الأشخاص الذين سألتهم، ما كانوا يختلفون بأي شيء (قبل تجربتهم، وبمجملهم)، عن المعدّل المتوسط لبقية البشر، بالنسبة إلى هذا الرأي. ولذلك تماما، عقب مرور سريع من النفق المعتم، يُمنى "المواتيّ" في غالب الأحيان بمفاجأة شديدة ساحقة. لأنه، خلال هاتيك اللحظة، من الممكن (بصورة كاملة) أن يتواجد وهو يتأمل جسده الخاص من خارج جسده، وكأنه مجرّد " مشاهد " أو " شخص آخر داخل الغرفة "، إذ يراقب الأشخاص الآخرين والحوادث " وكأن الأمر يعني مشهداً على خشبة المسرح " أو أيضاً " كأنّ الأمر مشهد من فيلم سينمائي. "

إليكم بعض المقتطفات من شهادات حيث توصف هذه الحوادث السّرية التي تعني " انسلاخ الروح عن الجسد. "

<< كنت في السابعة عشرة من عمري، وبقيت مع أخي نزاول العمل في ساحة لتسليات الجمهور. وذات يوم، قررنا الذهاب لكي نسبح، وقد فعل بعض الشباب الآخرين ما فعلنا نحن. وقال أحدهم: " ما رأيكم في اجتيازنا البحيرة سباحةً ؟ " وسبق لي أن قمت بذلك غالب الأحيان ولكن، في ذاك النهار، ولا أعرف لماذا، غرقتُ في وسط البحيرة تقريباً ... وعلى غرار رقاص الضغط Ludion، بدأت أصعد وأهبط، وشعرت فجأةً كأنّي ابتعدت عن جسدي بعيداً عن العالم كله، وحيداً في الفضاء. وفيما لبثت ثابتاً على مستوى معين، لم أزل أشاهد جسدي يصعد ويهبط في الماء، بقيت أشاهد جسدي من الظهر وعلى يميني نوعاً ما. ورغم هذا، اعتراني الانطباع بأني أقتني الشكل الكامل لجسدٍ تام، مع أني متواجد خارج جسدي. وأخذني شعورٌ بخفّةٍ لا أستطيع وصفها، وبأني شبيه بريشة خفيفة لطير من الطيور. >>

وها هي امرأة تروي ما حدث لها:

<< منذ سنة تقريباً، تمّ قبولي في المستشفى في أعقاب اضطرابات قلبية، وفي اليوم التالي، وأنا متمدّدة على سريري، بدأت أشعرُ بألم شديد

في صدري. فضغطت على زر الجرس قرب سريري منادية الممرضات، فهرعن مسرعات حولي. وإذ اعتراني انزعاج سيء جداً وأنا مضجعة على ظهري، أردت أن أنقلب على جانبي، ولكن، وأنا أقوم بهذه الحركة انقطع تنفسي وتوقف نبض قلبي. وسمعت الممرضات يعطين إشارة الخطر باللغة المدونة في المستشفى[٤]، وفي الحين ذاته شعرت بخروجي من جسدي وانزلقت إلى الأسفل ما بين الفراش وقضيب جانب السرير ـ وبدقة شديدة، بدا لي أني أمرّ خلال هذا القضيب ـ حتى أرض المكان. ثم ارتفعت بهدوء في الهواء وفيما لبثت أصعد، رأيت عدداً آخر من الممرضات يدخلن الغرفة راكضات ـ وكنّ قرابة اثنتي عشرة. وبالصدفة كان طبيبي في المستشفى وهو يقوم بجولته المعتادة، فنادينه وشاهدته يدخل هو أيضاً. وفكّرت: " يا للغرابة! ما الذي أتى به إلى هنا؟ " وبقيت ارتفع حتى أعلى مصباح السقف (فاستطعت رؤيته جانبياً وبوضوح بالغ)، وتوقفت عائمة فوق السقف تماماً، ونظري ينحو إلى الأسفل. واعتراني الانطباع بأني قطعة ورق أتتها نفخة لتجعلها تطير في الهواء.

>> ومن فوق، حضرت جميع مراحل الإنعاش. ولبث جسدي مضّجعاً هناك، ممدوداً على السرير، بشكل واضح، وكانوا يحيطون به. وسمعت صراخ ممرضة تقول: " آه ! يا إلهي، قد ماتت! ". فيما تمدّدت ممرضة أخرى لإنعاشي فماً بفم. وشاهدت قذال رأسها وهي تزاول عملها. ولن أنسى البتة شكل تسريحة شعرها، وكان شعرها مقصوصاً قصيراً على قذال رأسها. وفوراً عقب ذلك، لاحظت هذه الآلة [هذا الجهاز] التي أدرجوها في الغرفة، وراحوا ينجزون صدمات إلكترونيّة على صدري.

---

[٤] باللغة الإنكليزية: ! Code pink ! Code pink: تعبير رمزي لاستخدام العاملين في المستشفى، وهو يعين نوعية المناورة التي يجب إتباعها عند الطوارئ بقصد إنعاش المريض (N.D.T) [المؤلّف].

وفي الحال رأيت جسدي بكامله يقفز ويطفر فوق السرير، وسمعت قرقعة جميع عظام جسدي، وبات المشهد فظيعاً.

وفيما بقيت أنظرهم وهم يضربون صدري ويفركون ذراعي وساقيّ، بدأت أقول لنفسي: " لكنْ، لماذا يُمارسن على أنفسهن كلّ هـذا الجهـد المضني؟ فأنا أشعر أنني على ما يُرام الآن. >>

وهناك شهادة شاب صرّح لي بما يلي:

<< منذ سنتين تقريباً، وقد بلغت لتوي تسعة عشر عاماً من العُمر، كنت أصطحب صديقاً لي بسيّارتي، وعندما وصلت إلى مفترق الطريـق الشهير في أسفل مدينتنا، قمت بتوقف قصير وحرصت تماماً على توجيه نظري إلى الجهتين، ولم أجد أي شيء يتجه نحوي فاندرجت إذن فـي المفترق تماماً لأسمع رفيقي يُطلق صرخة مدوّية، وفـيّض لـي حـينَ لمشاهدتي ضوءاً شديداً جداً، أي مصابيح سيارة تتهافت علينا. وسمعت ضجةَ رهيبةـ فقد سُحق جانب سيارتي بكامله وشعرت خلال بضع ثوانٍ أني خُطفت في حفرة سوداء، في حيّز مُغلق. وقد جرى كل هذا بسُرعة. ثم وجدتني أعوم على ارتفاع مترٍ ونصف فوق الأرض، على بُعد خمسة أمتار تقريباً من السيارة، وسمعت صدى الاصطدام يبتعد عني ويـزول. وشاهدت أناساً يهرعون ويحتشدون حول السيارة، ثم رأيـت صـديقي يتخلص من هيكل السيارة، وبدا عليه أثر الصدمة. وشاهدت جسدي مـا بين قطع الحديد، في وسط الناس، وهم يحاولون إخراجي منها. وكانـت ساقاي ملتويتين وانتشر الدم مُتَشَرشِراً في كل مكان. >>

كما يسعنا أن نتصور ذلك بسهولة، عندما يشعر المرء بأنهُ مُقحمٌ فـي مثل هذه المغامرة الرديئة، فإن الأفكار والمشاعر غيـر اللائقـة بـالأكثر تنتاب ذهنه ومخيلتَه. وحسبَ رأي الكثير من الناس، إن مفهـوم **التواجـد والتموضع خارج جسد** كل واحد منهم مفهوم يعصى على التصور جـداً، بحيثُ أنهم، ولئن حدث لهم وضعٌ مماثل، يتخبطون فـي تمـام تـشوش

أفكارهم، فلا يخطر ببالهم أن يُقيموا صلة ما بين مثل هذا الظرف والموت ــ وأقلّه، قبل وقت ما قد يغدو وقتاً مديداً جداً. فهم يتساءلون عما يحدث: لماذا يتمكنون فجأةً من النظر إلى ذواتهم، عن مسافة، وكأنهم يحضرون مشهداً من المشاهد؟

إن ردود الفعل العاطفية الناجمة عن هذه الحالة ردود تتنوع وتتغير بشكلٍ يفوق كل الحدود. في أغلب الأحيان، وبادئ ذي بدء، ثمّة رغبة جنونية في الاندماج مجدداً في الجسد، دون تصوّر أية فكرةٍ عن الطريقة التي لا بد من الأخذ بها. ويتذكر آخرون أنهم قد استحوذ عليهم تخوّف شديد يبلغ تخوم الذعر والهلع. ومع ذلك، فالبعض منهم ينبئون عن ردود فعل أكثر إيجابيةً أمام هذا الوضع، كما في الحالة التالية:

<< كنتُ ضحية لمرض خطير، وأدخلني الطبيب في المستشفى. وفي ذاك الصباح، شملني ضباب رمادي نوعاً ما، **وغادرت جسدي وشعرت أني أعوم** في نفس الحين حيث أدركت أني أخرج من جسدي، فالتفتُ **ورأيتُ جسدي متمدداً على السرير تحتي أنا.** ولم يُرعبني ذلك. فكل شيء غدا هادئاً وادعاً صافياً. ولم أكن البتّة مضطرباً ولا خائفاً. ولبث الانطباع على هدوءٍ لا يوحي لي بأية خشية. وفكّرت أني لربما في طور " الموات "، وأنني إن لم أعد إلى جسدي، سيكون الموت قد استحوذ علي فعلياً. >>

إن المشاعر التي تنتاب آخرين مختلفين حيال الأجساد التي غادروها لتوّهم، تلبث أيضاً مشاعر متنوعة على نحو كليّ. فغالباً ما نصادف صنوفاً من الاندماج الودود الذي يولي اهتمامهُ بهذا الجسد. كان ثمة امرأة شابة على قيد متابعتها دراساتٍ لمزاولة التمريض، حينما انتابتها تجربتها، وذكرت خوفاً يتيسّر فهمُهُ:

<< أعلم أن الأمر بمقدوره أن يظهر غريباً، ولكنْ، في مدرسة الممرضات، قد ابتكروا إقناعنا بأن واجبنا هو بذل جسدنا للعلم. ولكن،

خلال كل هذه القضية، فيما بقيت أراقب جواري وهم يبذلون جهودهم ليُعيدوا إلي تنفّسي، لم أكف عن التفكير فقلت لنفسي: " لا أريد أن يستخدموا هذا الجسد كما يفعلون بأية جثّة ... >>

سمعت شخصين آخرين يُعربان بدقة عن الحرص ذاته فيما كانا في حالة انفصال عن جسديهما. وهنا ما يُثير الاهتمام، فإن هذين الشخصين كانا ينتميان إلى الوسط الطبي: أحدهما بصفته طبيباً والآخر كممرضة.

في حالة أخرى، تبدّى هذا الاهتمام مصحوباً بأسف مؤلم. وسبق لرجل أن عانى من توقف قلبه عقِب سقوطٍ خرج منه مبتوراً بصورة قاسية جداً فقال:

<< في حينٍ معين ــ أعرف الآن أني كنت مُضجعاً على سريري ــ ومع ذلك لبثت أرى تماماً السرير والطبيب المنهمك حولي. وبقيت لا أفهم شيئاً، فلم أزل أنظر جسدي ممدوداً، هناك على السرير، وبقيت حزيناً حزناً كريهاً لأني كنت أرى بأي مقدار هذا الجسد، وهو جسدي، كان مُتلفاً. >>

قد أكّد لي كثيرون أنهم تعرفوا بصعوبةٍ على جثتهم، كما يُبدي ذلك هذا المقطع المميّز:

<< بكل صراحة، لا، ما كنت أدرك مطلقاً أني لبثتُ أشبهُ هذا ! كما تعلم، لا أرى عادةً نفسي إلا بالصورة الضوئية، أو حينما أنظر ذاتي أمام المرآة، وهذا ما يعطي صورة مسطحة.

لكن هنا، وفجأةً، كنتُ ــ أو بالأحرى كان جسدي أمامي وأستطيع أن أنظره، كنت أراه رؤيةً كاملة حقيقية على مسافة مترين تقريباً. ولزمني بعض الوقت لإدراكي أن ذلك كان أنا أي جسدي. >>

في قصة أخرى، اتخذ هذا الانطباع الغريب أمام الإنسان ذاته نسبا قصوى، بل بلغ حدود الدعابة الظريفة. فكان ثمة إنسان امتهن الطب

وروى علي كيف بقي قرب سريره، فيما لبث في حالة "الموات" السريري، وراح يتأمل جسده بعد انسلاخ روحه عن هذا الجسد الذي أمسى يتسمم بلون رمادي يتخذه كل جسد عقب الموت. وإذ غدا متحيراً مضطرباً راح يتساءل عما ينبغي فعلُهُ. وغدا تصميمُهُ الأول أن يغادر المكان لكي لا يفسح المزيد من المجال لتكدّره. وبقي يتذكر قصص أشباح كان جدّه يرويها إبّان الطفولة، وعلى نحو مفارق << لم يعُدْ يستحبّ التباطؤ قرب ذاك الشيء الذي يُشبهُ جثةً ـ ولئن كانت جثتَهُ ! >>

وبوجه معارض لما سبق، قال لي البعضُ إن أجسادهم لم توح لهم بأي شعور خاص. ومن بين هؤلاء، أصيبت امرأة بأزمة قلبية عنيفة وتيقنت من أنها على وشك الموت. وشعرت بأنها مجذوبةً من خلال ممرّ معتم خارج جسدها وطفقت تبتعد عنه بسرعة. وتابعت قصتها بقولها ما يلي:

<< وحتى لم ألتفت لكي أنظر جسدي. أوه ! بقيتُ أعلم أنه لم يزل هناك، وبوسعي أن أراه لو أردت ذلك، لكني لم أرد قطعياً، لأني أعرف أنني قد تصرفت دائماً أفضل تصرف في حياتي، ولم يزل كل انتباهي متركزاً على هذا الترتيب الجديد للأمور. وحسب رأيي، في ذاك الحين، إن التفتُ لكي أشاهد جسدي لجعلني هذا الأمرُ أتشبّث بالماضي، وهذا ما صرت مصممة على تجنّبه. >>

وبصورة مشابهة، كان ثمة فتاة شابة، قد مرّت بتجربة ابتعاد روحها عن جسدها في أعقاب حادث أليم حيث أصيبت بجروح خطيرة، وأكّدت على ما يلي:

<< رأيت جسدي محصوراً في قفص السيارة الحديدي، في وسط حشد غفير من الناس راحوا يتزاحمون حولي، ولكن قد تركني كل ذلك على عدم المبالاة. وكأن الأمر لا يخصني أو يخص شيئاً آخر. ولم أجهل أنه جسدي، لكن الأمر لم يستقطب اهتمامي. >>

خلال كل هذه القضية، فيما بقيت أراقب جواري وهم يبذلون جهودهم ليُعيدوا إلي تنفسي، لم أكف عن التفكير فقلت لنفسي: " لا أريد أن يستخدموا هذا الجسد كما يفعلون بأية جثة ... >>

سمعت شخصين آخرين يُعربان بدقة عن الحرص ذاته فيما كانا في حالة انفصال عن جسديهما. وهنا ما يُثير الاهتمام، فإن هذين الشخصين كانا ينتميان إلى الوسط الطبي: أحدهما بصفته طبيباً والآخر كممرضة.

في حالة أخرى، تبدّى هذا الاهتمام مصحوباً بأسف مؤلم. وسبق لرجل أن عانى من توقف قلبه عقبَ سقوط خرج منه مبتوراً بصورة قاسية جداً فقال:

<< في حينٍ معين ــ أعرف الآن أني كنت مُضّجعاً على سريري ــ ومع ذلك لبثت أرى تماماً السرير والطبيب المنهمك حولي. وبقيت لا أفهم شيئاً، **فلم أزل أنظر جسدي ممدوداً، هناك على السرير**، وبقيت حزيناً حزناً كريهاً لأني كنت أرى بأي مقدار هذا الجسد، وهو جسدي، كان مُتلفاً. >>

قد أكّد لي كثيرون أنهم تعرفوا بصعوبةٍ على جثتِهم، كما يُبدي ذلك هذا المقطع المميّز:

<< بكل صراحة، لا، ما كنت أدرك مطلقاً أني لبثتُ أشبهُ هذا ! كما تعلم، لا أرى عادةً نفسي إلا بالصورة الضوئية، أو حينما أنظر ذاتي أمام المرآة، وهذا ما يعطي صورة مسطحة.

لكن هنا، وفجأةً، كنتُ ــ أو بالأحرى كان جسدي أمامي وأستطيع أن أنظره، كنت أراه رؤيةً كاملة حقيقية على مسافة مترين تقريباً. ولَزِمني بعض الوقت لإدراكي أن ذلك كان أنا أي جسدي. >>

في قصة أخرى، اتخذ هذا الانطباع الغريب أمام الإنسان ذاته نسباً قصوى، بل بلغ حدود الدعابة الظريفة. فكان ثمة إنسان امتهن الطب

وروى علي كيف بقي قرب سريره، فيما لبث في حالة "الموات" السريري. **وراح يتأمل جسده بعد انسلاخ روحه عن هذا الجسد** الذي أمسى يتسم بلون رمادي يتخذه كل جسد عقب الموت. وإذْ غدا متحيرا مضطربا راح يتساءل عما ينبغي فعلُه. وغدا تصميمُهُ الأول أن يغادر المكان لكي لا يفسح المزيد من المجال لتكدّرِه. وبقي يتذكر قصص أشباح كان جدّه يرويها إبّان الطفولة، وعلى نحو مفارق **<< لم يغدْ يستحبّ التباطؤ قرب ذاك الشيء الذي يُشبهُ جثةً ـ ولئن كانت جثتَهُ ! >>**

وبوجه معارض لما سبق، قال لي البعضُ إن أجسادهم لم توح لهم بأي شعور خاص. ومن بين هؤلاء، أصيبت امرأة بأزمة قلبية عنيفة وتيقنت من أنها على وشك الموت. **وشعرت بأنها مجذوبة من خلال ممرّ معتم خارج جسَدها** وطفقت تبتعد عنه بسرعة. وتابعت قصتها بقولها ما يلي:

<< وحتى لم ألتفت لكي أنظر جسدي. أُوه ! بقيتُ أعلم أنه لم يزل هناك، وبوسعي أن أراه لو أردت ذلك، لكني لم أرد قطعياً، **لأني أعرف أنني قد تصرّفت دائماً أفضل** تصرف في حياتي، ولم يزل كل انتباهي متركزاً على هذا الترتيب الجديد للأمور. وحسب رأيي، في ذاك الحين، إن التفتُّ لكي أشاهد جسدي لجعلني هذا الأمرُ أتشبّث بالماضي، وهذا ما صرت مصممة على تجنّبِه. >>

وبصورة مشابهة، كان ثمة فتاة شابة، قد **مرّت بتجربة ابتعاد روحها عن جسدها** في أعقاب حادث أليم حيث أصيبت بجروح خطيرة، وأكّدت على ما يلي:

<< **رأيت جسدي محصوراً في قفص السيارة الحديدي**، في وسط حشد غفير من الناس راحوا يتزاحمون حولي، ولكن قد تركني كل ذلك على عدم المبالاة. وكأن الأمر لا يخصني أو يخص شيئاً آخر. ولم أجهل أنه جسدي، لكن الأمر لم يستقطب اهتمامي. >>

رغم المظهر الذي يفوق الطبيعة لهذه الحالات من **انفصال الروح عن الجسد**، فالظاهرة هذه تفرض نفسها على " المواتي " بشكل شديد المفاجأة، حتى يترتب عليه أن يتمهل نوعاً ما لكي يعي وعيا كاملاً وضعاً جديدا بمقدار بالغ. وبوسعه أن يلبث جسده خلال فترة من الزمن، سعياً منه بشكل يائس إلى أن يضع شيئاً من الترتيب في هذه السلسلة من الأمور الغريبة التي اقتحمتهُ وهزمت قواه الذهنية، وذلك قبل إدراكه أنه على وشك الموت الحقيقي، لا بل أنه قد مات.

وأخيراً، عندما يتدخل هذا الوعي، فذلك يُحدث بصورة عامة ردة فعل شديدة ويثير بعض الأفكار المخيفة. وتذكرت إحدى النساء بأن الفكرة التالية راودتها فقالت: " أوه ! قد متُّ ! وكم هذا الأمر حسن ! "

وأعلن أحد الرجال أن الفكرة التي طرأت على باله كانت التالية: " إذن، أهذا ما يُسمّى الموت؟!"

ومن الممكن أن تكون هذه الملاحظة سبباً لحيرة كبيرة، بل أنها تترافق برفض قبول هذا الوضع. وعلى سبيل المثال، تذكّر أحدهم أنه ذكر الوعد الوارد في " الكتاب " [المقدس] أي " ثلاث مرّات عشرين سنة زائد عشر سنوات "، وأنه تشكّى لأنه لم يحق له إلا عشرين سنة مرّة واحدة.

روت لي امرأة شابة نموذجاً مؤثراً جداً من أفكارٍ تنتمي إلى هذا النوع:

<< قُلت لنفسي إني ميتة، لكن ليس كوني ميتة هو الذي أقلقني بل كوني لا أعرف أين من المفروض أن أذهب. **وكانت فكرتي وحالة وعيي بدقة كما هما في الحياة**، لكني لم أتمكن من أية رؤية واضحة في هذا الوضع الجديد. فرحت أكرّر لنفسي: " ماذا سأفعل؟ وأين ينبغي علي أن أذهب"، وقلت أيضاً: " يا إلهي، ها أنذا ميتة ! وليس من الممكن تصديق هذا ! "، لأن الإنسان لا يمكنه البتّةَ أن يصدق تماماً أنه سيموت يوماً من

الايام ! فهو أمر لا يحدث إلاّ للآخرين. مع أنه ليس ثمة أي شك حول ما يحدث. فالإنسان لا يفلح بتةً في التأكد من هذا الأمر. وعندئذ، انتهيت إلى اتخاذ القرار لانتظاري نهاية هذه الأمور المشوشة. وانتظاري أن يُحمل جسدي، وبعدئذ سيحين الوقت لأرى هل سأقدر أخيرا أن أعرف إلى أين أتوجّه. >>

في حالة أو حالتين أُخبرت بهما، كان ثمة محتضران انسلخ ذهنهما أو نفسهما أو وعيهما (حسب اختيار القارئ) عن الجسد، وأكّدا لي أنهما، في أعقاب هذه القطيعة، ما كانا يشعران من بعد بأي نوع من الأجساد. وكان انطباعهما بأنهما على " وعي خالص ". وقد علق أحدهما بقوله ما يلي: " **كنت أستطيع أن أرى كل شيء حولي – بما في ذلك جسدي المتمدّد على السرير – دون أن يحتل أي حيّز** " يعني بذلك: كأن الجسد قد بات " نقطةً " من الوعي. وقال آخرون إنهم لم يتذكروا من بعد إن كان لهم "جسد" عقب مغادرتهم أجسادهم، لأنهم ظلوا منهمكين انهماكاً مفرطا بمشاهدتهم ما كان يحدث حولهم.

ومقابل ما سبق، إن الأكثرية الساحقة من هؤلاء الأفراد الذين استجوبتهم قد أكّدوا بصراحة أنهم **في أعقاب انسلاخهم عن أجسادهم قد رأوا أنفسهم مزوّدين " بجسد " آخر**. وهنا نتناول بالضرورة ميدانا مختلفاً يغدو تحليلُهُ دقيقاً بوجهٍ بالغ: فإن هذا " الجسد الجديد " يمثل في العدد القليل من العناصر الخاصة بتجربة " المواتيين " الذين يطرحون مشكلة عدم تلاؤم اللغة البشرية. فقُرابة جميع من حاولوا التحدّث إلي عن هذا " الجسد الجديد " قد أفضى بهم الأمر إلى العدول عن الكلام فقالوا: " **من المستحيل أن نصف** " أو توسلوا بصيغة مماثلة لإعرابهم عن استحالة التعبير عما شاهدوه وشعروا به.

لكن، يلبث من الثابت أن جميع الشهادات المتصلة بهذا " الجسد الآخر " تُشير فيما بينها إلى تشابهات وثيقة ومشتركة. ولئن استخدم كل

واحد منهم ألفاظاً مختلفة أو لجأ إلى تشبيهات متغايرة، فإن هذه التعابير المتنوعة تظهر دائماً منتمية إلى نموذج هو ذاته. فالأوصاف تتقاطع وتتلاقى. ولا سيما حول ما يخص الأوصاف الخاصة التي تميّز طابع هذا الجسد الجديد. ومن ثمّ، سوف أكتفي بكلمة بمقدورها أن تقترح فكرة دقيقة بمقادير مختلفة لهذه الخصوصيات – وهي كلمة، علاوة على ما سبق، قد استخدمها العديد من هؤلاء الأفراد. وبالتالي، سأتبنّى منذ الآن المصطلح " **الجسد الروحي** ".

لربما يبدو أن " المواتيين " يبدأون بوعيهم جسدهم الروحي عندما يلاحظون حدوده. ففي الواقع، يكتشفون، عقب مغادرتهم جسدهم المادي، أنهم مهما جهدوا بصورة يائسة لكي يستقطبوا انتباه الأشخاص الحاضرين خلال الوضع الناشئ بتلك الصورة فهُم لا يفلحون في جهودهم: فلا أحد يسمعهم. وهذه الظروف يُوضحها النصّ التالي الذي أستقيه من إفادة امرأة وقعت ضحية حصار التنفس، فنقلت إلى غرفة الإنعاش وإليكم ما قالت لي:

<< كنت أراهم وهم يحاولون بعثي من " الموات ". وكان الأمر غريباً جداً، وكأني متواجدة على قاعدة ليست عالية جداً بالنسبة إليهم، بل بالأحرى وكأني أنظر من فوق أكتافهم. **ولبثت أحاول التحدث إليهم لكن أحداً منهم ما كان يسمعني**، ولا أحد خطر على باله أن يُصغي إليّ. >>

وكأنّ الوضع لَبِثَ ينحو إلى تفاقم حالة الصوت الذي يبقى غير مسموع، فإن من يحتل جسداً روحياً يلحظ بسرعة أنه قد أصبح أيضاً هو نفسه غير مرئي. وإن مجموعة العمل الطبي وجميع من يتزاحمون حول الجسد المادي باستطاعتهم تماماً أن يركّزوا أنظارهم على المكان حيث يتموضع الجسد الروحي، لكنهم يظهرون غير مدركين البتّة أي شيء كان. فإن **الجسد الروحي**، إلى جانب ما سبق، لا يمثّل أية صلابة [يستطيع الإنسان إدراكها بحواسّه]: وإن الأشياء المادية الموضوعية قرب جسد

الإنسان الحي تخترق هذا الجسد الروحي ولا تجد أيّ عائق في تحركها. فالجسد الروحي لا يستطيع أن يمسك بهذه الأشياء ويعجز أن يلمس أحدا من الحاضرين.

<< ظلّ الأطباء والممرضات يدلّكون جسدي تدليكاً شديدا لكي يعيدوا إليّ دورتي الدموية ويُرجعوني إلىّ الحياة. أمّا أنا، فما كنت أكف عن الصراخ قائلا: " اتركوني وشأني ! فكل ما أطلبه، أن تتركوني وشأني، وكفاكم تكرّرون الضربات عليّ ! " لكنهم ما كانوا يسمعونني. فعندئذ أردت أن أمسك بأيديهم لكي أردعهم عن تعذيبي، ولكن دون جدوى. وعجزت عن فعل أي شيء. والحق يُقال، كان الأمر وكأني لا أعرف ما يحدث، وما كنت أنجح في أن أمسك بأيديهم. رغم شعوري بأني أصل إليهم وبذلت جهوداً لإبعادهم عني، ولكن، مع اعتقادي أنني قد دفعتهم عني فقد بقيت هذه الأيدي متواجدة أمامي. وما كنت أعرف إن ظلت يداي تجتازهم أو تحيطان بهم، أو شيئاً آخر [دون أن يشعروا بذلك]. ولم أشعر بأني ألمس هذه الأيدي التي لم أزل أحاول الإمساك بها ... >>

أو أيضاً:

<< كان متسكعون يهرعون من كل جانب نحو مكان الحادث الأليم. ؤالاحظهم مُحتلاً منتصف رصيف ضيق جداً. ولكن، فيما كانوا يقتربون م يظهر عليهم أنهم يلاحظون وجودي. فراحوا يبتعدون وهم ينظرون مامهم مباشرةً. وعندما أصبحوا قريبين مني تماماً أردت الابتعاد لأفسح جالاً لمرورهم **لكنهم لم يزالوا يتقدمون من خلالي.** >>

علاوةً على كل هذا، يتم التوافق بوجه ثابت على وصف الجسد لروحي كجسدٍ لا وزن لهُ. ويُدرك غالبيتهم ذلك عندما (كما حدث ذلك في عض المقاطع التي وردت سابقاً) يتواجدون وهم يحومون عند سقف غرفتهم، أو في الهواء فقط. ويذكر كثيرون انطباعهم عند " العَوْم "، أو

شعوراً بعدم الوزن، أو ذهابهم من مكانهم بشكل عشوائي، وذلك حينما يتكلمون عن جسدهم الروحي الجديد.

في الحالة الطبيعية، متى نقطن في جسدنا المادي، ننعم بالكثير من أنماط الإدراك الحسي التي يسعنا بفضلها أن نموضع بدقة، في الفضاء حولنا، المكانَ الذي نحتلّهُ مع جميع أعضائنا، سواء أكنا على سُكون أم على حركة وتنقّل. وإن رؤية التوازن واتجاههُ يقومان بطبيعة الحال بدور هام في هذه الظروف، لكن ثمة عنصراً آخر يتدخل أيضاً في هذه العملية: ألا وهو عنصر الحركة cinesthésie وهو شعورنا بالحركة أو بتوتر عضلاتنا، أو أطراف عضلاتنا [أي الأوتار]، أو مفاصل أعضائنا. ولسنا نعي، على العموم، الإحساسات التي تأتينا من حسّ عنصر الحركة، لأن الإدراك الحسي الذي يرد إلينا عن ذلك يتضاءل من جرّاء حالة اعتياد مديد الزمان. ورغم ذلك أظن أننا، لو فقدنا هذا الإدراك الحسي فجأةً، لربما لاحظنا في الحال غيابهُ. ولكن، فعلياً، أكد لي أشخاص عديدون أنهم كانوا على وعي بغياب الإحساسات الجسدية كمثل الوزن، والحركة والتموضع، حالما تواجدوا في جسدهم الروحي.

إن هذه الميزات النوعية للأجساد الروحية، التي قد يُمكن في الوهلة الأولى أن تُعتَبر بمثابة أنواع من التحديد، ميزات تستحق أيضاً أن تؤخذ في الحسبان كغياب لهذه التحديدات. ولا بد أن نتصور هذا الأمر بالطريقة التالية: **إن شخصاً في جسد روحي ينعم بحالة متميّزة** بالنسبة إلى الأشخاص الأحياء الذين يُحيطون بهِ، لأن هذا " المواتي " يستطيع أن يراهم ويسمعهم دون أن يروه ويسمعوه (وكم من الجواسيس قد يشتهون هذا الوضع !). وإلى جانب ما سبقَ، لئن قد يظهر مقبضُ بابٍ كشيء لا يستطيع الجسد الروحي أن يُمسكهُ مع أنهُ يلمَسُه، فأية أهمية لذلك ؟ أما يكتشف بعد قليل أن يتسنى له المرور من خلال هذا الباب المُغلَق ؟ وحالما يعتاد الفردُ " المواتي " على هذه الحالة الجديدة، فإن السفر يغدو له

على سهولة استثنائية، والمواد الفيزيائية لا تعرقله بأية معارضة، والتنقل من مكان إلى آخر يتيسّر حدوثه بسرعة قصوى، وفي الحال نوعا ما.

هيا بنا نمضي إلى ما هو أبعد: فمهما يكن الجسد الروحي عصيا على الإدراك المادي بالنسبة إلى جواره الفيزيائي، فإن جميع من أتيحت لهم هذه التجربة يتوافقون على تأكيدهم أن **هذا " الجسد " هو بالتأكيد " شيء" من الأشياء**، ولئن استحال إنجاز أي وصف لَهُ. وإن صدقنا هؤلاء الناس، فإن الجسد الروحي ينعم بمظهر أو بشكل: وأحياناً يُشبِهُ بغيمة، بكرة، أو دون حدود دقيقة، لكنه في غالب الأحيان يتخذ أيضاً المظهر العام للجسد المادي. بل يُشفعُ أيضاً بأعضاء: استطالات أو مظاهر توحي بالذراعين، بالساقين، برأس وهلم جراً ... وحتى عندما يوصف الشكل العام كشكل كرويّ بصورة لا دقة فيها، فهذا الشكل غالباً ما يُعتبر ذا حدود، له علوّ ولَهُ انخفاض محدودان تماماً، كما له هذه الأطراف التي ذُكرت للتو.

وُصف لي هذا " الجسد الروحي " بألفاظ متنوعة جداً، ولكني أدركت بسرعة أن الفكرة ذاتها يُعبّر عنها دائماً في كل حالة من الأحوال المعنية هنا. ومن بين الكلمات التي استخدمها أفراد مختلفون، سجلت ما يلي: غيمة، ضباب، نوع من دخان، بُخار، شفافية، غيمة ملونة، دخان بركاني، مركز للطاقة، وكلمات أخرى أيضاً توحي بصور مشابهة.

وأخيراً، إن جميع من رَوَوا لي ما سبق تقريباً قد أشاروا إلى أن هذه الحالة مصحوبة " بغياب الزمان "، وقال كثيرون أنهم فيما لبثوا ملتزمين بروايتهم هذه الفترةَ الروحيةَ البينيّة [بين الحياتين] بكلمات الزمان (حيث أن لغة البشر زمنية)، **فإن الزمان لم يُذكر فعلياً** ما بين عناصر تجربتهم كما يجري هذا الأمر في الحياة المادية المعتادة. وإليكم مقتطفات من خمس مقابلات، وهي تُشكل المقدار ذاته من الشهادات التي أدلى بها " المَوَاتيون" للمرة الأولى، وخلالها ذُكرت بعض المظاهر الفانتَستيكيَة [أي غريبة وعجيبة] للوجود في حالة جسدِ روحيّ.

خمس شهادات:

الشهادة الأولى: << فقدتُ السيطرة على قيادة سيارتي في منعطف للطريق، فخرجتُ عنه، وقفزتُ في الهواء – أتذكر أني شاهدت السماء الزرقاء – حتى سقطتُ في حفرة. وحينما كانت السيارة تبتعد عن الطريق، قلت لنفسي: " في هذه المرّة، هذه هي حادثتي المؤلمة ! " وفي الحال، فقدت مفهوم الزمن ومفهوم واقعي المادي بصفتي جسداً حيّاً – وفقدت التماس مع جسدي المادي – إن " كياني "، أو أناي، أو روحي – أطْلِقوا اسماً على هذا كما تودّون – قد شعرت بأنه يصعد خارج ذاتي، من خلال رأسي، ولم يؤلمني ذلك، وكان الأمر وكأن " كياني " راح يرتفع، وكأنه يعلو فوق جسدي المادي.

<< كان لـ " كياني " بعض الكثافة، نوعاً ما في النهاية. لا أعني كثافة مادية – ولربما أقول بالأحرى موجات، أو شيئاً ما مثل ذلك، لا أعرف: لا شيء مادي في الحقيقة، لِنقُلْ شحنة كهربائية، بدا هذا أفضل. ومع ذلك، فقد بقي شيئاً من الأشياء. بل صغيراً، كروياً على نحو غامض، ولكن مع حواف دقيقة، غيمة أو تكاد.

<< لما خرج هذا " الكيان " من جسدي، قد بدا لي أن جزءاً مُحدّباً أكثر قد انطلق أولاً، والجزء الأكثر نعومةً في الآخر [...] ولبث كل هذا خفيفاً، خفيفاً جداً. ولم يُحدث هذا الأمر أي توتّر على جسدي (المادي)، بل كان شعوراً منفصلاً تماماً. ولم يعد جسدي الجديد يقتني أيّ وزنٍ.

<< وأتى الحينُ الأشد غرابة عندما صارَ " أنايَ " "mon "moi معلقا فوق صفحة وجهي الجسَدي، وكأنهُ لا يتمكّنُ من اتخاذه القرار للذهاب أو للبقاء. وانتابني الانطباع أن الزمان قد توقف. وفي بداية الحادث كما في آخره، جرى كل شيء بسُرعة شديدة، ولكنْ، في ذاك الحين، في الحين الفاصل، فيما ظل كياني معلّقاً فوق جسدي وكانت السيارة تتجاوز التلعة، بدا لي أن زمناً طويلاً جداً لبث يمرّ قبل أن تصل

السيارة إلى حيز سقوطها. وخلال هاتيك المدّة، ما كنت اهتم كثيرا بالسيارة، بالحادث، ولا حتى بجسدي، ولكن " بروحي " وحسب " (...).

<< لم يكن " كياني" أي شيء مادي، لكني مُرغم تماماً على توسّلي بكلمات مادية لكي أحاول وصفهُ. ولربما يتيسّرْ فعلُ ذلك بكثير من الطرق المختلفة، إذْ استخدم مفردات من جميع الأنواع، لكن أي واحد منها قد لا يُعطيكم فكرة لها دقة كاملة. ومن العسير وصف ذلك.

أخيراً بلغت السيارة الأرض وانقلبت ولكن لم أُصب في الواقع بجروح سوى ألمٍ في عنقي ورضةٍ في قدمي. >>

الشهادة الثانية: << (عندما غادرت جسدي المادي) حدث الأمرْ وكأني أخرج من جسدي لكي أدخل في شيءٍ آخر. ولم يأتني الانطباع بأني لست بعدُ شيئاً، **بل صار لي جسد آخر** ... ولكن لا جسد إنسان عادي. فهو مختلف نوعاً ما. ولم يكن بدقة كجسدٍ بشري، ولا أيضاً كمثل كرة كبيرة مادية. بل غدا لها شكل دون أي لون. وأعلم أنه كان لي شيءٌ ما قد يتيَسّر تسميته بيدين.

<< ليس من الممكن وصف هذا الجسد. وإلى جانب ما سبق، كنتُ مفتوناً بإفراط أكثر بكثير من جرّاء ما يحدث حولي، وبسبب رؤيتي لجسدي (المادي)، ولم أنتبه بالتالي كثيراً لهذا الجسد الجديد الذي أصبح جسدي. وتَبيّنَ لي أن كل شيء كان يجري بسرعة شديدة. ولم يعد للوقت أي حساب >> . فكان يبدو أن كل شيء يجري على نحوٍ أسرع عندما يبقى " الموَاتيُّ " خارج جسده.

الشهادة الثالثة: << أتذكر أنني نُقلتُ إلى قاعة العمليات الجراحية وتبعت هذا النقلَ ساعات عسيرة بالنسبة إليّ. وفي تلك الغضون، ما كنت أتوقف عن العودة إلى جسدي والخروج منه، لكني لبثت أستطيع أن أرى جسدي تماماً حينما أتواجد فوقَهُ. لكن خلال هاتيك اللحظات كان لي جسد

آخر ــ لا جسد مادي، بل شيءٌ ما قــد يــسعني أن أقارنـــه بجــسدي أو بالأفضل بمركز يتّسِمُ بالطاقة. وإن لزم بوجهٍ مُطلق أن أســتخدم بعــض الكلمات، فقد أقول إن هذا الشيء لبث شفافاً، كياناً روحياً يُعارض الكيــان المادي. ولم يعد الأمر يمنعهُ عن أن يشتمل على أجزاء مختلفة. >>

الشهادة الرابعة: << حينما توقف خفقان قلبي (...) شــعرت بــأني أشبه بالوناً كُروياً، وعَساني أيضاً قد صرتُ كُرةً صغيرة داخل هذه الطابة الكروية. وها أنذا عاجز عن شرحي هذا الأمر. >>

الشهادة الخامسة: << سبق لي أن خرجت من جــسدي، ولــم أزل أنظرهُ، **عن مسافة عشرة أمتار تقريباً**، غير أني بقيت على وعيي، وعي كامل كما في الحياة العادية. وظل مكان فكرتي يتموضعُ على علوّ طبيعي بالنظر إلى جسدي المادي. ورغم هذا، لم أتواجد في جسد حقيقــي. بــل أتذكّر شيئاً ما، ــ وكما يُقال ــ نوعاً من كبسولة ذات شكل واضح جــداً، ولم أُميّزها، فقد بدت لي بالأحرى شفافةً، دون شــفافية كاملـــة. وكــأني أمسيتُ في داخلها ــ ولعلها كانت طاقةً، أو إذا أردتم، تمركــزاً صــغيراً للطاقة. ولم أشعر بأي إحساس جسدي مادي ــ ولا إحساس حــراري ولا شيء من هذا القبيل. >>

وذكر بعض الأفراد، في تقاريرهم، ذكراً مقتضباً الهوية، الشكلية مــا بين جسدهم المادي وجسدهم الجديد. وصرّحت لي إحدى النــساء، حــول إقامتها خارج جسدها، بقولها ما يلي:

<< كنت أشعر بأن شكل جسدي كامل، فكان لي ذراعــان وســاقان، والبقية كلها - غير أني افتقدت كل وزن. >> وقالت سيدة أخــرى بقيــت تُراقب محاولات الإنعاش الممارسة على جسدها: << استمرّ وضعي داخل جسد. ولبثتُ متمدّدةً أنظر إلى الأسفل، وأُحرك ساقيّ ولاحظت أن إحــدى الساقين غدت أكثر حرارة من الأخرى. >>

وعلى غرار حرية الحركة ذاتها، كان الوضع الروحي يتسم، حسب بعض الأفراد، بحرية فكرية مماثلة. وإن " المواتيين " غالباً ما أخبروني باكتشافهم (عقب تأقلمهم مع وضعهم الجديد)، أنهم **ينعمون بفكر أوفر صفاءً وأشد سرعةً** مما كانوا عليه في الجسد المادي. ومن بين هؤلاء، أكد لي أحدهم أنهُ فيما لبث " مواتياً " قد اعتقد ما يلي:

<< ... ما يظهر لنا مستحيلاً هنا [أي في الجسد المادي الحي]، قد صار فجأة ممكناً. فإن ذهننا يُصبح على وضوح جلي عجيب. فقد راح فكري يُدوّنُ كل شيء ويحل جميع المشكلات، ولم يحدث لي هذا قط فيما مضى، وذلك، دون اللجوء أكثر من مرة إلى الأفكار ذاتها. وبعد حين وجيز اتخذت تجربتي هذه معنى من المعاني نوعاً ما. >>

في الجسد الجديد، يغدو الإدراك الحسي، في آن معاً، مشابهاً للإدراك الذي يظهر في الجسد المادي ومتميّزاً عن هذا الإدراك. وحسب بعض النسب، تبقى الحالة الروحية محدودة، كما رأينا ذلك، ويلبث عامل الحركة cinesthésic بصفته الذاتيّة غائباً عن هذه الحالة الروحية. وثمة بعض الأشخاص يلمّحون لنا بأنهم لم يشعروا بأية حرارة، فيما ظل آخرون أكثر عدداً يذكرون " حرارة " مُمتعة. لكن أحداً منهم لم يتكلم عن أية رائحة أو أي مذاق خلال حلولهم خارج جسدهم المادي.

بالمقابل، إن الإحساسات المصاحبة لحاسة الرؤية المادية ولحاسة السمع تستمرّ إحساسات كاملة في الجسد الروحي بل تظهر مُرهفة بمقدار بالغ، أي أوفر كمالاً مما هي عليه في الوجود المادي. ووضح أحد الأفراد، أن رؤيتَهُ - فيما لبث " مواتياً " غدت أقوى مما كانت عليه وبمقدار لا يُصدق، وإليكم هنا كلماته التي نطق بها: << لا أستطيع أن أفهم كيف استطعتُ أن أرى بعيداً بذاك المقدار. >> وذكرت إحدى النساء ما يلي: << كان يجري كل شيء وكأن هذه الملكة الروحية لا حدود لها، وكأنهُ قُيض لي أن أشاهده جميع الأشياء وفي كل مكان. >> وتم وصف

هذه الظاهرة وصفاً رائعاً جداً في هذا المقطع من شهادة أدلت بها امرأة سبق لها أن انفصلت عن جسدها من جراء حادث أليم:

<< كان هناك تشويش وبلبلة، وأناس يزدحمون حول سيارة الإسعاف، وكلما نظرت أحدهم وأنا أسعى إلى أن أحزر أفكاره، شعرت بحركة " زووم " كما تفعل آلة تصوير سينمائي بوسيلة عدسة تقرّب ما هو بعيد عنها، وإذا بي صرت فجأة قريبة جداً من ذاك الشخص. مع أنه كان يبدو لي أن هذا الجزء من كياني (وأدعوه " فكري ") لم يُغير مكانَه، على مسافة بضعة أمتار بالنظر إلى جسدي المادي. ومتى رغبتُ أن أرى شخصاً يتواجد بعيداً عني، فكأن شيئاً منّي، (نوعاً من رأس متتبع tête chercheuse)، كان يتهافت نحو هذا الشخص. فينتابني الانطباع أنه لو حدث شيء أينما كان في العالم لَسَهُل علي أن أحضر حُدوثَ ذاك الشيء. >>

إن السمع، في حالة الجسم الروحي، لا يمكنْ، كما يبدو، أن يُشار إليه بهذا الشكل إلا عن طريق التماثل، ويقول غالبية الشهود أنهم لا يسمعون في الحقيقة أنواعاً من الرنين أو الصوت، بل يبدو لهم بالأحرى **أنهم يدركون مباشرةً أفكار من يُحيطون بهم**، وكما سنرى فيما بعد، إن هذا التواصل المباشر من وعي إلى وعي سيصير على أهبة القيام بدورٍ هام خلال المراحل التالية لتجربة " المُواتيين ".

وأعربت إحدى النساء عما جرى لها وهي " مواتية " كما يلي:

<< كنت أشاهد أناساً حولي وأفهم ما يقولون. ولم أسمعهم بأذنيّ كما أسمعك الآن. بل لبث الأمر وكأنني أعلمِ ما يفكرون، وبدقة ما يطرأ على بالهم، أي بالفكر فقط لا بمفرداتهم. ولبثتُ أتلقى فكرتهم قبل ثانية من تحريك شفاههم لكي يتكلموا. >>

أخيراً، إذْ اعتمد شهادةً فريدة، لكنها ذات الكثير من المغزى، أشير إلى أن تلَفاً (وحتى خطيراً) للجسد المادي لا ينال بشيء من تمامية الجسد الروحي. وبهذه المناسبة، كان الأمر يعني رجلاً قد بُترت ساقه خلال حادث أليم أدّى بالضرورة إلى إصابته بالموت السريري. وكان يعلم أنه مُني بالبتر هذا، رغم بعض المسافة، رأى بوضوح جسده مبتوراً وينحني عليه طبيب جرّاح، ولكن، فيما تواجد مقذوفاً خارج ذاته.

<< ... كنت أشعر تماماً بجسدي، وكان كاملاً. إني متأكد من ذلك. كنت أشعر أنني تامّ، ولبث شخصي ماثلاً بكامله، فيما لم أكن في شخصي. >>

بالتالي، في هذا الوضع من الانسلاخ عن الجسد، يشعر الفرد بانقطاعه عن الآخرين وبمقدوره أن يرى الآخرين، وأن يبلغ أفكارهم بصورة كاملة، ولكن بالمقابل لا يستطيع الآخرون أن يروه ويسمعوه. **فكل تواصل مع الكائنات البشرية بات منقطعاً، وحتى على صعيد اللمس،** حيث أن الجسد الروحي يفتقد الصلابة. وبالتالي، لن نندهش - عندما تستمر هذه الحالة بعض الوقت - إنْ أفضى الأمر بهذا الشخص إلى أن يشعر بانطباع وحدةٍ عميقة، وحدة في الانعزال. واستناداً إلى شهادة رجل لبث يرى كل ما يجري حولَهُ في المستشفى: الأطباء، والممرضات، وكل أفراد الملاك الذين يقومون بمهامهم، لكن قد استحال عليه التواصل معهم بحيث أنهُ، كما قال: " بقيت وحدي بشكل مُخيف ".

حدثني الكثير منهم عن هذا الانطباع الشديد ألا وهو الانعزال عن الآخرين: << مع كل ما يحدث لي، **كانت تجربتي تتسم بجمال عظيم، لكنها ظلت تعصى على كل وصف.** وتمنّيت أن يستطيع آخرون الحضور معي لكل ما يجري، فأنا مقتنع من أنني لن أقدر يوماً على وصف ذلك لأي إنسان. ولبثتُ أتأسف لهذا الانفراد لأنني كنت أودّ أن يكون إنسان حاضراً معي ليشاركني في هذه الانطباعات والانفعالات. بيد أني بقيت

أعلم أن أي أحد يستحيل عليه التواجد هناك حيث بقيت في ذاك الحين، أعني بذلك، في عالم على انفراد: ولحقني ما يكفي من الحزن والكآبة. >>

وقيل لي أيضاً: << عجزت عن لمس أي شيء، وعن الاتصال بمن حولي. وكان لي إحساس فظيع بالعزلة، إحساس بالانفراد الكليّ. لم أزل منذهلاً. وما كان باستطاعتي الاعتقاد بأن كل ما يحدث لي حقيقي. لكن لم أشعر بقلق حقيقي، ولم أهتم كثيراً بما يجري لي، ولم أقلْ لنفسي: " آه ! يا إلهي، ها أنذا ميت وأترك والديّ المسكينين، سيأخذهما حزن عميق ولن أراهما أبداً "، كلا ! لم يطرأ على بالي أي قولٍ من هذا القبيل. >>

<< لكن، طوال ذاك الوقت، لم أزل واعياً لكوني وحدي، وحدي تماماً - وكأني غريب قد وفد من مكان آخر، وكأن كل ما كان يربطني بالعالم قد بات منقطعاً، لا بل، وكأنه لم يعد ثمة حبّ ولا شيء آخر. فأمسى كل شيء على تقنية شديدة - وبكل صراحة لا أفهم، لا ! >>

لكن انطباع العزلة هذا قد تبدّد بعد قليل، بمقدار ما كان " المَوَاتي " يغور دون هوادة في تجربة المَوات هذه. فقد حان الوقت حيث وفدت كيانات أخرى إلى لقائه لكي تُسدي له العون في محنته. ومن الممكن أن تمثّل هذه الكيانات بشكل أرواح أخرى، وفي غالب الأحيان أرواح الوالدَين أو أصدقاء قد قضوا نحبهم وقد عرفهم " المَواتي " خلال حياته. ولكن، في أغلب الأحيان أيضاً، وفي الشهادات التي تلقّيتها، كانت هذه الأرواح كياناً روحياً يتسم بطابع مختلف جداً ويظهر لهذا " المَواتي " وسنرى الأمر هذا في المقتطفات التالية التي خصصتها لمثل هذه المواجهات.

الاتصالات بالآخرين

روى لي عدة أفراد كيف حدث لهم (بالنسبة إلى بعضهم منذ بدء تجربتهم، وبالنسبة إلى سواهم في أعقاب حوادث جرت سابقاً) أنهم أدركوا بوعيهم وفي جوارهم، حضور كيانات أخرى روحية. وكان يظهر دورها ساعياً إلى تسهيل الانتقال من الحياة إلى الموات، أو كما جرى هذا الأمر مرتين [حسب الشهود] ساعياً إلى إعلامهم بأن ساعة الموت الحقيقي لم تحن بعدُ بالنظر إليهم، وأنه ينبغي عليهم التقمص من جديد في جسدهم المادي. وإليكم شهادة إحدى النسوة:

<< حدث لي ذلك عند ولادة أحد أطفالي. وقد كان النفاس عسيراً جداً، ونزفت بغزارة. فعدل الطبيب عن إنقاذي وأخبر عائلتي أنني مشرفة على الموت. أما أنا فكنت أشعر خلال هذا الوقت بأنني صاحية، بل اعتقدت أنني سأستعيد للتو وعيي الكامل، وذلك عندما سمعت الطبيب يتكلم عن موتي. وفي ذاك الحين بالذات **أدركت وجود جمع من الناس، حشد منهم تقريباً يحومون على مستوى سقف غرفتي**. وكانوا جميعاً أناساً عرفتهم سابقاً وقضوا نحبهم قبل ذاك الحين. وتعرّفت ما بينهم على جدّتي وعلى إحدى رفيقاتي في المدرسة، وأيضاً على أفراد من أقاربي أو أصدقائي. كنت أشاهد بخاصة وجوههم وأشعر أنهم ماثلون هناك حقاً. **وكان السرورُ يبدو على وجوههم والظرف سعيداً** وعلمت أنهم وفدوا إلي لحمايتي أو لإرشادي. ولبث الأمر يُشبه عودتي إلى بيتي وذويّ، وكأنهم أتوا لاستقبالي عند العتبة لكي يُرحبوا بي. وظهر لي كل شيء جميلاً وخفيف الظلّ. وبقيت الدقيقة تلك رائعة وبهية تماماً. >>

وتذكر أحد الرجال فقال:

<< قبل موتي المزعوم بقليل، كان قد قُتل أحد أصدقائي الطيبين يُدعى " بُوبْ ". وحينما خرجت من جسدي انتابني الشعور الشديد بأن " بوب " واقفٌ قربي تماماً. وبقيت أراه ذهنياً وأشعر بقُربه مني، لكن الشعور بقي غريباً: فما كنت أراه مادياً، بل أميّز بعض الأشياء، ولكن بشكل غير مادي، وبوضوح جلي تماماً، شاهدت ملامح وجهه، وكل شيء. لا أعرف كيف أعرب عن رأيي فتفهمون ما أقول. أجل، **كان " بوب " هناك دون وجود جسده المادي الدنيوي. كان جسده شفافاً** ويجعلني أرى جميع أعضائه - الذراعين، الساقين، الخ - لكن لا أستطيع القول أنني كنت أشاهدهُ مشاهدة مادية. وفي ذاك الحين لم يبدُ لي الأمر غريباً لأنني لم أشعر بأية حاجة إلى أن أراه بعينيّ. وعلاوةً على ذلك، ما بقي لي عينان.

<< بدأت أسأله باستمرار: " يا بوب "، إلى أين ينبغي علي الذهاب الآن ؟ وما الذي حدث لي ؟ هل أنا ميت، نعم أم لا ؟ " لكنه لم يُجبني، ولم تنطق شفتاه بأية إجابة، ثمّ، خلال مكوثي في المستشفى، غالباً ما لبث يعود إليّ ولم أزل أسأله من جديد: " ما الذي يحدث ؟ " ولم يُجبني البتّةَ. وفي اليوم حيث أعلن الأطباء أنني قد أُنقذت، انصرف " بوب " عني. ولم أشاهده من جديد ولم أشعر بعدُ بوجوده قربي. وكان الأمر تقريباً وكأنهُ أنتظر أن أتخطى الحدّ النهائي، ولكان أجابني عندئذ، ليُعطيني التفاصيل حول ما يلزمني أن أفعلَهُ. >>

في ظروف أخرى، لم تكُن الأرواح التي تم اللقاء بها أشخاصاً قد سبق التعرف إليهم في الحياة الماضية. وروت لي إحدى النسوة أنها، خلال عزوفها عن جسدها، قد شاهدت ليس فقط جسدها الخاص الروحي، الجسد الشفاف، بل أيضاً جسد إنسان قد مات لتوّه أخيراً تماماً. ولم تعرف من كان هذا الشخص، غير أنها أدلت بهذه الملاحظة المثيرة جداً للاهتمام:

<< لم أستطع تخمين عمر هذا الإنسان. بل أنا أيضا قد فقدت معنى الزمان. >>

أما في بعض الحالات النادرة بالأحرى، فإن المعنيين أخذوا يفترضون أن الكيانات المصادفة كانت " ملائكتهم الحُرّاس ". وإن أحد هذه الأرواح قال " لمواتيّ ": " **أتيت لكي أعينك في ظرف حياتك هذا، لكني بعدئذ سأستودعك لآخرين.** " وروت لي امرأة أنها، خلال انسلاخها عنْ جسدِها، قد ميّزت وجود كائنين عرّفاها بنفسيهما بصفتهما " موجّهيْن روحيّين. "

في ظرفين مشابهين، قال لي بعض الأفراد، إنهم سمعوا صوتا راح يُعلمهم بأنّهم غير أموات حتى ذاك الحين، وينبغي عليهم العودة إلى أجسادهم. وطفق أحدهم يقول ما يلي:

<< سمعت صوتاً، لا صوتا بشرياً، بل كمثل سماع يفوق كل الإحساسات المادية، **وكان يقول لي ما يلزمني فعلهُ** ... **(أي، العودة إلى الحياة)**، ولم يعترني الخوف من تقمّصي ثانية في جسدي [المادي]. >>

أخيراً بمقدور الكيانات الروحية المحتملة ألا ينعموا بأي شكل:

<< خلال كوني ميتاً، في ذاك الفراغ الكبير، تحدثّت مع أناس - (ولكن، والحق يقال، لم يكن الأمر يعني كائنات جسدية). ورغم ذلك، بقي لي الشعور بأن بعض الناس حولي، كما شعرت بحضورهم وبحركاتهم، مع أني لم أشاهد أحداً منهم. ومن حين إلى آخر، **رحت أكلّمْ أحدهم، ودوماً دون أن أراهُ. وكلما سألت عما كان يحدث تلقيت جواباً في كل مرة، ذهنياً.** فقيل لي إن كل الأمور مرتبة وإني على قيد الموات. ولكني سأشعر بعد قليل بأنني على أحسن ما يُرام. بحيث أن القلق لم يستحوذ علي حول الوضع. وتلقيت دائماً إجابة على الأسئلة التي أتساءلها، ولم يتركوا البتّة فكرة من أفكاري دون أي جدوى. >>

الكائن النوراني

من جميع العناصر المشتركة الماثلة في الشهادات التي حلّلتُها، بقي العنصر العسير على التصديق بالأكثر، وفي آن، العنصر الذي يترك على الشاهد أشد انفعال، إنما هو اللقاء بضوء شديد الألق. وثمّة تفصيل نموذجي: << إبان التجلي الأول لهذا الضوء، لبث الضوء هذا باهتاً، غير أنه يَصبح بسرعة براقاً أكثر فأكثر حتى يبلغ تألقاً ساطعاً يفوق كل ضوء على الأرض. ومع أن هذا الضوء (الذي يوصف على العموم بأنه " أبيض لمّاح " أو " زاه " بمقدار فائق) ينعم بإشعاع يعصى على كل وصف،>> فكثيرون قد ألحّوا على الواقعة المميزة له ألا وهي أن هذا النور لا يُحرق العيون، ولا يبهرها، وأنهُ لا يحول دون المشاهدة الدقيقة للأشياء المجاورة (ولربما لأن " المواتيين " الشهود، في ذاك الحين، لا عيون مادية لهم، وهذا ما يستبعد الانبهار).

ورغم المظهر الذي يفوق المألوف لهذا الظهور، لم يعرب أي واحد عن أقل شك حول أن الأمر كان يعني كائناً، كائناً نورانياً. وإلى جانب ما سبق، **هذا الكائن هو " شخص " ينعم بشخصية محدّدة بوضوح وجلاء، فإن الحرارة والمحبة المنبثقتين عن هذا الكائن حيال " المواتي " تتجاوزان بجمّ من البُعد كل إمكانية الإعراب عنهُما.** فيشعر الإنسان بأنه قد تم اجتياحه، قد تم الاستحواذ عليه من قبل هذا الحب، فينساق بكل صحوة ذهنه لهذا الاستقبال الرؤوف الذي يُستقبل به. **فثمة انجذاب مغناطيسي، يعصى على كل مقاومة،** ينبثق عن هذا النور الذي يشعر الإنسان بأنه يستجذبُهُ إليه بصورة لا مناص منها.

وهناك ملاحظة هامة: **فيما يبقى هذا الوصف لهذا الكائن النوراني هو نفسه دائماً**، من شاهد إلى آخرين، فإن تحديد هويته يتنوع تنوعاً غريباً، ويبدو أنه ينتمي بقسطٍ كبير إلى أمور سابقة، إلى التربية أو إلى معتقدات دينية خاصة بكل فرد من الناس. وهكذا، فإن غالبية من تمت تنشئتهم في التقاليد أو الإيمان أو الأمور الخاصة بالدين المسيحي، يحدّدون هوية هذا الضوء ويماهونه " بالمسيح " [قال السيد المسيح: " أنا نور العالم "، يو، ٨:١٢]. وأحياناً ما يذكرون، دعماً منهم لهذا التفسير، مرجعيات بيبليّة [من الكتاب المقدس]. أمّا رجل وامرأة من الديانة اليهودية قد رأيا في هذا الكيان " ملاكاً ". [ومَن خلقَ الملاك غير " الله "]. وبطبيعة الحال، في هاتين الحالتين الأخيرتَين، ما كان المعنيّون يزعمون البتّة أن الكائن المقصود ينعم بجناحين، أو أنه يعزف على الكنارة [القيثار]، ولا حتى أنه يُمثّل مظهراً إنسانياً. فهذا الكائن لم يكن سوى ضوء أو نور [لَدُنيّ].

ما كان كل واحد منهم يسعى إلى الإعراب عنه، حسب رأيهم، هو أن الكائن لبث يقوم بدور مبعُوث أو دليل. وإن رجلاً لم ينعم بمعتقدات ولا بتنشئة دينية قبل أن يُمنى بهذه التجربة، قد تحدث بكل بساطة عن " **كائن من نور** ". وقد استخدَمتْ هذه التسمية ذاتها أيضاً امرأة تدين بالإيمان المسيحي، وبشكل جلي، لم تشعر قطعياً بأنها تنساق إلى اعتبارها أن هذا النور هو " المسيح ".

فيما بعد هذا الظهور بقليل، **دخل هذا الكيان في اتصال " بالمواتيّ "**، لا بد هنا من الإشارة إلى أن هذا الاتصال كان يُنجز مباشرةً، حسب الطريقة التي تمّ إدراكها، وتُتيح للأجساد الروحية " التقاط الأفكار " من الجوار: وهنا أيضاً، أكّد الشهود أنهم لم يسمعوا أي رنين، أي صوت يصدر عن هذا الكائن النوراني، بل أنهم لم يُصدروا أصواتاً يمكن سماعها لكي يُجيبوه. **فقد ألمحوا إلى نقل مباشر للأفكار، دون أي حاجز،**

وبوضوح مطلق تماماً. بحيث لم يُفسح أي مجال للمجازفة بأي هفـوة، أو أي كذب ونفاق.

علاوةً على ذلك، إن هذا الحوار دون عراقيل لا يتّخذ أية وسيلة مـن اللغة الأمومية للفرد المعنيّ، وهذا لا يمنع البتّة هذا الشخص عن فهمه كل شيء وعن تلقّيه معلومةً آنية. وفيما بعد، إبان عودته إلى الحياة، سـيتبدّى عاجزاً عن نقله إلى لغته الطبيعية الأفكار التي تم تبادلها عندما لامس عتبة "الموات".

إن المرحلة التالية من هذه التجربة تأتينا بتوضيح فصيح للإشـكالات التي يُصطدم بها حالما يسعى الإنسان إلى ترجمة **هذه اللغة اللاكلاميـة**. فإن الكيان المعنيّ، فوراً بعد ظهوره للمواتيّ بصورة مدهشة تماماً، يوجّهُ إليه فكرة قد حاول المعنيون بوجه عام أن يقدموها لي كسؤال. ومن بـين الترجمات التي أُحيلت إليّ، أذكر ما يلي: " **هل أنت متأهـب للمـوت؟** "، " **هل أنت مستعد للموت؟** "، **أو ما الذي صنعته من حياتك وتـستطيع أن تُريني إيّاه ؟** " **وما الذي فعلته بحياتك وتعتبره كافيـاً؟** ". إن التعبيـرين الأولين قد يشتملان على دلالة مختلفة بالنظر إلى الاثنين الأخيرين، فهمـا يلحّان على العمل المُنجز. وعساني أميل بالأحرى إلى افتراضي أن هـذه المحاولات للترجمة تؤول بدرجات متفاوتة إلى الأمر ذاته، كما تبدي ذلك الترجمة التالية التي ندين بها لامرأة دونت ما يلي:

<< إن أول شيء قاله لي هو أنهُ يسألني إن كنت متأهبة للمـوت، أو إن سبق لي أن أنجزت شيئاً طوال حياتي ولربما أودّ أن أدلّه عليه. >>

ثمة ما هو أفضل أيضاً: ولئن صار " السؤال " مطروحاً بوجه مختلف تماماً، فيرتدي شكلاً توافقياً بمقدار أقل، فإننا نلحظ عند تفكّرنا أن الـسؤال يحتفظ بكثافة مماهية. وعلى سبيل المثال، قال لي رجلٌ إنه عنـدما كـان " مواتياً ":

>> ... طرح الصوت عليّ سؤالاً: " هل كان هذا يستحق العناء؟ " وما أراده الصوت كان يعني الحياة التي سبق لي أن عشتها حتى ذاك الأجل، والحكم الذي أبديه على قيمتها، إذ أعلم منذئذ ما كنت أعلم. [كذا] <<

صرّح الجميع، من جانب آخر، أن هذا السؤال - مهما ظهر كنهائي وأساسي في تأثيره الانفعالي- لا ينطوي على أي مظهر دقيق للإدانة. فالاتفاق تام حول هذا الشأن: **فكما يعرب عنه هذا الكيان لا يشتمل السؤال على اتهام ولا على تهديد، ولا يكفّ الأشخاص المعنيون عن شعورهم بتدفق الحب والحفاوة الصادقة حين ينبثقان عن الضوء، مهما كانت الإجابة عليه.** ويبدو هدف السؤال ساعياً إلى توجيه " المواتنيين " لكي يتفكروا حول وجودهم الدنيوي السابق، فيُعيدوا رسم خطوطه الكبرى. وإذا ما وافقنا على ما سبق، فالسؤال منتم إلى أسلوب سقراطي، أسلوب الأسئلة التي لا تستدعي أية إجابة، لأنها أعدت فقط لمساعدة المسؤول على المعني قُدماً من تلقاء نفسه على طريق الحق.

هلمّ بنا لتفحّص بضع شهادات مباشرة، بلا وسيط وذات صلة بهذا الكيان الفنتستيكي [الغريب والعجيب].

الشهادة الأولى: >> سمعتُ الأطباء يقولون أنني ميت، وفي ذاك الحين، شعرت بأني أتدحرج متدهوراً، أو بالمزيد من الدقة، كأني أعوم في هذه العتمة وهي تشبه مكاناً مغلقاً، ولا أجد كلمات لكي أعرب عن ذاك الوضع. فكان كل شيء شديد السواد، باستثناء أني لبثت أدرك في البعيد ذاك الضوء. وكان ضوءاً يتألق ويتلمّع بحجم من الشدّة، لكنه غير عظيم في البداية: **وراح تألقهُ يزداد كلما بدأت الاقتراب منه. وبذلت جهوداً لكي ألتحق بهذا النور لأنه بقي لي الشعور بأنه " المسيح "**، وأردت الوصول إليه، ولم يكن هناك ما يفزعني، بل كان الوضع بهجاً ممتعاً. لأنني، بصفتي مسيحياً، سبق لي أن أقمت صلةً ما بين النور و" المسيح " الذي

كان قد قال: " أنا نور العالم ". وقلت لنفسي: " إن كان هذا هو النهاية حقا، وإن توجّب عليّ أن أموت، فعندئذ أعرف من هـو " الـذي " ينتظرنـي، هناك، في هذا الضوء المتلمّع. >>

الشهادة الثانية: << نهضتُ وخرجت في الممر لكي أشرب شيئاً ما، وفي تلك اللحظة، كما علمت بذلك فيما بعد، قد تسببت لنفسي بثقـب فـي الزائدة. فخانتني قواي وسقطتُ على الأرض. وشرعتُ أزوغ، **وشـعرت كأني تارةً داخل جسدي وتارةً أخرى خارجهُ، ورحت أسـمع موسـيقى رائعة جداً.** وما زلت أعوم طوال الممر، وتجاوزتُ العتبة حتى المـدخل الخارجي حيث بقي مصراعاه مُغلقَين. وهناك، كان شيء وكأنهُ غيوم، أو بالأحرى كضباب وردي اللون، وتراكم كل هذا حولي، ولم انقطـع عـن العوم من خلال مصراعي المدخل الخارجي، وكأنهما غيـر متواجـدين، ومن هناك توجهت نحو ذاك **الضوء البلّوري النقي، ضوء أبيض لمّـاح يشع ويتألق، ضوء رائع الجمال، متلمع متوهج، ضوء منتشر الإشعاع.** لكنه لا يؤذي العيون وليس في الإمكان أن أقارن هذا النور بـأي شـيء نجده على الأرض. وأنا عاجزة [المتكلم امرأة] عن القـول إنـي رأيـت شخصاً في هذا النور، لكن بدا لي من المؤكد أنه ذو هوية، والأمر يعصى على كل إنكار. **فتصوروا ضوءاً مصنوعاً من تفاهم كامـل ومـن حـب كامل.**

قد وُجهت نحوي فكرة: " هل تحبّينني؟ " ولم يأتني هذا بشكل سـؤال لكني أعتقد تماماً أن النور أراد أن يقول لي ما يلي: " **إن أحببتني فعودي أدراجك وأنهي ما قد بدأته.** " وخلال ذاك الوقت، شعرت بـأني مغلفـة بفيض من التعاطف والحنوّ، وكأني تحت فيض من الحب يسحقني. >>

الشهادة الثالثة: << كنت أعلم أني ألامسُ الموت وأني لا أستطيع أي شيء، لأن أي أحد ليس بمقدوره أن يسمعني ... فقد خرجت من جسدي، وأنا على يقين من ذلك، بما أني رحت أشاهد جسدي متمدّداً هناك، علـى

الطاولة، طاولة الجراحة الطبية. وكانت روحي قد غادرتها! وفي البداية، استحوذ علي اضطراب شديد، **ولكنّ، تدخل عندئذ هذا النور المتلمّع**. وبادئ الأمر بدا لي شاحباً نوعاً ما، وفجأة تحول فصار شعاعاً متألقاً كثيفاً. ولبثتْ نورانيّتهُ عظيمة جداً، ولم يكن يشبه بأي شيء وميض البرق إبان العاصفة، ذاك الضوء الذي يستحيل تحمّلُه، وهذا كل ما في الأمر. وراح هذا النور يبث حرارةً، وشعرت بأني مشحونةٌ بحرارةٍ كلّية.

<< كان النور ذا بياض متألق لمّاح، يميل نوعاً ما إلى الصفار، لكنه أبيض بوجهٍ خاص. وشرع يتلمع تلمعاً شديداً، وأعجز الآن عن وصفه. كان الضوء هذا يُنير كل الجوار، لكن هذا الأمر لم يمنعني البتّة عن مشاهدتي كل الأمور الباقية، قاعة الجراحة، الطبيب، الممرضات، كل شيء. كنت أرى في هذا الضوء رؤية دقيقة، دون أن أصاب بالانبهار أو بالعمى.

<< في البداية، عند مجيء النور، ما كنت أعي تماماً ما يحدث حولي، ثمّ، طرح النور علي سؤالاً - أي غدا هذا وكأنه يسألني - هل أنا متأهب للموت. وكان الأمر يحدث حينما نتحدث مع شخص من الأشخاص، ولكن لم يكن هناك أي شخص. **كان النور هو الذي يخاطبني، بصوته.** >>

<< أتصور الآن أن ذاك الصوت الذي كلمني قد استطاع الملاحظة لعدم استعدادي للموت على الإطلاق. وقد أراد فقط أن يضعني قيد التجربة، لا شيء أكثر من ذلك. وفي تلك الأثناء، انطلاقاً من **الحين حيث راح يُكلمني، قد شعرت بأني على راحة عذبة، وأنعم بحماية، وبأنه يُحبني**. فالحب الذي لبث ينبثق من النور حب يعصى على كل تصوّر وعلى كل وصف. وعلاوةً على كل ما سبق، لم يكف النور عن إصداره شيئاً من الفرحة والبهجة! بل كان يتحلى بالفكاهة الظريفة، وإني أؤكد على كل ما قلته لك! >>

نظرة شاملة إلى الحياة

(بانوراما الحياة)

إن الظهور البدني " للكائن النوراني " واستجواباته الخرساء تشكل بداية حدث ذي كثافة قصوى، وخلال هذا الحدث يُقدّم هذا الكيان للمَواتيّ رؤية بانورامية [شاملة فسيحة] تطال كل حياته الماضية. وينجم عن هذا بصورة جلية أن هذا " الكيان النوراني " ذاته قد امتلك معرفة تفاصيل هذه الحياة بأسرها وليس يحتاج أن يتلقى أية معلومة إضافية عنها. فلبث هدفُه الوحيد يسعى إلى إيقاظ التفكّر لدى "المَواتيّ".

إن هذا الانكفاء إلى الوراء لا يتيسّر وصفهُ إلا بكلمات الذكرى، وهذه ظاهرة مألوفة والأكثر تيسّراً للتشبيه، لكن السمات الخاصة بهذا الاسترجاع للماضي تختلف تماماً عن كل شي آخر غير سمات الاسترداد العادي بالذاكرة. فأولاً، يبدو إيقاع الأمور على أقصى السرعة، فالذكريات (لكي نتوسل بلغة زمنية) تتعاقب عندئذٍ بسرعة خاطفة، في ترتيبها الزمني السابق. ولأتذكر شهادات أخرى أي تتال زمانيّ: فالتذكير آنيّ، وكل شيء يمثّل على نحوٍ متزامن. وثمة نظرة واحدة تكفي لتشتمل على كل شيء. ومهما يكن من أمر، يتوافقُ الجميع على اعتبارهم أن الحدث هذا قلما يدوم أكثر من بُرهة قصيرة على كوكب أرضنا.

لكنْ، رغم هذه البرهة الوجيزة، يلبث المعنيّون على إجماع أيضاً في توضيحهم أن هذا التذكير - الذي يوصف دائماً نوعاً ما كفيضٍ من الصور البصرية - يظلُّ تذكيراً حيّاً ومتشبثاً بالواقعية. ويقول البعض بدقة إن اللوحات البصرية تتّسم بألوان زاهية جداً، وعلى بروز، وفي حركة أيضاً. ورغم عنفوان هذا التسلسل، يرى المعنيّون كل صورة ويتعرفون عليها

بدقة. أما المشاعر والانفعالات المشاركة في كل مشهد فتنبعث مجددا إلى الحياة عند مرورها.

قد صرّح لي بعضُ الرواة (مع أنهم يعجزون عن تفسير ذلك بوجـه صحيح) بأن جميع أفعال حياتهم تمثُل في هذا العرض، من أدناها إلى أوفرها حسماً. وحسَبَ آخرين منهم، لم يعنِ الأمرُ سوى أفعال وجودهم الكبرى. وأكّد لي بعضُهم، بعد هذه التجربة، أنهم احتفظوا طوال زمان مديد بذكرى يعسُرُ تصديقها من حيث دقة أدنى التفاصيل لحياتهم الماضية.

أراد كثيرون أن يروا في ما سبق تأثير نيّة تربوية من قبل " الكائن النوراني " هذا. لأنه، طوال استرجاع الماضي، لا يكفّ عن توضيحه أهمية واجبين أساسيّين: **تعلّم محبة القريب واكتساب المعرفة**. وإليكم مثالاً نموذجياً لهذه النزعة: وقد استقيتهُ من شهادة امرأة في زهرة الشباب:

<< حالما ظهر لي " الكائن النوراني "، سألني في الحال فقال: " أرني ما قد فعلتِ بحياتِك "، أو كان سؤاله قريباً من هذا شيئاً ما. وقد بدأ فوراً كل الرجوع إلى الماضي. فتساءلت عما يحدث لي، لأنه، بدفعة واحدة وجدت نفسي صغيرة جداً، وانطلاقاً من ذاك الحين بدأتُ أتقدم خلال أزمنة حياتي الأولى، سنةً فسنة، حتى بلغت الزمان الحاضر. >>

<< ومن الغريب رؤيتي أن الأمر هذا قد بدأ حينما كنت صغيرة جداً ألعب على شاطئ بحر قرب مسكننا. وكانت هناك أيضاً مشاهد أخرى يرجع عهدها تقريباً إلى الفترة ذاتها، ومشاهد مع شقيقتي أو سواها من الناس يقطنون في جوارنا أو بعض الأماكن حيث قد ذهبت. ثم رأيتُني في حضانة الأطفال، وتذكّرت لعبةً شُغِفتُ بها كثيراً ثم كسرتها، وبكيت ردحاً طويلاً لشدة الصدمة التي صُدمت بها. وبقيت الصور مستمرةً في تتاليها. وشاهدتُني مجدّداً مُشاركةً في مخيّم، مع فتيات الكشافة، وعثرت من جديد على كمٍّ من ذكريات سنوات المدرسة الثانوية، وقد سجلوني على لوحة الشرف، فعادت إليّ ذكرى فرحتي حينما دُعيتُ باسمي. وبعد هذا، عدت

أعيش سنوات الدراسات الجامعية، وفحوصي، وسنواتي الأولى كطالبة، حتى الفترة حيث جرى كل هذا.

<< وظهرت لي جميع هذه الأمور من جديد في الترتيب حيث عشتها، وبدت لي طبيعية. ولم يزل كل الديكور كما هو عندما يخرج الإنسان من منزلِه ويرى الأشياء مع كاملِ بروزها وبالألوان، ومتحركة. فعلى سبيل المثال، لما رأيتُني في طور تكسير لعبتي، لربما كان بمقدوري أن أفكّك كل حركة من حركاتي. لكني لم أعشْ ثانيةً هذا المشهد كما سبق لي أن رأيته بعيني إبان الطفولة، فكانت البنت الصغيرة التي لبثت أشاهدها ابنةً أخرى، كما يحدث هذا في السينما، ابنةً صغيرة ما بين سواها من الأطفال الذين يلعبون في تلك القاعة. ولكن بقيت أنا نفسي تماماً، ورأيتُني أفعل ما اعتدت أفعله في طفولتي. وراح يجري كل شيء بدقة كما قد حدث في واقع الأمر. وتذكرت هذا بصورة جيدة جداً.

<< وفي غضون تتالي الصور، لم أشاهد " الكائن النوراني "، **فقد اختفى فوراً** بعد أن سألني ما سبق لي أن فعلت، وحالما قد بدأت الانكفاءات إلى الخلف، **غير أني لم أكفَّ أشعر ببقائهِ إلى جانبي**، وأعلم أيضاً أنهُ هو الذي يستجرُني إلى ماضيّ، أولاً، لأني لم أزل أشعر بوجوده قربي، وعلاوةً على هذا، حدث له مرات، أنه يقوم ببعض تعليقات ينطق بكلماتها من حينٍ إلى آخر. ولم يحاول الاستعلام حول ما سبق لي فعلُهُ في الماضي - لأنه يعلم ذلك تماماً، وراح يختار بعض المقاطع من عمري الماضي ويبث الحياة فيها من جديد أمامي لكي يعيدها إلى ذاكرتي.

<< خلال هذا الوقت كلِّه، ما كان يخطئ مناسبةً لكي يجعلني ألاحظ أهمية المحبة. فالحوادث حيث كانت هذه الأهمية تبرز من جديد بأفضل وجه، ما انفكّت تخصّ شقيقتي، وحدث لي أن كنت دوماً قريبة جداً منها. وجعلني أرى من جديد مشاهد حيث ظَهَرتُ أنانيةً حيالها، وحيال غيرها إذْ أبديتُ طيبتي وسخائي. وقال لي إنه يترتب على المزيد من التفكير

بالآخرين، وينبغي على التصرف بأفضل ما أستطيع. لكن **لا شيء** من كل ما سبق **كان يُشبه الاتهام والإدانة**، وحتى عندما يذكّرني بمناسبات أظهرتُ فيها نيّتي، بل أراد الإشارة لي أني قد كسبت من كل ذلك درساً.

<< ألحَّ أيضاً إلحاحاً شديداً على **أهمية المعرفة**، ودلّني على كل ماله صلة " بالتعلّم ". وقال لي إنه سيتوجب علي الاستمرار في اكتساب المعرفة، وأنه حتى عندما سيعود ذات يوم ليطلبني (وفي تلك الغضون باح لي بأني سأستعيد حياتي الدنيوية) سيكون دوماً فيّ حاجة إلى المعرفة. وقال لي أيضاً إن **اكتساب المعرفة حاجة مستديمة**، وخلصتُ من كل هذا أن السعي إلى هذا الكسب لا بد من استمراره عقب الموت. واعتقد تماماً أن هدفَهُ ينحو إلى تثقيفي، وذلك إذ يجعلني أحضر مشاهد كلّ ماضيّ.

<< أصبح كل ما سبق مفاجئاً لي وغير منتظر البتّة. وبقيت هناك وأنا أشاهد في الحقيقة جميع هاتيك المشاهد وأستعرضها بوجه فعليّ، وبقي كل شيء يجري بسرعة شديدة - ويترك لي على ذلك، المجال الزمني الضروري لكي لا يفوتني أي أمر منها. غير أن هذا الوضع في مجمله لم يدم طويلاً. وعلى الأقل، لم أشعر أنه استمر طويلاً. فظهر أولاً " النور "، ثم تتابعت مجريات الماضي، ثم العودة إلى هذا " النور ". وأعتبر أن كل هذا قد انتهى خلال خمس دقائق على الأقل، ولربما أكثر من ثلاثين ثانية لكني أعجز عن قولي المزيد حول ما قلتُه.

<< والحين الوحيد حيث استولى عليّ الخوف في الحقيقة، هو عندما اعتقدت أنني لن أستطيع إتمام حياتي على الأرض. بيد أني قدّرت كثيراً ذكر الماضي، فقد بقي هذا الأمر بالأحرى مسلّياً. واستحسنت ذاك الانكفاء إلى طفولتي، وكأني ما زلت أعيشها. وكان هذا الأمرُ نوعاً من التذكر الذي ليس هو ممكناً البتّة في الحياة العادية. >>

لا بُدّ لي من الإشارة هنا إلى أن ثمّةَ حالات جرت فيها هذه الرؤية المنكفئة إلى الماضي، فيما لم يظهر " الكائن النوراني "، وحسب قاعدة عامة، حينما لا يقوم " الكيان النوراني " بهذا " الإخراج المسرحي "، فالتجربة تبقى على مزيد من البغتة والإدهاش. ومهما يكن من أمر، توصف هذه التجربة دائماً بأنها حية، سريعة، متطابقة مع حقيقة الواقع الماضي. وذلك بمعزل أيضاً عن حالة " المواتي "، أكان يُعدُّ بوضوح " ميتاً على الصعيد السريري " أم على وشك الموت وحسب.

<< عقبَ كل هذا الضجيج، وبعد هذا التقدم خلال المكان الأسود، استمرت جميعُ أفكار طفولتي وحياتي بكاملها تنتظرني في نهاية هذا النفق وكأنها تنبجس أمامي. فهي بدقة لم تكن صوراً، فقد أقول بالأحرى أشكالاً من الفكرة. لا أعرف كيف بوسعي أن أشرح هذا لك، لكن كل شيء بقي هناك، حيث تواجد كل شيء في الحين ذاته، أعني بقولي ما يلي: لم يكن الأمر يعني تتالياً لمشاهد متألقة واحداً فواحداً، بل رؤيةً ذهنيةً للمُجْمَل بكامله في آنٍ معاً. فرحت أفكّر في أمي، وبأفعالي الرديئة. وفيما بقيتُ أرى ثانيةً زلاتي الغبية التي قمتُ بها في طفولتي، وانتقلَ ذهني إلى والدي، لَكَمْ وددت أني لم أتصرّف كما فعلت، ولكم توخّيتُ العودة إلى الخلف لكي أقوم بإلغائها. >>

في المثليْن اللاحقين، وبالرغم من عدم التطرّق إلى " الموات " الظاهر، فقد جرت في الواقع رضة فيزيولوجية هامة:

<< جرى كل شي بفجأة شديدة. فاعتراني شيءٌ من الحمى وبقيت غيبوبتي قرابة أسبوعين، لكنْ، في تلك الليلة، تفاقمت حالتي بسُرعة، وشعرت بأني قد أمسيتُ في وضع أسوأ. لم أزل على سريري وأتذكر أني حاولت الوصول إلى زوجتي لكي أُخبرها بأني مريض جداً، لكن استحالت عليّ أية حركة. وبالمزيد على هذا، تواجدتُ في نوع من الفراغ القاتم الأسود، وشرعت حياتي بكاملها تتسلسل أمامي كمثل البرق. بدأ هذا في

غضون السادسة أو السابعة من عمري، فتذكرت أحد أصدقائي الطبيبين في المدرسة، ثم انتقلت من الصفوف الصغيرة إلى الكبيرة، ثم إلى المعهد السنّي، وأخيراً انتقلت أزاول مهنتي كطبيب أسنان. >>

<< كنت أعرف أني مشرف على الموت، وتذكرت أنه ينبغي علي توفير حاجيات عائلتي. وأخذني قلق شديد متى فكرت في الموت، إذ بدأ يخطر ببالي بعض الزلات والأخطاء التي أسفت لارتكابها طوال حياتي، كما خطرت لي أمور أخرى أسفت لأني لم أقم بها. >>

<< اتخذت تلك العودة إلى الماضي شكل صور ذهنية، يلزمني قول ذلك، لكنها بقيت صوراً زاهية أكثر مما هي عادة. ولم أشاهد سوى الأحيان الهامة، وبقي هذا يمرّ بكل سرعة، وكأني أتصفح كتاب حياتي بتمامها في بعض الثواني. وتتابع المشهد أمامي مثل فيلم سينمائي متسارع بوجه أعجوبي، فيما لم أزل أعدُ نفسي بروئيتي كل شي وبإدراكي كل شيء. بيد أن الانفعالات لم تصاحب الصور، فلم يتسَنَّ الوقت الكافي لها. ولم أشاهد شيئاً آخر خلال هذه التجربة. فبقي كل شي أسود باستثناء الصور. لكني أدركت بوضوح وقريباً مني **نوعاً من القدرة جزيلة القوة وفائضة بالحب ولم تفارقني لحظةً واحدة.** >>

<< إنه حقاً لأمرٌ غريب جداً. وحينما استيقظت، لربما كنت قادراً على أن أروي لأي إنسان كان أدنى مراحل حياتي مشفوعة بجميع التفاصيل، وذلك بفضل ما حدث للتوّ لي. إنها لمغامرة تفوق المألوف، **لكن يعسُرُ علي جداً أن أترجمها بالكلمات**، لشدّة ما جرت بسُرعة، ورغم ذلك، بوضوح كامل. >>

وعلى هذا المنوال، وصف لي جندي شاب مُسرّحٌ من الخدمة، رجوعه إلى الماضي:

<< خلال خدمتي في فييتنام، أصـبت بجـروح خطيـرة أدّت إلـى ' مواتي '. غير أني لم أفقد البتة مفهوم ما كان يجري. رُشقت برشات من الرشاشات، وحينئذٍ لم يزعجني هذا مطلقاً، فقد شعرت بالأحرى بارتيـاح عظيم لكوني مجروحاً. كما شعرت بأني على أحسن ما يُرام، ولم يراودني أي جزَع أو خوف.

<< حين الإصابة هذه، بدأت حياتي كلها تتسلسل أمـامي، وارتـدّت الأمور إلى الفترة التي كنت فيها طفلاً رضيعاً، ثم شرعت الصور بالتقـدم زمنياً. وأخذت أتذكر كل شيء، ولبث كل هذا حياً بصورة تعصى علـى كل تصديق. وبتمام الجلاء أمامي. غدا ذلك ينبجسُ من ذكرياتي الأولـى حتى بلَغَ الساعة الراهنة، وخلال لحظة من الزمان. ولم يكن ثمّة أي شيء عسير في كل ما جرى، وحضرتُ كل ذلك دون أي أسف، ودون شـعور بأي عاطفة تنم على الحرمان أو الإحباط. >>

<< وأفضلُ تشبيه يطرأ على بالي قد يكون إسقاط سلسلة من الصور الشفافة الملونة، وكأن أحدهم أخذ على عاتقه أن يسلـسل هـذه الـصور بسُرعة شديدة. >>

أخيراً، إليكم حالة نجمت عن انفعال عنيف إزاء خطر داهـم وشـيك الوقوع:

<< في غضون الصيف الذي تبع السنة الأولـى لدراسـاتي العليـا، زاولت عمل سائق شاحنة. وتوجّب عليّ أن أقـود شـاحنة ذات نـصف مقطورة. وفي ذاك الصيف لبثتُ أعاني من نزعة إلى النوم فيمـا أقـود. وذات صباح باكر، وأنا أقود شاحنتي على مـسافة طويلـة، راح رأسـي يتأرجح ويتهزهز. والشيء الأخير الذي أتذكره هو أني رأيـت صـفيحة إعلانٍ على الطريق، وبعد ذلك استولى النوم عليّ. وفجأةً سمعتُ زعيقـاً فظيعاً، فالعجلة الخارجية اليمنى قد تفجّرت، ومن جرّاء لا توازن الشاحنة، انفجرت أيضاً العجلات اليسرى، فمالت الشاحنة فوراً إلى جانبها، وبقيـت

تنزلق طوال الطريق المائل باتجاه جسر. ففزعتُ إذْ رأيتُ أن الشاحنة ستصدم حافة الجسر [الدرابزين].

<< أجل، فخلال الحين الوجيز الذي بقيت الشاحنة تنزلق فيه، أعدتُ التفكير في كل ما قد فعلت. ولم أشاهد سوى الفترات الهامة، ولكنْ، كأنها حقيقية. ورأيتني أولاً أتبع والدي وهو يمشي طوال شاطئ البحر، ولا بد أني كنت في السنة الثانية من العمر. ثم تعاقبت صور أخرى لطفولتي الأولى، فتذكرت أني قد كسرتُ الحافلة الحمراء الجديدة تماماً التي أهدونيها في عيد " الميلاد " عندما بلغت الخامسة. ورأيتني أبكي يوم ذهابي الأول إلى المدرسة مُرتدياً سترة الشتاء الغريبة الصفراء والواقية من المطر [المشمّعة] التي ابتاعتها لي والدتي. وتذكرت الكثير من تفاصيل جميع سنواتي الدراسية، ورأيتُ من جديد جميع مُعلميّ والوقائع الصغيرة التي طبعت بوسمها كلَّ عام من هاتيك الأعوام. ثمّ، الدراسات الثانوية ودورة التدريب التي زاولتها في إحدى البقاليات والحوادث الباقية بأسرها حتى ذاك الحين. وكان كل هذا والكثير من الأمور الأخرى يتوارد إلى خاطري بسرعة هائلة. ولربما لم يدم ذاك المشهد سوى جُزيء من الثانية. >>

<< وبعد حين، انقطع كل شي، وتواجدتُ منتصباً وأنا أنظر الشاحنة، واعتقدت أني قد قُضي عليّ. وتصورت أني أصبحت ملاكاً. ورحت أقرص نفسي لكي أرى هل بقيت على قيد الحياة أم شبحاً، أم أي شيء آخر. >>

<< ولم يبق من الشاحنة سوى حطام، أما أنا، فلم أُصب بأية خدشة. ومن المحتمل أني تخلصت بقفزة من واقية الريح في الشاحنة التي تفتّت زجاجها. وعندما هدأ روعي، استولى علي الانذهال من أن حوادث حياتي التي تركت لي انفعالاً شديداً قد مرت مجدداً في ذهني خلال تلك اللحظة العصيبة. وعساني أستطيع أن أذكر تماماً ومن جديد هذه المشاهد كلها،

وأن أرى ثانيةً كل صورة منها، ولربما يدوم ذلك قرابة ربع ساعة، أما هناك، فكل شيء قد انكفأ إلي آلياً، وخلال أقل من ثانية واحدة. ولا يزال الأمر هذا يعصى على كل تصديق. >>

حدٌّ مُتاخم أم حدّ نهائي

يروي لنا العديد من الشهادات الطريفة التي صادفها بعض الأفراد - خلال مرورهم بجوار الموت- وهذا ما قد يسعنا أن نطلق عليه اسم " حد متاخم " أو نوع آخر من حد نهائي [من مسيرة حياة الإنسان]. وحسب الحالات المختلفة، إن هذا الحد limite يُمثّل كمساحة من ماء، أو ضباب رمادي، أو سياج في حقل، أو مجرد خط فاصل. ورُغم أنهُ يلزمنا البقاء في مضمار الفرضيات، بمقدورنا الظن أن هذه الرموز المتنوعة تصدر عن منبع واحد فريد: وفي مثل هذه الحال، قد لا ترجعُ هذه التعابير المختلفة إلا إلى التفسير، إلى صيغة التعبير، إلى الذكرى، وكل هذا يلبث خاصاً بكل فرد، انطلاقاً من التجربة الأساسية ذاتها.

هيّا بنا لنتفحص بعض هذه الروايات حيث فكرة " التخم " [أي الحد المتاخم] يقوم بدور هام.

الرواية الأولى: << انتابني توقف خفقات قلبي، وفي تلك اللحظة تواجدتُ فجأةً في مرج مُوَدَّن [ذو أودية صغيرة]. وكان المشهد العام رائع الجمال، وكل شيء أخضر غامق، بلون لا يُشبه أي شيء دنيوي [من هذه الأرض]. وانتشر الضوء حولي، ضوء يُثير المشاعر. ورحت أنظر أمامي خلال الحقول، فشاهدت سياجاً. وفيما شرعت اقترب من هذا السياج، شاهدت رجلاً، من الناحية الأخرى، يتقدم نحوي وكأنه آتٍ للقائي. وسعيت إلى الالتحاق بهِ، غير أني شعرت بقوة لا تُقاوم تشدّني إلى

الخلف. وفيما رحت أتراجع، رأيت الرجل يعود علـى أعقابـه ويـستعيد أدراجه هو أيضاً، مبتعداً عن السياج. >>

القصة الثانية: << حدث لي هذا حين ولادة طفلـي الأول. وكنـت حاملاً منذ ثمانية أشهر حينما أصبت بما دعاه الطبيب " تسمما خطيـرا ". فنصحني باللجوء إلى المستشفى حيث قد يُمكنه أن يُحدث توليـدا مُبكـرا. وفوراً بعد ذلك النفاس، اعتراني نزيف شديد قد لقي الطبيب صعوبة كبيرة للسيطرة عليه. ولبثت على وعيٍ تام بما كان يجري، لكوني ممرضة أنـا نفسي في السابق، وعلمتُ بأني على خطر. وعندئذ فقدت وعيي وبـدأت أدرك طنيناً مزعجاً، كطنين جرس. ثم تواجدتُ منقولة إلى داخل مركـب، مركب صغير يجري إلى الضفة الأخرى علـى مـسافة مائيـة فـسيحة. وهناك، من الضفة الأخرى، رأيت كل الذين كنت قد أحببتهم وقـد مـاتوا - والدتي، والدي، وآخرين -. وشاهدتهم، وشاهدت وجوههم، تماماً كمـا كانوا على الأرض. وأشاروا إلي لكي أذهب فألتحق بهم، أما أنا، فطفقـت أكرر لهم: " لا، لا، لست مستعدة، لا أريد أن أموت، لست علـى أهبـة للرحيل ... "

<< كان كل هذا يُشكل تجربة من أغرب التجارب، لأنني خلال كـل ذاك الحين لم أكف عن مشاهدتي الأطباء والممرضات على قيـد العنايـة بي، لكن الوضعَ لبث بالأحرى وكأنني مـشاهدة، لا ذاك الـشخص، ذاك الجسد اللذين يهتمون بهما. وجهدت بجميع قواي أن أُنبهَ الطبيب بقـولي: " لست على وشك الموت ! "، لكن أحداً لم يكن يسمعني. فجميع الأطبـاء والممرضات، وغرفة العمل، والمركب، والضفة البعيدة، فكل ذلك تخـالط بصورة وثيقة، وكأنّ الصُور راحت تتراكب بعضها على الأخرى.

<< أخيراً، صار مركبي على وشك بلوغه العدوة الأخرى، حينما عاد المركب بصورة مفاجئة، إلى حيث أتى واستعاد أدراجـه. وأفلحـتُ فـي اجتذاب انتباه الطبيب الذي كنت أقول له: " لست علـى وشـك المـوت "

وعندئذ، كما أعتقد، استرجعت وعيي. وشرح لي الطبيب أنني أصبت بنزيف عقب نفاسي، وأني بلغت حافة الموت، لكن منذئذ ستكون الأمور على ما يرام. >>

القصة الثالثة: << نُقلتُ إلى المستشفى من جرّاء إصابة خطيرة في الكلية، ولم أزل في غيبوبة "الكوما" خلال أسبوع تقريباً. ولم يكن الأطباء متأكدين من نجاحهم في إنقاذي. وخلال الفترة حيث لبثت في الكوما، شعرت بأني أرتفع في الهواء، وكأني أمسيتُ بدون جسد مطلقاً. ورأيت ظهور نور عظيم، أبيض لمّاح، وصار لمعانه عظيماً. بحيث أنني عجزت عن الرؤية من خلاله. لكن حضوره وحدهُ راح يبث فيَّ شعوراً عجيباً بالدعة والهدوء. فبدا لي ذلك مختلفاً عن أي شيء شاهدته في حياتي على الأرض. وعند ظهور هذا النور، قد وردت إلى ذهني أفكار وكلمات: " هل تريد أن تموت؟ " فأجبت على هذا أنني لا أعرف شيئاً عن الموت، حيث أني أجهل كل شيء عنه. عندئذ، قال لي الضوء الأبيض: " هيا تجاوز هذا الخط، وسوف تعرف. " وأتاني الشعور بأني أعلم أين يتموضع الخط المقصود، رغم عجزي عن إدراكه. وما أن تجاوزته حتى غمرتني مشاعر رائعة عجيبة من سلام ومن صحوٍ وصفاء وانمحاءٍ عن جميع همومي. >>

القصة الرابعة: << سقطتُ في حفرة كبيرة سوداء، في أعقاب أزمة قلبية. وفقدت جسدي المادي، وبسبب يقيني بأنني سأموت للتو، بادرتني الفكرة التالية: " يا إلهي، قد تصرفت دائماً بأفضل ما أستطيع، وها أنذا أرجوك أن تساعدني. " وفي الحال، تبدّدت العَتمة، وحل مكانها ضوء رمادي باهت، ولم انقطع عن التقدم، جاعلاً نفسي انزلق بسرعة. وكان أمامي، في البُعد، ضباب ضارب إلى اللون الرمادي ورحت أهرع إليه، لكن بدا لي أنني لن أصل إليه بتّةً بسرعة كافية كما كنت أود ذلك. وحينما اقتربت منهُ، بدأتُ أستشّف من خلال الضباب وبعده أن هناك أناساً، وكان

مظهرهم تماماً كمظهر الناس على الأرض، وميّزت أيضاً شيئاً يُشبهُ أثاث المنازل. وانغمر كل شيء بنور رائع، بضياء أصفر ذهبي زاه جداً، لكنه على مزيد النقاوة والصفاء، لا مثل لون الذهب الجاف الذي نراه على الأرض.

<< كلما اقتربت أيضاً أكثر، أصبحت مُتيقِّنةً من اجتيازي هذا الضباب. واستحوذ علي شعور بفرحة غامرة، بقيت عاجزةً عن عثوري على كلمات أُعرب بها عن تلك الفرحة. ولكن ساعتي لم تحِنْ بعد، على سبيل الاحتمال، حيث أنني، فجأةً، قد رأيت ظهور عمي شارل ظهوراً مباغتاً، وهو يخرج من الضباب، وهو الذي سبق له أن فارق الحياة منذ سنوات. وإذا به يقطع عليّ طريق المرور قائلاً لي: "ينبغي عليك أن ترجعي، فلم تُنجزي عملك على الأرض، عودي أدراجك الآن." ولم تكنْ لي أيةُ رغبة في العودة، ولكن لم يبق لي أي مجال للاختيار: وفي هاتيك اللحظة ذاتها، كنت قد استعدت جسدي، مع هذا الألم الرهيب في صدري. وسمعت ابني الصغير يبكي وهو يقول: "يا إلهي، أرجِعها إليّ. >>

القصة الخامسة: << ذهبوا بي إلى المستشفى في حالة عصبية قد أُصبت فيها "بالتهاب" خبيث، كما قيل لي، واعتبر الطبيب أنني لن أبرأ منه. فاستدعى أعضاء أسرتي، متيقّناً من أن حياتي لن تستمر طويلاً. فأتوا وتحلقوا حول سريري، وعندما اعتقد الطبيب أني على قيد النزاع، قد بدا لي أن أبويّ يبتعدان عني أكثر فأكثر. أجل هما اللذان عزفا عني، ولم أفعل ذلك، أنا. وراح كل شيء ينطمس، غير أنني لبثت أراهما دون انقطاع، ثم، فقدت الوعي، ولم أعد على إدراك أي شيء مما كان يحدث حولي في تلك الغرفة من المستشفى. فتواجدتُ في ممر ضيق، بشكل حرف "V"، كمثل حوض، له عرض هذا الكرسي تقريباً. فوجد جسدي فيه مكانه بالضبط. ورحت أغور ورأسي أمامي، وكان السواد شاملاً كسواد الحبر. ولم أزل أنزل، وعندما رفعت عيني شاهدت باباً، رائع

الجمال، ذا نعومة تامة، دون مزلاج. وطوال حواف هذا الباب رأيت نورا يشفّ، ساطعاً جداً، مشفوعاً بأشعة متحركة، وكأن الأفراد المتواجدين في داخلها يتسلّون كثيراً، ويدورون على أنفسهم هنا وهناك، ومتنقلين من مكان إلى آخر، فكانت هناك في الجانب الآخر حركة مجنونة. ورفعت عيني إلى السماء متمتماً: " يا رب، ها أنذا ! إذا أردتني فخذني. " لكن عندئذ كانت المباغتة ! بدفعة واحدة أعادني الرب إلى داخل جسدي، بسرعة شديدة بحيث ظننت أني أفقد أنفاسي ... >>

الرجــوع

هل ثمّة حاجة إلى أن أقول ذلك، فجميع الأشخاص الذين استطعت استجوابهم، سبق لي – في لحظة ما من تجربتهم – أن أُجبروا على " العودة " من تلك التجربة. وأُذكّر هنا بأنه، خلال اللحظات الأولى التابعة للموت، تلبث المشاعر التي يتم الشعور بها بوجه مشترك بالأكثر هي رغبة جامحة عنيفة في الاندراج مجدّداً داخل الغلاف الجسدي، والأسف المرّ لرؤية الإنسان أنه قد فقد الحياة. ولكن، حالما يبلغ " المواتيُّ " [أي الميت لفترة ما] هذه المرحلة من تجربته، لا تبقى له الرغبة في الرجوع ويمضي أحياناً حتى المعارضة لضرورة هذه العودة إلى الجسد المادي. وهذا الموقف الأخير [العارض] موقف متكرر بخاصة لدى الأفراد الذين مضوا بتجربتهم حتى التقائهم " بالكائن النوراني " كما أعرب عن هذا الموقف أحد الرجال بإلحاحٍ فريد من نوعه، فقال: << ما كنت أريد البتّة أن أغادر وجود هذا " الكائن. >>

إن الاستثناءات حيال هذه القاعدة ليست في أغلب الأحيان إلا ظاهرة. فثمّة نسوة كنّ، خلال فترة تجربتهن هذه، أمهات لأبناء صغار جدا، قد قُلن لي أنهن، رغم رغبتهن الشديدة في البقاء هناك حيث قد وصلن، شعرن

بواجب أجبرهن على العودة إلى حياتهن لكي يستطعن السهر على تربية أولادهن هؤلاء.

<< كنت أتساءل إن توجب علي البقاء هناك بصورة نهائية، ولكن، في الحين ذاته، تذكرت أسرتي، وأولادي الثلاثة، وزوجي. وأعرف أن هذا الأمر يعسر قبوله نوعاً ما: وطالما قد شعرت بهذا الانطباع اللذيذ بسبب سعادتي بقرب هذا " النور "، ما لبثتْ لي أيةُ رغبة حقيقية في رجوعي إلى سابق حياتي. لكني التزم دائماً بمسؤولياتي بكل صدق وعناية، وشعرت بأني ملتزمة حيال ذويّ، فعندئذٍ اتخذت قراري لأعود. >>

في عدة حالات أخرى، روى بعض الأشخاص أنهم – رَغم الهناء والشعور بالأمان خلال انسلاخهم عن أجسادهم، قد نعموا بسعادة جمّة وبقدرتهم إعادة صلتهم بالحياة الجسدية، لكي يصبحوا قادرين على إنجاز مهمة قد باشروها. وأحياناً، بقي الأمر يعني إتمام دروسهم.

<< سبق لي أن أتممت ثلاث سنوات في مدرستي الثانوية، وبقي لي أن أُنهي بنجاح السنة الأخيرة. ورحت أكرر لنفسي: " لا أريد أن أموت الآن. " ولكن اعتقد تماماً لو استمر الوضع بضع دقائق أكثر، ولو بقيت برهة أطول نوعاً ما في جوار هذا النور، لما كنت فكرت بعدُ بدراساتي، وعندئذ، لربما أتحتُ لنفسي الاسترسال إلى جِدّة هذه التجارب. >>

إن الشهادات التي جمعتُها تَمنَحُني تصورات متنوعة بأقصى التنوع حول أوضاع هذه العودة إلى الحياة المادية، وأيضاً حول الأسباب التي أفضت بي إلى هذه العودة. وقال غالبية هؤلاء الأفراد إنهم لا يعرفون كيف ولا لماذا رجعوا، وليس بوسعهم سوى تقديم افتراضات. وبقي بعضهم مُتيقّنين أن قرارهم الشخصي وإرادتهم العودة إلى الحياة قد كانا العاملين الحاسمين لعودتهم.

<< كنت خارج جسدي، وأدركت أنه يتوجب علـــي اتخـــاذ قـــرار. ورحت أقول لنفسي: مع أني لن أستطيع البقاء بصورة لا نهائية في هـــذا الوضع، إذن – ولربما ليس الأمر سهلاً على الفهم بالنسبة إلى الآخـــرين، ولكن بالنسبة إلي، وفي ذاك الحين، ظهر لي الأمر على جمّ مـــن الجـــلاء والوضوح – كنت أعلم أنه يترتب علي اتخاذ القرار، فهل أمـــضي إلـــى الأمام أم أعود فاندرج في جسدي. >>

<< لبث كل شيء رائعاً في الجانب الآخر، وبقول مختصر، عـــساني ما كنت أطلب أفضل من البقاء هناك. ولكنَّ فكرة أنّ لدي شيئاً حسناً لا بد من إنجازه على الأرض، لم تزل لي فكرة تُثير تـــشوُّقي وحماســـي. إذاك قلت لنفسي: " أجل، يلزمني أن أعود وأن أعيش من جديد "، فعدت إلـــى داخل جسدي. بل لدي الشعور بأني شخصياً قد أوقفت نزيفَ دمي. ومهما يكن من أمر، إنما انطلاقاً من ذاك الحين بدأت أستعيد صحتي على نحـــو أفضل. >>

أما آخرون، فقد بقي لهم الانطباع بأن " الله " [تعـــالى]، أو " الكـــائن النوراني " هو الذي أذن لهم أن يَحيَوا من جديد، استجابةً لالتماسهم ذلـــك (وعلى العموم **لأن هذا الالتماس ما كان يتسم بهدف أناني**): أو لربما لأن " الله " أو هذا " الكائن من نور " كان يعتمد عليهم بقصد مهمة لا بد مـــن انجازها حسناً.

<< كنت مُضجَعةً على طاولة العمليات الجراحية، وأرى كل من لبثوا في طور أعمالهم. وغدوت أعلم أني سأموت، وأنها النهاية. لكني رحـــت أقلق على أولادي، وعلى معرفتي من الذي سينهض بأمورهم، إذن لم أكن متأهبة لرحلة الموت. و" الرب " أذِنَ لي بالعودة إلى الحياة. >>

وثمّة رجل قد تذكّر ما يلي:

<< لا بد لي من التأكيد بأن " الله " كان جزيل الطيبة حيالي، فعقب موتي سمح للأطباء أن ينعشوني لهدف دقيق معين. وكما أرى، قد أراد " الله " أن أعود لإسداء العون لزوجتي: فقد كانت مصابة بنزعة شرب الكحول، وأنا متأكد من أنها لم تكن لها الشجاعة للنضال بمعزل عني. وهي الآن على صحة أفضل بكثير، ولا شيء بوسعه إلغاء فكرتي بأن تماثلها إلى الأفضل منوط بجزء كبير بعودتي من مغامرتي بعيداً عن جسدي. >>

وإليكم قصة والدة شابة:

<< أعادني " الله " إلى هنا، بيد أني أجهل سبب عودتي. وقد شعرت " بوجوده " شعوراً جلياً، وأدركت أنه [تعالى] قد يعرفني، ويعلم من أنا. لكنه لم يستحسن أن يُشرّع لي باب " السماء"، ولا أدري لأي سبب. ومنذ ذاك الحين غالباً ما تفكّرت في هذا الأمر، وأتصور الآن أنه أراد عودتي من أجل ولديّ، وقد بقي علي أن أربّيهما، أو لعل ذلك لأني لم أكن مستعدة لتمام الموت الحقيقي. ولا أزال أسعى إلى شروح، بيد أني لا أرى غير ما سبق أن قلتُه. >>

ويجهرُ البعض بالرأي التالي، وهو أن محبة وصلاة جوار المحتضر بمقدورهما انتزاع أي فردٍ من الموت، دون أية مراعاة لرغبته الخاصة:

<< صاحبتُ إحدى أقاربي وهي مُسنّة كثيراً، خلال مرضها الأخير، الذي استمر ردحاً من الزمن. وشاركتُ في المعالجات التي تُعطى لها، وخلال تلك الفترة، لم يزل أعضاء الأسرة يُصلّون لأجلها، لكي تستعيد عافيتها. وتوقف تنفسها مراتٍ عدة، لكنْ تيسر دائماً إنعاشها. وأخيراً، نظرتني ذات يوم وقالت لي: " يا جانّ، قد ذهبتُ إلى الجانب الأخر، في المكان الآخر، وهناك كان الوضع رائعاً. ولا أطلب إلا بقائي فيه، ولكن

لن يكون الأمر ممكناً طالما تلبثون جميعكم هنا على قيد الصلاة لكي أبقى معكم. إن صلواتكم تبقيني هنا. وأتوسل إليكم، كفوا عن الصلاة من أجلي! " واطعناها، وعقب ذلك بقليل قضت نحبها نهائياً. >>

قالت إحدى النساء:

<< تحقق الطبيب من موتي، لكني بقيت على قيد الحياة، وإن التجربة التي خبرتها لم تأتني إلا بالفرح، ولم أشعر بأي شيء مُكدِّر. وحينما عدت إلى وعيي، فتحت عيني فرأني زوجي وشقيقتي، وكان ارتياحهما ظاهراً للعيان تماماً، فلم تزل الدموع على وجهيهما، من جرّاء سعادتهما بمشاهدتي وقد انكفأتُ إلى الحياة. وراودني الانطباع بأني سمعت من يناديني، بل قد أقول إني قد صرت مُمغنطةً نوعا ما من قبل قوة الحب الذي أحبني به كلٌ من شقيقتي وزوجي. ومنذ ذاك الزمن، أعتقد تماماً أن الإنسان بمقدوره أن ينعش الآخرين بحبه لهم. >>

يتذكر بعض الأفراد أنهم أُعيدوا إلى الحياة من خلال هذا النفق المعتم ذاته الذي سبق لهم أن اجتازوه طوال الفترة الأولى لتجربتهم. على سبيل المثال، روى رجلٌ أن الموت ذهب به إلى داخل وادٍ مظلم، لكنْ، فيما راح يقترب من نهاية النفق، سمع صوتاً خلفه يدعوه باسمه. فرأى نفسه مضطراً إلى إعادة اجتياز هذا النفق بالاتجاه المعاكس، خلال المسيرة ذاتها.

قليلون جداً هم " المواتيون " الذين يتذكّرون اندراجهم في أجسادهم مجدّداً. ويروي غالبيّتهم أنهم في نهاية مغامرتهم " قد ناموا " فاستيقظوا فيما بعد داخل جسدهم المادي.

<< لا أتذكر عودتي إلى داخل جسدي. في البداية ذهبت زائغة على غير هدى ثم نمت. ثم استيقظت فجأة على سريري. فمن لبثوا في الغرفة،

وجدتهم ثانية تماما في المكان حيث كنت قد رأيتهم حينما خرجت من جسدي. >>

على نقيض ما سبق، ثمة آخرون تذكروا أنهم قذفوا بشدة نحو جسدهم المادي، وغالباً خلال انتفاضة مفاجئة، متى بلغت تجربتهم نهايتها.

<< كنت هناك في العالي قرب السقف ورحت أراقبهم ينهمكون بعلاجي. ولما وضعوا إليكترودهم الكهربائي على صدري وقام جسدي بقفزة، رأيتني أسقط كوزن ميت، وبعد حين، كنت داخل جسدي.>>

وتذكر أيضاً رجل آخر فقال:

<<... قررت أني سأعود، وعلى الفور حدث ما يشبه صدمة، أجل، صدمةً قذفتني داخل جسدي، وفي ذاك الحين شعرت بدقة أنني أستعيد الحياة. >>

في التقارير النادرة حيث تقترن هذه العودة ببعض التفاصيل، وكما يقال، يحدث الاندراج في الجسد مروراً " بالرأس ".

<< كان " كياني " يظهر مصحوباً بطرفٍ أكبر من الآخر. وفي نهاية حادثي الأليم، بعد أن ارتفع هذا الشيء [أي كيانهُ] وكأنه معلّق فوق رأسي [رأس الجسد] قد دخل الجسد من جديد. وعندما سبق لكياني أن خرج، فالطرف الكبير قد مرّ أولاً، ولكنْ، عند الرجوع، كان الأمر عكس ذلك. >>

وقصّ علي أحدهم ما يلي:

<< حينما رأيت أنهم يرفعون جسدي ويسحبونهُ من تحت مقود السيارة، حدث ما يشبه زوبعةً. جرّتني إلى داخل نوع من القمع، فكان السواد المطلق في داخله. وانزلقتُ بسرعة نحو جسدي. وبقيت وكأني ممتصاً، ونقطة انطلاق هذا الامتصاص كانت في رأسي، وكأني أدخل

مجدّداً برأسي. ولم يُطلب رأيي، ولم يكن ثمة مجال لأتمكن من أن يكـون لي رأي من الآراء ... وفي الحين السابق، تواجدت على بضعة أمتار من جسدي، وبحركة مفاجئة قد انتهى الأمر. ولم يكن لديّ الوقت الـضروري لأقول لنفسي: ' إن جسدي يمتصّني ... >>

وثمة ملاحظة إجماعية: إن ردود الفعـل الـسيكولوجية والمـشاعر المصاحبة لهذه التجارب تستمر بعض الوقت بعد أن تكون الأزمة قد تـم حلها على الصعيد الطبي:

أولاً: ' بعد عودتي إلى ذاتي، لم أكف عن البكاء طوال أسبوع كامل، لأنه توجب علي أن أعيش في هذا العالم بعد أن لمحت العالم الآخر. فمـا كنت أريد أن أعيش من جديد. '

ثانياً: ' متى كنت أعود إلى ذاتي، سبق لـي أن احتفظـت بـبعض الإحساسات الممتعة التي شعرت بها في الجانب الآخـر، واسـتمر هـذا الوضع عدة أيام. وحتى الآن أيضاً، يحدث لي أني أستعيد الشعور الممتـع بها. '

ثالثاً: ' كان إحساساً يعصى على الوصف، ولم يتركني نوعاً ما حتى الآن، وغالباً جداً لا أزال أفكّر فيه. '

مشكلة الشهادة

يحسن بنا الإلحاح على أن أي فرد قد مرّ بتجربة من هذا القبيل يعجز عن إدراكه أي شك حول واقعية هذه التجربة كما حول أهميتها. فكل ما قد تم بَوحُهُ إلي تطاله نُتفٌ من الملاحظات الدقيقة عن هذه القـضية. علـى سبيل الأمثلة ما يلي:

<< حينما سبق لي أن خرجت من جسدي، لبثت بدقة مندهشا ومذهولاً مما يحدث لي: وما كنت أفهم شيئاً من ذلك. لكن الأمر لم يزلْ حقيقياً. رأيت جسدي من خارجه، بدقة بالغة وعن بعد شديد ! ولم أكن بتّة في حالة ذهنية لمن يترقب أن يرى حدوث أشياء خارقة للمعتاد، أو لمن يجعل خياله يزيغ ويشرد بهذا الشكل. وما كنت أُفبرك أفكاراً. ولم تكن هذه حالتي الذهنية في ذاك الحين. >>

وثمة شهادة أخرى: << لم يكن لذلك أي شيء من الهلوسة. فقد حدث لي أن اعتراني البعضُ منها، ذات يوم، حيث حُقِنتُ بالكودئين [أي: الأفيون] ° في المستشفى، لكن قد حدث هذا منذ أمد بعيد قبل الحادث الذي قتلني فعلياً. وما أصفه لك الآن ليس يمتّ بأية صلة بهذه الهلوسات على الإطلاق.>>

صدرت ملاحظات كهذه عن أفراد بوسعهم تماماً أن يميّزوا حلم اليقظة أو استيهاماً هلوسياً Phantasme لحقيقة الواقع. فإن الشهادات التي جمعتها ناجمة عن أشخاص ينعمون بالرزانة والاتزان الحميد. لكنهم لا يروون تجاربهم كما لو فعلوا ذلك بحلم يقظة، بل تماماً كما يدونون وقائع حقيقية قد جرت فعلاً.

لكنْ، رغم يقينهم الخاص حول واقع مغامرتهم وأهميّتها، فهؤلاء الأشخاص يدركون تماماً أن مجتمعنا المعاصر ليس وسطاً متهيئاً بوجه خاص لتقبله قصصاً من هذه الغرابة تقبلاً يتسم بالتفهم وحلم التسامح. أجل، فالعديد من هؤلاء الأشخاص قد حرصوا على ملاحظتهم أنه أدركوا منذ البدء (إن شرعوا يروون مثل هذه الحوادث)، أنّ محادثيهم قد ينعتوهم دون تريّثٍ بخلل ذهني. بحيث أنهُم صمموا على كمّ أفواههم حول هذا

° كل ما يرد بين قوسين معقوفتين هو شرحٌ مني أنا المترجم.

الشأن، أو على الأقل، ألا يبوحوا بـــذلك إلا لأفـــراد ينعمـــون بالـــصداقة الحميمة.

<< بدا لي كل هذا مستقطباً للاهتمام جداً، ولكنْ، لا أحب الحديث عن ذلك للآخرين: ففي الحال ينظرون إلينا وكأننا معتوهين. >>

وثمة رواية أخرى:

<< لم أتكلم عن هذا لأي إنسان، خلال فترة طويلة جداً جـــداً. ولـــم أتوخَ البوح بأي شيء لأيٍّ كان: فالأمر قد يجعلنـــي غريـــب الأطـــوار. واعتراني ذعرٌ شديد من أن أحدهم قد يعتقد بأني أبوح بالحقيقة فيقول لي: " هيّا، هيّا، ليس كل هذا سوى مجرد تخيلات. >>

وإليكم هذه الشهادة:

<< ذات يوم، اتخذت قراراً: أردت أن أرى كيف هـــي ردود فعـــل أسرتي. فرويتُ عليهم كل شيء، ولكن لم أفعل ذلك لأي شخص آخر حتى الآن. ولدي الشعور بأن عائلتي قبلت تصديقي بأني قد مضيت حقاً حتى ما بعد الحياة في الجسد. >>

أما آخرون فقد أرادوا أن يبوحوا بذلك لفردٍ ما دون أي انتظار، لكنهم لم يُحدثوا سوى موقف مستهزئ جداً حتى أنهم اضطروا إلـــى اتخـــاذهم القرار بأن يصمتوا. وقد قيل لي ما يلي:

١. << إن الشخص الوحيد الذي حاولت التحدث إليه عن ذلك هو والدتي: وعقب بعض الوقت، رويت لها مـــا ســـبق لـــي أن شاهدته وشعرت به. لكني كنت صبياً صغيراً ولم تُعِر لكـــل حديثي أي انتباه. وبالتالي، لم أتحدث البتـــة عـــن ذلـــك لأي شخص كان. "

٢. أردت أن أقصّ كل شيء للكاهن مُعرّفي. لكنه أجابني بأنني أمسيتُ ضحيةَ هلوسات. ومن ثم، لم أعد أقول شيئا عن تجربتي. "

٣. ... عندما حدث لي ذلك، حاولت أن أكلم رفيقاتي في المدرسة الثانوية، فصُنِّفتُ بشكل أوتوماتيكي كمجنونة. وبقيت أقصُّ حكايتي، ولبثن على إصغائهن إلي بصورة تنم عن الاهتمام، ثم اكتشفت، بعد بقليل، أنهن يقلن عني: " يا لها من مسكينة، إن ذهنها يزوغ تماماً! " ولما أدركت أنهن يهزأن بي، انقطعت عن التواصل بهن. وإلى جانب هذا، لم يكن هدفي ايراز قيمتي وأنا أجهر قائلةً: " آه! كم هو غريب ما قد حدث لي! " كلا! ما حاولت أن أنقله لغيري، هو أن لنا المزيد من الأمور لتلقنها عن الحياة وذلك أكثر مما قد افترضت في أي ماض من حياتي، وأنا متأكدة جداً أن رفيقاتي لم يتفكرن في ذلك البتة هن أيضاً. "

٤. حينما استيقظت، أردت أن أروي كل شيء للممرضات، لكنهن أعطينني النصيحة بألا أتحدث عن تجربتي لأيٍ كان. وحسبن كل هذا من ابتكار مخيلتي. >>

وعلى هذا المنوال، أستعير هنا الكلمات التي نطق بها أحد الشهود:

<< نكتشف بسرعة شديدة أن الناس لا ينساقون إلى تصديق هذا النوع من الأمور بنفس السهولة التي نتمناها. فعلينا ألا نندفع كما يفعل شيطاناً مندفعاً من علبة فنبوح بما لنا لأي فردٍ كان. >>

هناك ملاحظة تستدعي الاهتمام بما يكفي: من بين جميع الحالات التي قُدّمت لي، لم يذكر إلا مرةً واحدة (بل فريدة) أن طبيباً يُلمُّ نوعاً ما بظواهر تُشير إلى الاقتراب من الموت، ويُبدي بعض اللطف حيال هذا

الأمر. وإن فتاة شابة سبق لها أن مرّت بتجربة ازدواجية الشخصية قد روت ما يلي:

<< طلبنا، والدي وأنا، إلى أحد الأطباء رأيه حول ما قد حدث لي، فأجابنا أن هذا الأمر غالباً ما يحدث في حالة ألم شديد جداً أو حالة جرح خطير: فالروح تنتزِع منسلخةً عن الجسد. >>

بسبب الشكانية [نزعة مذهب الشك والريبة] وعدم التفهّم اللذين يصطدم بهما الناس الذين يحاولون أن يشاركهم آخرون في تجربتهم حول " الموات " [أي الموت المؤقت وخروج الروح من الجسد]، لن نندهش إن كان جميع من تواجدوا في هذا الوضع تقريباً يتصورون أنهم يشكّلون حالة فريدة، وأن أي فردٍ آخر لم يجرب يوماً ما قد مرّوا فيه. أمّا أحدهم، مثلاً، فقال لي: " قد ذهبت إلى حيث لم يذهب قط أحدٌ من الناس. "

من ثم، في نهاية المقابلة التي أتحفني أحد الرجال خلالها بقصته المفصلة، عندما أفضى بي الأمر إلى قولي له أن آخرين قد رووا لي الوقائع ذاتها، ووصفوا الإدراكات نفسها، غالباً ما لحظت أن هذا الكشف عن الواقع يمنح الشخص المعني ارتياحاً عميقاً:

<< إنه حقاً لأمرٌ جمّ الأهمية، ألا وهو اكتشاف المرء أن آخرين قد جرت لهم التجربةُ عينها، وذلك لأني ما كنت أعي هذا الأمر (...)، فأنا بصراحة على جمٍ من السعادة لعلمي بذلك، ولكوني قادراً على قولي لنفسي أن آخرين سواي قد أُقحِموا أيضاً في هذه التجربة، والآن، على الأقل، أعي تماماً أنني لست مجنوناً.

<< سبق لي دوماً أن اعتبرت هذا الأمر بصفته حقيقياً بوجه كامل، بيد أني توخّيتُ ألا أتكلم، خشيةً مني أن ينظر الناس إليَّ، وهُم يفكرون كما يلي: إن هذا الرجل، حينما فقد الوعي، قد فقد أيضاً العقل! >>.

<< مهما قلت لنفسي إنه لا بد لسواي من الناس أن يمرّوا بالتجربة عينها، فقلما كان الحظ إلى جانبي لأتمكّن من العثور على رجلٍ ما قد يكون سمع الحديث عن حالةٍ مماثلة: إنما هي أمور لن يصل المرء إلى التبجّح بها. وإن لم يحدث لي هذا الأمر أنا بذاتي، وأتى أحدهم ليروي لي هذه القصة، لربما قد تساءلت أي نوع من المزاح أراد أن يتحفني به. وهكذا هو عالم أيامنا هذه. >>

إن تحفظات من يتردّدون في البوح بتجربتهم تحفظات تنمّ عن دواع أخرى. فالبعض يدركون تماماً طابع " **الموات " الذي يعصى على الوصف**، يتعالى في آن معاً فوق اللغة وفوق أنماط الإدراكات الحسية البشرية، حتى إن محاولة الإعراب عن ذلك تغدو محاولة نافلة بمقدار كامل.

الانعكاسات على السلوك الحياتي

من جرّاء جميع الأسباب التي ذكرتها لتوّي، وبمقدار ما أعلم، ليس ثمّة شخصٌ ما قد صنع لنفسه مقراً يسهل حمله لكي يمضي ويعظ كل النهار على الساحات العامة، بالمغزى الذي ينبغي استخلاصه من تجربته. لا يرى أحدٌ مُجدياً القيام بالتبشير، ولا حتى بمحاولة إقناع الآخرين بالوقائع التي تمت مصادفتها. في واقع الأمر، ما استطعت ملاحظته هو نقيض ذلك تماماً: فغالبية الناس يتبدّون بطبيعتهم على أقصى الحذر حالما يعني الأمر أن يُقدّموا بياناً حول ما حدث لهم.

إن انعكاسات تجربتهم على سلوكهم الحياتي، قد ارتدت، بصورة عامة، أشكالاً على مزيد من الهدوء، ومزيد من الدقة. وأكّد لي كثيرون أن حياتهم، عقب هذه الحوادث، قد كسبت شيئاً من العمق والاتساع في

الآراء. ومنذ ذاك الزمن، شرعوا يتفكّرون ويتساءلون بقدر أوفر حول المشكلات الفلسفية الهامة.

<< في غضون ذلك - قبل بدني بدراساتي العليا - كنت قد نشأت في مدينة صغيرة جداً ما بين أناس على تزمّت في آرائهم بما يكفي، وإلى جانب هذا، لم أكن مختلفة جداً عنهم. بل لبثت نموذج المرأة الشرسة، في معظم مطلع الفتوة، ونوعاً ما سنوبيّة [نفّاجة: أي تقلّد من تعتبرهم على المزيد من الرقي والتطور snob] علاوةً على ذلك.

<< بيد أني، عقب ما حدث لي، بدأت أرغب أن أعرف عن الأمر أكثر مما فعلت. على هذا، في تلك الفترة من حياتي، لم أتصورْ إمكانية وجود أناس يقتنون حول هذه القضية بعض المعلومات، حيث أني قد بقيت في عالمي الصغير المُغلق. ولم أكتسب أي مفهوم سيكولوجي، وأي شيء من هذا القبيل، وكل ما عرفته **هو أنني قد نضجت ذهنياً، وفجأةً في أعقاب ما حدث لي**: وبالتالي انفتح أمامي عالم جديد تماماً ولم يسبق لي أن علمت بإمكانية وجوده، فرحت أكرّر لنفسي دون هوادة: " هناك بالتالي الكثير من الأمور لا يزال علي اكتشافها! " وبقول آخر، لا تتوقف أمور الحياة عند السينما، مساء نهار الجمعة، وعند مباريات كرة القدم. فثمّة في حياتي الشخصية، أكثر بكثير مما أعرفه أنا عن الحياة. وأخذت أتساءل عن حدود ما هو بشري، وحدود الوعي والضمير. وشُرّع أمام مساعيّ كونٌ بكامله. >>

وإليكم هذا التصريح:

<< منذ ذاك الحين، لم انقطع عن تساؤلاتي حول ما فعلتُ بحياتي، وحول ما سأفعله بها. أمّا حياتي السابقة، فلم تترك لي ما أتشكّى منه، ولا أعتقد أني مدين بشيء عظيم لعالمي، حيث أني قد استطعت في الحقيقة أن أفعل ما أريد، وكيفما أريد، وها أنذا على قيد الحياة، وبوسعي أن أفعل المزيد. ولكن، منذ " مواتي " [موتي المؤقت سريريّاً]، وعقب تجربتي،

طفقت أتساءل فجأة إن كان تصرفي، قد قمت به لأنه بدا لي حسناً، أو لأنه كان صالحاً لي وحسْب. في السابق، لم أزل تحت تأثير نزعات غريزيـــة، أما الآن فإني أفكّر أولاً في الأمور تفكيراً هادئاً ومتأنّيا.

<< وجهدت لكي يسعى سلوكي إلى أن يُضفي معنى علـــى أفعـــالي فأصبح كلّ من نفسي ووعيي على مزيد من التحسُّن. وحاولت العـــزوف عن الأحكام المسبقة، وألا أتخذ أي حكم على الآخرين. فطلبتُ كل عمـــل جيد، لأن هذا الطلب مُوفّق بحد ذاته لا لمصلحتي فقـــط. ويبـــدو لـــي أن تفهمي للأمور قد ازدادت جودته أقصى ازدياد. وأنا الآن شاعر بكل هـــذا الوضع من جرّاء ما قد حدث لي، وبسبب الأماكن التي زرتها، وكل مـــا شاهدته فيها. >>

أما آخرون من " المواتيين "، فقد أتوا على ذكر تغير مـــوقفهم حيـــال الحياة المادية التي أُعيدت إليهم. فمثلاً، قالت إحدى النسوة ببساطة: " غدت لي الحياة ثمينة أكثر بكثير منذ تلك التجربة. "

ووضح شخص آخر الوضع بما يلي:

<< كانت تلك التجربة تركة " حقيقية " لي. فقبل أزمتي بسبب وضع قلبي، لبثتُ مُمَركزاً دون هوادة على مشاريع أولادي المـــستقبلية، وفـــي عتمة كثيفة حول ماضيّ بحيث أفسدت علي جميع بهجات الزمن الحاضر. أمّا الآن، فقد غيّرتُ موقفي بوجهٍ كامل. >>

يؤكد بعض " المواتيين " على أن تجربتهم قد عدّلت بعمـــق طريقـــة تصورهم أهمية الجسد المادي النسبية، بالنظر إلى الروح والذهن. وهذا ما يبرز بدلالة خاصة من التعابير التي توسّلتْ بها إحدى النساء التـــي رأت أنها قد انسلخت عن جسدها، فيما لبثت على وشك " الموت ".

<< منذ ذاك الحين، ازداد وعيي بأن لي روحاً أكثـــر مـــن إدراكـــي لجسدي المادي. فالروح هو الذي أصبح بالنسبة إلي جزئـــي الجـــوهري

بالأكثر، بدلاً من شكل جسدي. فيما مضى من حياتي كلها، قد استمر الأمر على نقيض ما هو الآن: فقد أوليت انتباهي كلّه لجسدي، أما ما لبث يحدث في ذهني فبقي أمراً عادياً لا أكثر. والآن، إنما هو روحي الذي يتموضع في مركز اهتماماتي، فيما احتل جسدي الحيّز الثاني، أي دوراً ناقلاً لأفكاري: ولم يُعد يمثّل لي ذلك اهتماماً رئيسيّاً، حيال كل الأمور والأشياء وأخذ روحي ينعمُ بالأهمية الكبرى. >>

في عدد ضئيل جداً من الأوضاع، أكّد لي بعض الشهود – في أعقاب تجربتهم – أنهم قد اكتسبوا، وقد لاحظوا هم أنفسهم ذلك، ملكات استبصار [حدْس] intuition تجاور التوسّطية [قابلية التوسط médiumnité وضع الوسيط البشري بين الإنسان والأرواح في التنويم المغناطيسي].

١. << بعد هذه الحوادث أوشكت على شعوري بأني مليء بروحٍ جديدة. ومنذئذ، قد لاحظتُ أنني أحدث تأثيراً مهدّئاً على الناس، فأقوم بفعلي مباشرةً متى يشعرون بهمومهم. وأشعر أني على مزيد من التوافق مع جواري، بل بدا لي أني أتوصل إلى تخميني الناس أكثر مما في السابق بكثير. >>

٢. << هي موهبة أعتقد أنّي قد حصلت عليها عقب " مواتي " [موتي المؤقت] ألا وهي أني أنجح في تخميني ما يحتاجه الآخرون. ففي غالب الأحيان مثلاً، حينما أتواجد مع أفراد آخرين في مصعد البناية حيث أعمل يعتريني تقريباً الشعور بأني قادر على قراءة أفكارهم من خلال وجه كلٍّ منهم، وأشعر أنهم في عوز العون مني أو سواي وأي نوع من العون. وغالباً ما حدث لي أني كلمت بعض الأشخاص في هذه الظروف، فاصطحبتهم إلى مكتبي لكي اقترح عليهم نصائحي. >>

٣. << منذ حادثتي الصحية [أي " المواتِ "]، غالباً ما يعتريني الشعور **بأني أدرك الأفكار والاهتزازات المنبثقة عن الناس،**

كما أدرك عداوتهم. وغالباً ما استطعت أن أعرف مسبقا ما سوف يقوله الأشخاص قبل أن يتفوهوا بأي كلام. وسيصعب على غيري أن يصدقني، غير أن أموراً غريبة قد حدثت لي، وكانت جمّة الغرابة، منذ ذاك الحين. فذات مساء، في منزل أصدقاءٍ لي، حزرت أفكار المدعوين، وإن بعض الأفراد الغرباء المتواجدين هناك، قد انتصبوا لكي ينصرفوا، فقد حسبوني ساحراً، وأفزعتهم. ولا أدري البتة إن كان شيء قد اكتسبته عندما لبثتُ على ' موات ' [في موت عابر] أو إن سبق لي أن امتلكت هذه الموهبة دون إدراكي ذالك، ولم استخدمها بتّةً حتى هاتيك الحوادث إبّانَ ' مواتي '. >>

ثمّة إجماع مرموق يتجلى في شأن ' العِبَر ' [الدروس] إن استطعت قول ذلك، التي تم نقلها من هاتيك الرحلات خلال ' الموات '. فإن جميع الشهادات تقريباً تشدّد على **أهمية حب القريب**، في غضون الحياة، وهو حب ينعم بصفة فريدة وعميقة. فهناك رجل قد شعر، متى التقى بالكائن النوراني، بأنه محبوب حباً كاملاً، وأنه مقبول تمام القبول، فيما مضت سنوات حياته كلها في قصد شامل ينحو إلى أن يراه الكيان المعني. فبدا له أن السؤال الذي طرحه هذا الكيان كان معادلاً للسؤال إن هو يشعر بأنه قادر على محبته الآخرين بذات المحبة الكثيفة. أما الآن فهو يرى أن مهمته على الأرض تقوم على أن يجهد لكي يتعلم مثل تلك المحبة الكثيفة الجامحة.

علاوةً على ما سبق، ألحّ كثيرون سواهم على **أهمية طلب المعرفة**. فخلال تجربتهم، قد اقتُرِح عليهم أن يستمر **اكتساب المعرفة** وحتى ما بعد الحياة الدنيوية. ومن بين آخرين، ثمة امرأة، عقب ' مواتها '، لم تدع من بعد أدنى مناسبة لتتثقف. ونقل إلينا أحد الرجال هذه النصيحة التالية:

" مهما يكن عمرك، استمرّ في التعلّم، لأنه، حسب اعتقادي، هناك فعالية لا تنقطع أبداً وحتى في الأبدية."

لا أحد مطلقاً من جميع هؤلاء الذين استجوبتهم قد زعم أنه خرج من هذه التجربة " مُنقّى " أو أفضل. ولا أحد من محادثيّ قد أبدى موقفاً من الأسلوب التالي: " أنا أوفر قداسة منك ". وفي الواقع، قد وضّح غالبيتهم، أنهم يشعرون دون هوادة بأنهم على قيد العمل والبحث. **فإن رؤياهم قد خصّصت لهم أهدافاً جديدة لا بد من النهوض بها، وأحكاماً أخلاقية جديدة**، وعزّزت تصميمهم على أقلمة حياتهم وتوافقها مع كل ما سبق. ولكن، في أي حال من الأحوال لم توح لهم بفكرة خلاص آنيّ، أو بأية عصمة عن الخطأ الأخلاقي.

آفاق جديدة حول " الموات "

حسب ما يسعنا توقّع ذلك بسهولة، تنال هذه التجربة بعمق الأفكار السائدة التي تمكّن البشر من استنباطها لأنفسهم حول الموت الجسدي المؤقت أي " الموات "، وبشكل خاص في حالة من لم يتوقّعوا البتّة أن يشتمل على شيءٍ يتلو هذا الموت المادي، أكان بشكلٍ ما أو بسواه. وعلى الصعيد العملي، قد أتاح لي جميعُ المعنيين إدراكي أنه لم يعد لهم منذئذٍ أي خوف من الوفاة. لكنْ، ثمة بعض التوضيحات تلبث هنا ضرورية.

أولاً، إن بعض أشكال الموت لا يُرغب فيها قطعياً، وذلك بتمام الجلاء والوضوح، ثم، لا أحد من هؤلاء الأفراد يسعى إلى الموت. فجميعهم مقتنعون أن لهم مهمات ينبغي النهوض بها في غضون حياتهم على الصعيد الجسدي، وعساهم يوافقون على كلمات هذا الرجل الذي قال لي: " سيلزمني تغيير الكثير من الأمور قبل موتي وانصرافي من هنا. " وهم

لربما جميعا على هذا المنوال متأهبون لإدانتهم الانتحار، بصفته هادفا إلى أن يعودوا إلى الأمكنة التي قد استشفوها خلال " رحلتهم ". ولنـذكر هنـا بعض المقاطع حيث تفسّر هذه المواقف:

١. << أعتقد تماماً أن هذه التجربة قد أدخلت عنصراً جديدا فـي حياتي. كنت طفلاً وحسبْ عندما جرى لي هذا الحـادث، ولـدا أُناهز العاشرة من عمري، ولكن منذ التجربة هذه، وخلال حياتي بأكملها، احتفظت باقتناعي **أن الحياة تـستمر عقـب المـوت. ولايطال ذلك أي ظل من الشك بالنسبة إلي**، ولا أخاف الموت. ولم أشاهد خلال ثانية واحدة أناساً يشعرون بهذا الخوف، بهـذا الفزع الشديد. وأرغب دون انقطاع أن ابتسم لما أسـمع أناسـا يشكّون في أن هناك ما بعد الحياة، أو يقررون بقولهم: " لا شيء عقب الموت ". فإني عندئذ أضمر الفكرة في داخلي، ألا وهـي: " إنهُم جهلة ". >>

<< دَهمتني محنّ عديدة طوال حياتي. وخلال عملي، حدث لي أني شاهدت فوّهة مسدس مصوبة على صُدغ رأسي، ولم أخف كثيراً لأني قلت لنفسي: " حسنا، إن قتلوني حقا وفقـدت الحيـاة الجسدية، فأنا أعلم أني سأستمر في حياة روحي بأحد الأمـاكن غير هذا. >>

٢. << عندما كنت صغير السن، لبثتُ أخاف من الموت. وخلال الليل، أستيقظ باكياً وأعاني بعض الأزمـات. فيهـرع والـدي ووالدتي إلى داخل غرفتي ويسألوني عما يعتريني. فأجيبهم أنني لا أريد أن أموت، ولكني أعلم جيداً أن الموت لا بد منه، فاسألهم إن كانت ثمّة وسيلة لمنع حدوث الموت. وعندئذ علّمتني أمـي فقالت: " لا، فالأمر يبقى هكذا، وعلينا جميعاً أن نتأقلم مع هـذه الفكرة. " وكانت تُضيف أننا بأسرنا سنتواجد يوماً مـن الأيـام

وحيدين أمام الموت، وعندما تحين الساعة سيمضي كل شيء حسناً. وعقب وفاة أمي ببضعة أعوام، لم يزل يحدث لي أيضا أني تكلمت مع زوجتي حول هذا الموضوع. وبقيت أعاني من الخوف، لأني لم أزل أرفض أن أموت.

<< بيد أني، منذ هذه التجربة، لم أعد أخشى الموت بتّةً. فقد زالت عني هذه الهواجس والتخوفات. ولم أعد أشعر أي انزعاج وأنا أحضر دفن أحد الأموات، بل أجد عندئذٍ نوعاً من الصفاء البهج، لأني أعلم ما قد جرى للفقيد. >>

<< أعتقد أن " الله " [تعالى] قد أتاح لي لربما هذه التجربة بسبب ردود فعلي السيئة حيال الموت. وبالتأكيد، قد أسهم والداي في طمأنتي، لكن " الله " قد سمح لي بمشاهدتي ما لم يكن بوسعهما أن يُظهرا لي بوضوح. أما الآن، لم أعد أتحدث عن هذه الأمور بأسرها، غير أني أصبحت حذِراً وهذا ما يكفيني. >>

٣. << لم أعد الآن أخاف الموت. ولا أتمناه أيضاً، وليس لي أية رغبة في الموت حالياً. ولست مُتشبثاً بالانصراف إلى ما بعد الحياة، طالما من المفترض أن أمكث على قيد الحياة. وإن ما جعلني لا أخاف مما يجري بعد الحياة هو أني أعرف عندئذٍ إلى أين سأمضي، عندما سأغادر هذه الأرض: فقد كنت هناك. >>

٤. << ما قاله لي " الكائن النوراني " أخيراً - قبل رجوعي إلى حياتي الجسدية، وإلى الحياة الدُنيوية، قد كان – أو بالأحرى كان يعني نوعاً ما أني: " سأعود "، وأفهمني أنني، في هذه المرة، سأستمر على قيد الحياة، لكن، سيأتي يومٌ حيث سيتصل بي من جديد، وعندئذٍ سأموت موتاً حقيقياً لا عودة منه إلى الجسد المادي. >>

<< أعلم إذن أن " الكائن النوراني " سيعود، مع هذا الصوت، ولكن، فيما يخص التاريخ، أجهل كل شيء. وأرى أنني سأمرّ ثانيةً بتجربة مماثلة، لكنني أتصور أنها ستغدو على مزيد من الجودة فقد تمّ تحذيري حول ما ينتظرني، وسأصير تائهاً بمقدار أقل مما في المرة الأولى. ورغم ذلك، لست البتّة على عجلة من أمري للذهاب إلى ما بعد الحياة، وأعتبر أنه يبقى لي الكثير ممّا لا بد لي أن أفعله في هذه الحياة. >>

إن ما يُسهم في زوال الخشية من الموت، استناداً إلى هذه المقتطفات، هو أن المعنيَّ، عقب تجربته، لا يحتفظ بأي شك أو ريبة حول البقاء على قيد الحياة عقب موت الجسد البشري. ففي رأيه، لم يعد الأمر احتمالاً مجرّداً، بل غدا الأمر واقعة تجربةٍ.

يتذكر القارئ أنني، في مطلع هذا الكتاب، قد ذكرت فرضية " الإفناء" [المحق، الإبادة] الذي توضحُهُ التشابهات مع النوم والنسيان. فمن خبروا الموت يناهضون صوراً كهذه، ويختارون، بقصد تمثيلهم هذه الحادثة، تشابهات تُذكِّر **بالانتقال ما بين حالة وحالة أخرى، أو أيضاً بلوغ درجة من الوعي العالي، أي بلوغ إضافة [تتمة، ملحق] من الكينونة**. وإن امرأة، إبان " مواتها " [أي موتها المؤقت]، قد نعمت بسعادة مشاهدتها والديها الفقيدين وهما آتيان للقائها، فشبّهت الموت " بالعودة إلى البلد " [إلى الوطن]. وقد قارن آخرون الموت بحالات أخرى مُشجعة سيكولوجياً، على غرار " **يقظة**"، و" **ترقية**"، و" **خروج من سجن** ".

١. << أحياناً ما يقال إننا نتجنب النطق بكلمة " موت " لأننا نحاول الإفلات من الموت. ليس هذا هو موقفي. متى يكون المرء قد خبر التجربة التي حظيت بها، فهو يحتفظ بيقينه أن الوفاة غير موجودة. فإن الإنسان يمرّ فقط من حالة إلى حالة

تالية، كما يحدث في تتابع الدراسات، عندما ينتقل التلميذ من صف إلى صف أعلى.

٢. إن الحياة شبيهة بحيّز مغلق أي بسجن، ولا يسعنا أن ندرك، في حالتنا الراهنة، إلى أي مقدار يلبث جسدنا سجناً لنا. فالموت يهبنا مثل هذا التحرّر – وكأن المرء يغدو هارباً مما يُقَيّدُهُ، ولا أجد مقارنة أفضل من هذه. >>

وهؤلاء أنفسهم الذين سبق لهم أنهم انتموا إلى الإيمان التقليدي، قد صنعوا لأنفسهم فكرة حول طبيعة العالم الآخر، ويظهرون أنهم قد عدّلوا قناعاتهم عقب ملامستهم الموت عن قرب. ومن جميع الشهادات التي جَمعتها، لا شهادة واحدة ترسم لوحةً مستوحاة من الميثولوجيا العامة حول ما يحدث ما وراء الحياة. ولم يصف أحدٌ فردوساً في سلسلة من الصور المرسومة المصحوبة بأبواب من الأحجار الكريمة، وشوارع مبلّطة بالذهب، وملائكة مُجنّحين يعزفون على الكنارة [القيثار]، ولا أيضاً جهنماً من اللهيب مأهولاً بأبالسة مسلحين بالمذاري Fourches.

وهكذا، في غالبية الأحوال، يغدو مفهوم المكافأة/العقاب ما بعد الحياة، مفهوماً مهملاً، بل مُكذّباً، وحتى من قبل من سبق لهم أن اعتادوا على تصورهم الأمور بهذا الشكل. فقد لاحظوا، مندهشين بعمق أنه حينما كانت أفعالهم المذمومة بالأكثر والخاطئة بالأكثر أفعالاً ظاهرة أمام " الكائن النوراني"، فإنه ما كان يقوم بردّة فعل غاضب ومستنكر، بل على نقيض هذا، فهو يُبدي التفاهم، بل أحياناً يبدي الفكاهة الظريفة.[6]

---

[6] ليس من حكمة الرب أن يبدي غضبه لإنسان مذموم الفعال، ولا لإنسان خاطئ، فإنه لم يفعل ذلك عندما حل ما بين البشر واستقطب الضعفاء والخطأة. ولا سيما أن هؤلاء الأشخاص المعنيين هنا لم يُنهوا بعد حياتهم على الأرض. فالله سبحانه وتعالى لا يريد أن نذهب إليه بالغضب أو التهديد والذعر، بل يريد أن نذهب إليه بالحب والمعرفة ونقاء الإرادة وراحة الضمير [المترجم]

وفيما لبثت امرأة تستعرضُ مُجمل حياتها مع " الكيان النوراني "، فقد رأت من جديد مشاهد حيث افتقدت الحب وأبدت الأنانية، ورغم ذلك، كما قالت، " فإن توقف [الكائن] إزاء تلك الذكريات قد تركّز على تبيانه لي أنني، حتى في تلك الظروف، كنتُ قد تعلمت شيئاً ما ". [نرى هنا إلحاحاً على اكتساب المعرفة].

إن الكثيرين، إذْ عدلوا عن تصوراتهم القديمة، قد ارتدّوا مزوّدين بتصورات أخرى مختلفة، وبآراء جديدة حول العالم الآخر: أي رؤيا تُقْصي فكرة حكم وحيد الجانب، وذلك لصالح تعاون فعّال، يُبْذَلُ كنهاية أخيرة لاكتمال الشخصية. وفي هذا المنظور المتجدّد، إن تطور النفس - من حيث ما يعني بصورة خاصة الحب والمعرفة - لا يجد نهايته مع الموت، بل يستمر هذا التطور طوال مدةٍ ما، ويبلغ عمقاً لا نستطيع (نحن الباقون في سجن جسدنا المادي) أن يكون لنا عنه سوى فكرة سريعة الزوال، وبشكل غامض " وكأنهُ في مرآة ".

إثبـاتـات

إن السؤال الذي يُطرح عندئذٍ بوجه طبيعي هو التالي: هل من الممكن أن نكتسب براهين قاطعة على حقيقة هذه التجارب بمعزل عن كل ما يورده المعنيون من أوصاف وشروح ؟ وعديدون هم الذين يؤكدون على أنهم لبثوا مفصولين عن أجسادهم خلال فترات طويلة بما يكفي، وأنهم حضروا خلال هذه الفترة العابرة حوادث دقيقة جرت في العالم الجسدي المادي. أما يسعنا لربما أن نقارن هذه القصص بقصص سواها رواها شهود آخرون نعلم منهم أنهم كانوا حاضرين في أماكن المشهد: أو بقصص وقائع أخرى تَرِدُ لدعم هذه الوقائع وتثبِتها، وذلك لكي تستمد منها التأكيد على كل ما سبق ذكرُهُ ؟

في عدد لا يستهان به من الأوضاع، مهما أمكن أن يبدو الأمر مدهشاً، **فالإجابة على هذا التساؤل هي إيجابية**. وبالمزيد على ما قلناه، إن رواية الوقائع المراقبة خلال الانسلاخ عن الجسد يتحمل تماماً وضعها على المحك. وعلى سبيل المثال، ثمّة العديد من الأطباء قد أعربوا لي عن اندهاشهم عندما أثبت بعض المرضى (الذين يفتقدون معارف طبية) أنهم قادرون على وصفهم بدقة شديدة، ووصفاً دقيقاً صحيحاً، الطرق المستخدمة خلال محاولات إنعاشهم، فيما جرت تلك المحاولات خلال الفترة الزمنية حيث أقرّ الاختصاصيون " بموت " المريض.

وفي العديد من المناسبات، روى لي بعض الأفراد كيف أدهشوا الأطباء ومساعدين آخرين لهم حينما رَوَوا لهم وقائع لاحظوها خلال مكوثهم خارج أجسادهم. فهناك شابة، من بين أفراد سواها، إذْ تواجدت على وشك الموت، قد غادرت جسدها ومضت إلى غرفة مجاورة حيث صادفت شقيقتها البكر التي بقيت تبكي وتكرّر: " أوه ! يا كاتي، أرجوك، لا تموتي ! أرجوك، لا تموتي. "والشقيقة المعنية قد استولى عليها الذهول، فيما بعد. فإن كاتي بعد عودتها من " مواتها " قالت لها بدقة أين تواجدت في ذاك الحين وروت لها بدقة الكلمات التي قد سبق لها أن نطقت بها. وفي الفقرتين التاليتين، سنجد وقائع أخرى مشابهة:

١. << حينما انتهى كل شيء، قال لي الطبيب: إني وصلت إلى ما هو الأسوأ، فأجبته: " أجل، أعرف هذا. " فسألني: " كيف تعرفين هذا ؟ " فأجبته: " بمقدوري أو أرْوي لك كل ما حدث. " ولم يُرد أن يصدقني، وعندئذ وصفت له الأمر بكامله، منذ الحين حيث انقطع تنفسي حتى بداية عودتي إلى جسدي واسترجاع وعيي. وقد انذهل بشدة من معرفتي كل ما حدث، ولم يعثر على أي شيء ليقوله لي، غير أنه كرّر مرات عديدة أسئلته حول هذا الشأن. >>

٢. << حين استيقظت عقب الحادث الأليم، كان والدي بقربي، وما صرت راغبةً في استعلامي حول حالتي، ولا في معرفتي على أي حال بقيت، ولا ما لبث الأطباء يتوقعونَهُ بالنظر إلى بقية حالتي. ولم يبق لي سوى فكرة واحدة، أن أروي فوراً التجربة التي مررت بها لتوي. فقلت لوالدي من كان قد سحب جسدي خارج البناء، ومن أي لون ثيابه، وكيف سحبوني من ذاك المكان، وكل ما قيل حولي. وأعترف والدي فقال: " أجل، كل هذا صحيح. " ورُغم ذلك، كان جسدي عديم الوعي، بمقدار كامل، خلال تلك الفترة كلها، وكان مستحيلاً أنني كنت أرى وأسمع كل ما جرى إن لم أكن قد خرجت من جسدي. >>

أخيراً، في بعض الحالات، تمكّنتُ من حصولي على شهادات مستقلّة وردت من أفراد آخرين، وهي تعزّز هذه الوقائع. ولكن فيما أوضّحُ القيمة المبرهنة على مثل هذه الشهادات، أرى بعض المضاعفات تبرز حيالها. فأولاً، إن التوافقات التي أتحدّثُ عنها ليست، في اغلب الأحيان، مُثبَتة، إلا على يد المحتضر نفسه [أي " المواتي "] أو، بأقصى مقدار، من قبل اثنين أو ثلاثة من الأقارب. وثانياً، وحتى في أدهش الظروف المُثبَتة بالأفضل والتي تسنّى لي جمعُها، توجب عليّ أن أعِد وألتزم بعدم الكشف عن أي اسم. وإلى جانب ما سبق، مع افتراضي أن لي لربما الحق في ذلك، لا أعتقد أن هذه الوقائع المتوافقة، المرويّة عقب الحادث، قد تكون ذات طبيعة تُكوّن " براهين "، وذلك لأسباب صمّمت أن أعرضها خلال الفصل الأخير من كتابي هذا.

*

ها نحن قد بلغنا نهاية نظرتنا الشاملة التي تبدي شتى مراحل تجربة " الموات " [أي الموت الوقتي]، التي رُويت لي روايةً عامّة. ولكن، قبل إغلاق هذا الفصل، لا بد لي أن أذكر بمزيد من الإسهاب شهادة استثنائية

بما يكفي، وحيث نجد أيضاً عناصر عديدة قد تم وصفها، وتشتمل، علاوة على ذلك، أحد التفاصيل لم نصادفه في أية شهادة أخرى، وهو الذي يُشكّل شواذاً على القاعدة العامة: فهنا، يعلن " الكائن النوراني " مسبقاً للإنسان المعني [أي " المواتي "] أنه على وشك الموت، ورغم ذلك يُقرّر، بعد قليل، أن يدَعَهُ يعود إلى الحياة.

روى هذا " المواتيّ " ما يلي:

<< في هاتيك الفترة، كنت أتألم - ولا أزال أتألم أيضاً - من أزمات قاسية بسبب مرض الربو في قصبات رئتي وبسبب انتفاخهما emphysème. وذات يوم، أخذتني نوبة سعال quinte أحدثت جرحاً في إحدى فقرات أسفل عمودي الفقري. وفي غضون عدة أشهر، استشرت الأطباء واحداً فواحداً لأني كنت أعاني من ألمٍ مُبرّح لا يمكن احتماله، حتى إن أحدهم أرسلني إلى طبيب عصبوي جرّاح [أي: مختص بجراحة الأعصاب neurochirurgien]، الدكتور فيات Wyatt. وفحصني هذا الطبيب فأوصاني أن أطلب سيارة الإسعاف. فوافقت في الحال وفي المستشفى وضعوني على تمدّد كامل، دون أي تمهّل.

<< وإذ علم الدكتور فيات أني قد عانيت من إشكالات تنفسية خطيرة، توجب عليه استشارة قصباتوي [أي: طبيب مختص في القصبات التنفسية]. فأجاب هذا الطبيب بأنه يحسن استدعاء طبيب للتخدير ذي كفاءة مرموقة، أي الدكتور كولمان Coleman، في حال الضرورة لتنويمي. وراح القصباتوي [المختص في القصبات] يعالجني طوال ثلاثة أسابيع ثم ذهب بي إلى مؤسسة حيث سيتمكن الطبيب كولمان من أخذي على عاتقه شخصياً: وذات يوم، وكان الاثنين، قبل هذه المهمة مع أنه قد اعتبر حالتي تثير الكثير من المتاعب، وقُرّرت العملية الجراحية في يوم الجمعة التالي.

<< في مساء الاثنين، ذهبت لأضجع، وقضيت ليلة حسنة جداً حتى فجر صباح الثلاثاء حيث استيقظت وقد استحوذ علي ألم مُبرّح شديد. فحاولت أن انقلب على نفسي لكي أجد وضعاً يريحني أكثر، ولكن في تلك اللحظة بالذات شاهدت نوراً يظهر في زاوية الغرفة، تحت السقف بقليل. وكانت كرة من نور، نوعاً من الغلوب globe، ولم يكن كبيراً، وقدرت قطره بعشرين أو ثلاثين سم، لا أكثر. عندما أدركت ذاك النور، اجتاحني شعور غريب، لم يكن شعور خشية، كلا ! مطلقاً، كان شعوراً بسلام كليّ، شعور راحة كاملة في الأعصاب. وشاهدت يداً تمتد نحوي وكأنها خارجة من ذاك النور، وخاطبني النور قائلاً: "تعال معي، لدي شيء سأريك إياه." وحالاً، دون أي تردّد، مددت يدي بدوري لكي أمسك بتلك اليد التي أشاهدها، وإذ فعلت ذلك، أخذني الشعور بأني أُسحب نحو العلوّ وأني أغادر جسدي. وألقيت نظري إلى خلفي، فرأيت جسدي متمدّداً على السرير فيما رحت ارتفع نحو سقف الغرفة.

<< حينما غادرت جسدي، كنت قد اتخذت شكل النور ذاته. وأتتني الفكرة التالية - وهنا، لا بد أن أستخدم الكلمات التي ترد إلى خاطري، إذ لم أسمع البتة أي شخص يعرب عن هذا النوع من الأمور - وهي أن هذا الشكل كان لربما شكل روح من الأرواح. لم يكن جسداً: بل لا شيء سوى ضباب خفيف، بخارٍ من الأبخرة. وكان يشبه تلك الغيوم التي يحدثها دخان السيجارات عندما تستضيء وهي تمرّ قرب لمبة كهربائية. غير أن هذه الماهية substance التي أصبحت ماهيتي كانت ملوّنة، واشتملت على لون برتقالي، وأصفر، ولون آخر تعسّر علي تمييزُهُ - لربما لون نيلي، لون يميل إلى الزرقة.

<< لم يكن لهذه الماهية الروحية بنية جسدية، بل كانت كُروية نوعاً ما، مشفوعة بما قد ندعوه يداً. قد أدركت ذلك: فعندما قام النور، من الأعلى، بمدّ يده إليّ، فقد أمسكت بها بيدي. ومع ذلك، فإن ذراعَ ويدَ

جسدي لم يتحركا، فقد شاهدتهما دون حراك طوال جسدي على السرير، فيما أخذتُ أصعد نحو النور. ولكن كلما كنت أستخدم يدي الروحية، كان روحي يستعيد شكله المستدير.

<< وبالتالي، صرت أرتفع، في وضع يُشبه الكرة النورانية، وجُزنا من خلال سقف غرفتي وجدارها في المستشفى، حتى بلغنا الممر، وطوالهُ بقيت مسيرتنا، واخترقنا الأرض الخشبية، كما بدا لي هذا، ونحن ننزل أكثر فأكثر إلى الأسفل حتى طابق تحت البناء. ولبثت الأبواب والجدران تتيح لنا اجتيازها بسهولة، بل راحت تختفي فور اقترابنا منها.

<< خلال ذاك الزمن كله، أخذني الشعور بأني أعوم خلال الفضاء. وشعرت أننا نتحرك، لكن بمعزل عن أي أدنى شعور بالسرعة. وإذا بي على حين بغتة، وبصورةٍ آنيةٍ تقريباً، لاحظتُ أننا قد بلغنا داخل قاعة الإنعاش في المستشفى. ولاحظوا بدقة أن أية فكرة ما كانت لي حتى ذاك الحين عن تموضع تلك القاعة، لكننا وصلنا إليها ومن جديد بدأنا نحتل زاوية من الغرفة قريبة جداً من السقف، مسيطرين على كل شيء. ورحت أراقب ذهاب الأطباء والممرضات وإيابهم وهم يرتدون بزتهم الخضراء، وشاهدت الأسرّة ماثلةً حولهم.

<< أشار لي النور إلى هذا المشهد وقال: " هذا هو المكان حيث سوف تُنقل للتو. ومتى سيسحبونك من طاولة العمليات الجراحية، سيُضجعونك على هذا السرير، لكنك لن تستيقظ من بعد مطلقاً من هذا الوضع. ولن تعرف شيئاً مما قد حدث بعد دخولك قائمة العمليات حتى آتي لأطلبك من الآن حتى قليل من الوقت. >>

<< بكل تأكيد، لم يُعرب عن كل هذا شفوياً، بكلمات. ولم يكن الأمر في شأن صوت يمكن سماعه، لأنه لو كان الأمر كذلك، لاعتبرت من الطبيعي أن جميع من كانوا في القاعة قد سمعوا هذا الصوت لكنهم لم يسمعوا شيئاً. وكان الأمر بالأحرى اقتراحاً يُفرض عليّ، ولكن بقوة بالغة

بحيث أني قد أكذب إن قلت أنني لم أسمع هذا الصوت، أو أنني شعرت به على الأقل.

>> أمّا ما لبثت أراه في تلك الحالة الروحية - فهو أني لم أشعر بأقل صعوبة في تمييزي كل تفصيل من تفاصيل كل شيء. ولم يتوجب علـي أن أتساءل حول ما يريد من راح يحاول أن يُريني شيئاً ما، لأنـي كنـت أدرك في الحال ما يسعى " الكائن النوراني " أن يُريني إياه، وكان الأمـر جلياً. أجل كان هذا هو السرير - الأول إلى اليمين عند الدخول من بـاب الممرّ - حيث سوف أُضجَعُ للتو. وإن كان " الكائن النوراني " قد أتى بـي حتى هذا المكان، فثمّة سبب مُحدّدّ بدقة قد كشف لـي: فقـد علمـت أن " الكائن " هذا لا يريدني أشعر بالخوف حينما ستغادر روحي جسدي، بـل يريدني أن أتعرّف على ما قد أشعر به في لحظـة الانتقـال. ويريـد أن يُطمئنني، ويمحي عني كل خشية لأنه - كما شرح لي - قد لا يظهر لـي فوراً، فكان ينبغي علي المرور أولاً بمحن أخـرى. غيـر أنـه وعـدني بمراقبته كل شيءٍ من فوق، وفي النهاية سيأتي ويعرّفني على ذاته.

>> يلزمني التوضيح بأننا قد انصهرنا نوعاً ما، وفـي الحـال بعـد التحاقي " بالكائن النوراني "، قبل نقلي إلى قاعة الإنعاش، حالما أصـبحتُ أنا نفسي روحاً. وبطبيعة الحال، قد بقينا شخصيّتين متمايزتَين، لكنه هـو الذي لم يزل ينهض تماماً بتوجيه الأمور بالنظر إلى كل ما يعنيني وحتـى ذاك الحين، حيث بقينا نعوم خلال الجدران والسقوف، وهلم جرّاً ... قـد بدا لي أن شركتنا قد غدت على كمال بالغ، حتى أن أي أمر عسير بـات من المستحيل أن يحدث لي. بل أكرّر هذا، **فإني لبثتُ أشعر بسلامٍ وبدعةٍ وبصفاءٍ ذهني** ولم اشعر بكل ذلك قط في أي مكان آخر.

>> إذن، بعد أن كلمني، أعادني إلى غرفتي، وفيمـا كنـت أدخـل، شاهدت من جديد جسدي متمدّداً بدقة في الوضع حيث سبق لي أن تركته، وفي اللحظة ذاتها اندرجت في جسدي. وبطيبة خاطري، قد أتصور أننـي

مكثت خارج جسدي خلال خمس أو عشر دقائق، لكن، لا شأن للزمان في هذه القضية. ففي الواقع، لا أتذكر أيضاً أية فكرة دعتني إلى أن أقيس تلك المدّة.

<< قد أذهلتني هذه المغامرة كلها ذهولاً تاماً، وباغتتني كل المباغتة، فقد كان الوضع حياً بمقدار بالغ وحقيقياً جداً - لا بل أكثر من الحقيقي العادي. وفيما كنت أحلِق عارضي وذقني لحظت أن يدي لم تعد ترجف كما حدث لها هذا منذ ستة إلى ثمانية أسابيع قد مضت. وأدركت أني سأموت لتوّي ولم أشعر بأي ذعرٍ ولا أسف. ولم يطرأ البتة على خاطري فكرة " كيف أحول دون ذلك " لأني أصبحت متأهباً.

<< ومع ذلك، فيما بعد ظهيرة الخميس الذي يسبق صباح العملية الجراحية، كنت داخل غرفتي في المستشفى، وشعرت بأن هواجس شديدة تتصاعد في داخلي. كان لامرأتي ولي صبي، حفيد قد تبنّيناه، ويتسبّب لنا ببعض الإشكالات. فاتخذت القرار لتحرير رسالة أبعث بها إلى زوجتي، ورسالة أخرى لحفيدي، حتى أعرب عن قلقي خطياً. ثمّ توخيت إخفاء هاتين الرسالتين بحيث أنه لم يتم اكتشافهُما إلا عقب العملية الجراحية. ومتى أنجزتُ تحرير صفحتين تقريباً لزوجتي، حدث أمر وكأني قد فتحت سكر مياه، ورحت أذرف دموعاً غزيرة، ولبثتُ أشهق وأنتحب. فشعرتُ عندئذ بحضور " كائن " على جانبي، وظننت أولاً أني بكيت بكاءً شديداً جداً فأزعجت إحدى الممرضات، وأنها أتت لكي ترى ما كان يحدث، لكن لم يسبق لي أن سمعت انفتاح الباب. وشعرت ثانية بهذا الحضور، ولم أشاهد في تلك المرة أيّ نور، لكن بعض الأفكار أو الكلمات نفذت إلى ذهني، تماماً كما لو حدث هذا سابقاً، وقالت لي: " جون ! لماذا تبكي ؟ كنت أفكر أنك سعيداً بمجيئك إليّ. " ففكّرت: " أجل، هذا صحيح، أرغب في ذهابي إليك رغبة جامحة. " وأستأنف الصوت فقال: " إذن، لماذا تبكي؟ " فأجبت: " لدينا هموم بسبب حفيدي، كما تعلم جيداً، وأخشى ألا

تعرف زوجتي كيف تدبّر أمورها لكي تقوم وحدها بتربيته. ولبثتُ أحـــرر لها هذه الرسالة شارحاً لها طريقتي في هذا الشأن، مشيراً إلى ما أودّ منها أن تفعل لأجله. فأنا قلق أيضاً لأني أعتقد أن حضوري إلى جانبهمـــا قـــد يكون مصدر هدوء وتوازن. >>

<< وعندئذٍ ورد إلي من قبل هذا " الكائن النوراني " هـــذه الأفكـــار التالية: " حيث أنك تتشفع لأجل أحد سواك، ولأنك تفكر في غيرك، لا في نفسك أنت، يا جون سأمنحك ما تطلبه. فسوف تحيى حتى يبلـــغ حفيـــدك عمر الرجال. " وفجأةً انتهى الأمر، فانقطعتُ عن البكاء وأتلفتُ الرســـالة لكي لا تقدر زوجتي أن تعثر بوجه غير متعمد على هذه الرسالة.

<< في ذاك المساء ذاته، أتى الطبيب كولمان ليتفقدني وقال لي توقُّعه أن تطرأ بعض الإشكالات على تخديره لي، ولا بد لـــي ألا أفاجـــأ، عنـــد يقظتي من التخدير، إن وجدت كمية من الأنابيب والأسلاك والأجهزة فـــي كل مكان حولي. ولم أبُح له بأي شيء من مغامرتي فاكتفيـــت بـــالإعراب عن رأيي بحركة من رأسي قائلاً إني سأفعل أفضل ما أستطيع.

<< وفي الغد صباحاً، استمرت العملية ردحاً مـــن الـــزمن، ولكنهـــا أُنجزت بنجاح، وفيما رحت أستعيد وعيي، قلت للدكتور كولمان الجـــالس إلى جانبي: " أنا أعلم تماماً أين أنا ". فسألني " في أي سرير أنت مـــضجع الآن؟ " فقلت له: " في السرير الأول إلى اليمين عند الـــدخول مـــن بـــاب الممشى. " فضحك نوعاً ما لأنه تخيل بالطبع أنني قد كنـــت أهـــذي مـــن جراء تأثير المخدّر.

<< أوشكت أن أبوحَ له بكل شيء حينما دخل الدكتور فياتّ وقـــال: " قد استيقظ الآن. فماذا ستفعل له ؟ " وكانت إجابة الدكتور كولمان: " لن أفعل له أي شيء، لم يحدث لي البتّة في حياتي أني اندهشت كما فعلت. ها أنذا مع مجموعة من الأجهزة جاهزة للعمل، أما هو فلا يحتـــاج إلـــى أي شيء. وأستأنف الكلام الدكتور فياتّ: " كما تعلم، لا تزال هنـــاك بعـــض

المعجزات ! ' ولما استطعت النهوض، لاحظت أنني تواجدت فعليا في ذاك السرير الذي دلّني عليه النور قبل ذلك ببضع ليال.

<< قد حدث كل هذا منذ ثلاثة أعوام. لكن الذكرى التي أحتفظ بها عن تلك الأمور لا تزال على أشدّ حيويتها كما ظلّت في الفترة حيث جرت. ولا شيء فنتستيكيا [شيء غريب مذهل] بذاك المقدار العظيم قد كان من المحتمل أن يحدث لي، وهذا ما غيّر جمّاً من الأمور. بيد أني لا أتحدث عنها بتّةً. ولم أبح بذلك كله إلا لزوجتي ولأخي وللكاهن راعي كنيستي، والآن لك. ولا أدري كيف أقول لك، إنه لمن الصعب العسير علي أن أشرح ما حدث .. ولا أسعى أن أبهرك بالذهول، ولا أحاول التبجّح. فكل ما أدري، منذ ذاك الحين هو أنّهُ لم يعد لي أدنى شك: فأنا متيقّنٌ أن ثمّة حياةً بعد الوفاة. >>

الجزء الثالث

التشابهات

إن الحوادث التي تبرز فجأةً أثناء شتى مراحل تجربة " المواتيين " هي - بأقلّ ما نستطيع قوله- حوادث قلما تكون عامة. ومن ثم، راحت مفاجآتي تتنامى، مع كر الأعوام، حينما وجدت لها تشابهات عديدة مع نصوص وردت في مؤلفات سحيقة القدم و / أو باطنية دينية، قد استقيتها من آداب حضارات عدة، يختلف بعضها عن سواها عصراً وثقافة.

" البيبل "
[التوراة أو الكتاب المقدس]

في عالمنا الراهن هذا، لا يزال " البيبل " الكتاب الأوسع انتشاراً والأشد جدالاً عليه من جميع المؤلفات التي تَمُتّ بصلة الطبيعة الروحية إلى الكائن البشري والحياة عقبَ الوفاة. ورغم هذا، لا بد لنا من الاعتراف بأن " البيبل "، في مجمله، ليس له إلا القليل ليخبرنا عنه حول حوادث

منوطة بالموت وطبيعة العالم الآخر الدقيقة. وتلبث هذه الملاحظة صحيحةً، على حالٍ خاص، في ما يخص "العهد القديم". وإنْ صدقنا بعض المفسرين لهذا " الكتاب المقدس "، فهناك مقطعان فقط منه يُلمحان بوجه لا يطاله النقاش بالحياة بعد الموت.

أشعيا، ١٩:٢٦: " سوف ينبعث أمواتُك، وتنهض جُثَثُهُم، فهيا استيقظوا، واصرخوا فرحين يا سكان التُراب (...) لأن الأرض ستَهَبْ أخيلة الأموات حياةً جديدةً. "

دانيال، ٢:١٢: " وكثيرون من الراقدين في تُربة الأرض يستيقظون بعضُهم للحياة الأبدية وآخرون للعار والرذل الأبدي. "

سنلاحظ في هاتين الآيتين نزعة شديدة إلى فرض فكرة انبعاث الجسد المادي من الموت، وكذلك، فإن حالة الموت الجسدي تلبث هنا، مرةً أخرى، مُشبّهة بالنوم.

رُغم هذا، حَسب ما يتبدّى بوضوح من الفصل السابق، ثمّةَ بعض الأفراد المعنيين هنا قد استمدوا أفكارهم بشكل جلي من مفاهيم بيبلية، حينما يجهدون في وصفهم أو شرحهم ما قد حدث لهم. فعلى سبيل المثال، سنتذكر ذاك الرجل الذي راح يماهي الحقل المُسيّج الذي اجتازه حين وفاته، " بوادي ظلال الموت "، وهذا التعبير مستمدّ من " البيبل ". وإلى جانب ما سبق، هناك شخصان قد ذكرا كلمة المسيح: " أنا نور العالم "، ويبدو أن ذلك - وعلى الأقل جزئياً - قد حدث انطلاقاً من هذا التأكيد على أن هذين الشاهدين قد أقاما مماهاة ما بين المسيح والنور الذي ظهر. بل قد وضح أحدهما هذا الأمر بقوله: " لم أشاهد في أيِ حينٍ كائناً ما في هذا الضوء، ولكن حسب رأيي: إن هذا النور كان "مسيحاً": أي المعرفة، الشركة مع كل شيء، الحب الكامل. وأعتقد أن " يسوع " كان يتكلم بالمعنى الحرفي للكلمة حينما قال عن ذاته " نوراً للعالم ".

علاوة على ذلك، وخلال مطالعاتي الخاصة، قد دوّنتُ العديد من التشابهات الأخرى لم يذكرها أي فرد من الشاهدين أمامي. وإن التشابه المرموق بالأكثر متواجد في أعمال الرسول بولس. كان بولس يضطهد المسيحيين حتى وردت إليه تلك الرؤيا الذائعة الصيت التي صارت نقطة بداية ارتداده، على طريق دمشق (عاصمة سوريا):

<< رأيتُ في وَضَحِ نصف النّهار في الطّريق، أيّها الملكُ، نوراً من السّماء أفضلَ من لمعان الشّمس، قد أبرقَ حولي وحولَ الذّاهبين معي. فلمّا سقطنا على الأرض، **سمعتُ صوتاً يكلّمني** ويقولُ باللّغة العبرانية: شاوُل، شاوُل! لماذا تضطهدني؟ صعبٌ عليك أن ترفس مناخسَ. فقلتُ أنا: من أنتَ يا سيّد؟ فقال: أنا يسوعُ الذي أنتَ تضطهده. ولكن قُم وقفْ على رجليك لأني لهذا ظهرتُ لكَ، لأنتخبكَ خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهرُ لك به. >>

<< من ثمَّ أيها الملكُ أغريباس لم أكن معانداً للرؤيا السّماوية، (وبينما هو يحتجُّ بهذا) قال فستوس بصوتٍ عظيمٍ: " أنت تهذي يا بولس! الكتبُ الكثيرة تحولك إلى الهذيان! ". فقال: " لستُ أهذي أيها العزيز فستوس، بل أنطقُ بكلمات الصّدق والصّحو >>. [أعمال الرسل: ٢٦: ١٣-٢٦]

يشتمل هذا الحادث بالتأكيد على بضع تشابهات مع لقاء " الكائن النوراني " خلال تجربة "الموات" [الموت المؤقت]. ففي البداية، تُنسب إلى هذا الكائن شخصية، رغم أن أيّ شكل لا يُدرك لهُ وأن "الصوت" المنبثق عنه يطرح سؤالاً ثم يُغدق التعليمات. وحينما حاول بولس أن يُفضي للآخرين برؤياه، فقد هزئوا به وعدّوه " مجنوناً ". غير أن الظهور قد قلب مسرى حياته كلها: وانطلاقاً من ذاك الحين، أصبح مُشيّعَ المسيحانية [مذهب الدين المسيحي] الرئيسي وناشرها، بصفة المسيحانية التزاماً حيوياً في محبة القريب [أي كل إنسان لأنه خليفة " الله " تعالى على الأرض].

وبطبيعة الحال، ثمة بعض الاختلافات أيضاً. فأن القديس بولس لم يكن إذاك على وشك الوفاة، عندما نَعِمَ بتلك الرؤية. وهناك أحد التفاصيل الهامة أيضاً، فقد روى بولس أنه مُني بالعمى من جرّاء ذاك النور الساطع، وانتظر ثلاثة أيام لكي يستعيد بصرهُ، وهذا الأمر يُناقض[٧] الشهادات التي أكّدت على أن النور، رغم تألقه الذي يعصى على كل وصف، لم يفقد " المواتيين " بصرَهم بتّةً، بل ما كان يحول دون مشاهدتهم ما حولهم من مجرى الأمور.

إن القديس بولس، أثناء تعليقاته حول طبيعة ما بعد الحياة الدنيوية، قد تحدّث عن أولئك الذين يُشاققون ويجادلون حول مفهوم الحياة الخالدة المسيحي، ويسألون من أي نوع قد تكون أجساد الذين يقضون نحبهم:

<< لكن يقولُ قائلٌ: " كيف يُقام الأموات؟ وبأيّ جسمٍ يأتون؟ " يا غبيٌّ! الذي تزرعهُ، لستَ تزرعُ الجسم الذي سوف يصير، بل حبّةً مجردةً، ولكنّ الله يعطيها جسماً كما أراد. ولكلّ واحدٍ من البزور جسمه. وثمّة أجسامٌ سماويّةٌ، وأجسامُ أرضيّةٌ. لكنّ مجدَ السماويّات شيءٌ، ومجدَ الأرضيّات آخر. هكذا أيضاً قيامة الأموات: يزرع في فسادٍ ويقام في عدم فسادٍ. يزرع في هوانٍ ويقام في مجدٍ. يزرع في ضعفٍ ويقام في قوةٍ. يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانيّاً. أجل! هوذا سرٌّ أقوله لكم: لا نرقدُ كلنا، ولكنّنا كلنا نتغير، في لحظةٍ في طرفة عينٍ، عند البوق الأخير. فإنه سيبّوق، فيُقام الأموات عديمي فسادٍ. >> [كورنثس ١٥، ٣٥-٤٤، ٥١-٥٢].

باهتمام سنلحظ أن الدلالات التي وفرها لنا القديس بولس حول " **الجسد الروحي** " تتوافق بكثير من الدقة مع ما رواهُ أولئك الذين عاشوا

---

[٧] ينجم هذا التناقض عن كون بولس والآخرين على قيد الحياة، داخل أجسادهم الدنيوية [المترجم]

انسلاخهم عن أجسادهم [أي " المواتيون "]. ففي جميع الأحوال، تبرز بوضوح سمة الجسد اللامادية، أي السمة " الروحية " - أي غياب الكثافة المادية -. ويقول القديس بولس، من بين أمور أخرى، إن كان الجسد الماديّ ضعيفاً أو بشعاً، فالجسد الروحي لن يكون أقل قوةً ومجداً. وهذا ما يذكّر بحالة ذكرت سابقاً حيث تبدّى الجسد المادي مبتوراً، وثمة حالة أخرى أيضاً حيث يتجلى الجسد الروحي بمعزل عن أي عمر، وبالتالي فهو دون أي حد في الزمان [حسبما خلق " الله " روح الإنسان !].

أفلاطـــون

إن أحد أعظم المفكرين عبر الأزمنة جمعاء، ألا وهو أفلاطون، عاش في مدينة أثينا من عام ٤٢٨ حتى ٣٤٨ ق.م. وأورثنا مجملاً من التفكّرات تكوّنُ قُرابةَ اثنين وعشرين من الحوارات أو المسرحيات وقد وضعت غالبيتها في موضعٍ بارز مُعلمه سقراط بمثابة شخصية رئيسية، دون أن نذكر هنا عدداً ضئيلاً من الرسائل.

كان أفلاطون ثابت الإيمان باستخدام العقل، وبعِلمَيْ المنطق والجدلية بصفتهما وسيلةً لبلوغ الحق والحكمة، ولكنْ، إلى حدٍ ما وحسب، لأنه، علاوةً على ما سبق، لبث فيلسوفاً عظيماً في التأمل الذهني، معتبراً أن الحق الأقصى لا يمكن معرفته إلا من خلال تجارب من استنارة العقل الصوفي، ومن الحياة الجوانية في أعماق سريرة الإنسان الحكيم. وقد اعتبر أنّ هناك أصعدةً أخرى، وأبعاداً لحقيقة الواقع ليست من أبعاد العالم الحسّي، أي المادي، وراح يجهر بأن مضمار الفيزياء [أي علم الطبيعيات المادية] لا يمكنُ إدراكه ذهنياً إلا بمرجعية إلى هذه الأصعدة الأخرى، [الفوماديّة التي تفوق " حقيقة الواقع المادي]. ومن ثم انصبّ اهتمامُهُ بخاصة على مظاهر الإنسان اللاجسدية، وعلى وعيه - أي نفسِهِ - ولم ير

في الجسد سوى الوسيلة الناقلة الموقّتة للروح. وبالتالي، لا شيء يدهشنا إن تناول بتفكّره مصير النفس عقب الوفاة المادية، وذلك في غضون العديد من حواراته وعلى الخصوص في مؤلفاته: فيدون، غورجياس، الجمهورية - التي تعالج هذا الموضوع معالجة جزئية.

إن مؤلفات أفلاطون مليئة بأوصاف الموت، كالوصف الذي أتينا به خلال الفصل الأول. وهكذا فإن هذا الفيلسوف الإغريقي أفلاطون يُعرّف الوفاة بأنها انفصال الجزء الجسدي اللامادي incorporel لكائن بشري حيّ (أي النفس) عن الجزء المادي (أي الجسد). والمزيد على هذا، هو أن الجزء الجسدي اللامادي للإنسان ينعَم بملكات أكثر من الجسد المادي. ومن جانب آخر، يتشبّث أفلاطون تشبثاً دقيقاً بأن الزمان ليس عنصراً ملازماً كالمضامير المتموضعة في كل ما يتخطى العالم الحسّي [المادي]. فهذه المضامير تلبث أزلية، خالدة، واستناداً إلى تعبير أفلاطون المدوّي، ما نطلق عليه اسم الزمان ليس هو سوى " انعكاس للأزلية متحرّك ولا حقيقي ".

غالباً ما يحدّثنا أفلاطون عن الطريقة التي تزاولها النفس، عقب انفصالها عن الجسد، لكي تستطيع أن تلتقي بأرواح الموتى [أي الحقيقيّين]، وتتحادث معهم، وتنساق إليهم ليقودوها عبر مسلك العبور ما بين هذا العالم الدنيوي والعالم الآخر الروحي، وذلك بفضل أرواح حارسة. ويذكر أن بعض الأشخاص بوسعهم الترقّب لعثورهم، إبّان وفاتهم، على زورق يجعلهم يجتازون مساحة مائية متجهين نحو " الضفة الأخرى " لما بعد الحياة.

في كتاب أفلاطون " فيدون " Phédon، إن المكان، حيث تجري حوادث هذا المشهد وبمقدار قوة الحُجج المُقدّمة، يُعيدنا إلى مفهوم الجسد البشري الذي يُعتبر بمثابة سجن للنفس، ومن ثمّ، تتشابه الوفاة مع هروبٍ ما، أو باسترخاء يضعُ نهاية لهذا السجن. وكما رأينا ذلك في الفصل

الأول، متى عرض أفلاطون (من خلال سقراط) تصور الوفاة القديم المقارن بالنوم وبالنسيان، فقد حدث ذلك فقط بقصد تفنيد مثل هذه المقارنة، في واقع الأمر، لمعارضتها معارضةً قاطعة. وحسب رأي هذا الفيلسوف الأثيني، حينما تأتي النفس إلى العالم في جسد بشري، فهي تنتقل إلى حالة وعي يفوق حالة وعي أدنى. أجل، فهي في هذه الغضون تنسى الحقائق التي قد امتلكتها قبل تجسّدها. وعلى سبيل النتيجة من هذا النسيان، فإن الموت يتّخذ وجه " اليقظة " و" الاسترجاع للذكريات " ressouvenance. ويؤكد أفلاطون على أن النفس، بمجرد تخلصها من الجسد، تشرع تفكّرُ وتتعقّل بالمزيد من الصفاء الذهني، فتستطيع آنئذ أن تتوغل توغلاً أعمق في جوهر الأشياء والأفراد الحقيقي. **ولا كفاية في كل هذا: فبُعيْد الوفاة، تخضع النفس " لحكمٍ " يقوم خلاله شخصٌ إلهي بعرضه أمامها جميع أفعالها - الصالحة أو الطالحة - التي أنجزتها أثناء مكوثها الدنيوي، فيُجبرها الشخص هذا على مواجهتها أفعالها مجابهةً.**

لكننا نستمد أدهش تماثلٍ في الفصل العاشر من كتابه " الجمهورية "، ولا يطال هذا الأمر أيُّ شكٍّ مُحتمل. فإن أفلاطون يعيد إلينا فحوى أسطورة " إرّ " Er بن " أرمينوس " Arménios، وكان جندياً إغريقياً قد شارك في معركة طاحنة حيث فقد الإغريقيون [قدماء اليونان] الكثير من محاربيهم. ولما وفد مواطنوه لينقلوا ضحايا هاتيك المجزرة، كانت جثة " إرّ " متمدّدة في وسط رفاقه الموتى. فأقاموا محرقة مأتمية لإجراء حرق الجثث، وبدوره وضع هذا الجندي عليها. لكن على حين بغتة، قد استعاد جسده الحياة. وروى " إرّ " ما قد شاهده خلال رحلته في مملكة ما بعد الحياة البشرية.

حسب رواية هذا الجندي، في البداية غادرت نفسُه جسدَه، وانضم إلى جماعة من موتى آخرين، فمضوا جميعاً إلى مكان يشتمل على " منافذ " أو " ممرّات " تقود من أرض البشر إلى عوالم ما بعد الحياة. **وهناك**

توقفُ الأرواحَ لكي يَحكمَ عليهم كائناتٌ إلهية كانوا يتأملون بنظرة واحدة كل ما قد فعل هؤلاء الأرواح إبانَ حياتهم. وعلى نقيض ذلك لم يَخضع " إرّ " لذاك الحكم. لكن الأرواح كلفوه بمهمة العودة إلى الحياة لكي يُخبر بني البشر عما ينتظرهم ما بعد الحياة. وبعد أن راقب أموراً كثيرة، أُعيد " إرّ " إلى الأرض البشرية. بيد أنه قد صرّح فيما بعد بجهله التام طريقة رجوعه إلى جسده. فقد استيقظ فقط لكي يدرك أنه متمدّد على المحرقة.

يلزمنا أن نحتفظ في أذهاننا بالتحذير الذي حذّرنا به أفلاطون وهو يَفيض علينا تفاصيل الأوصاف لذاك العالم حيث يذهب النفوس عقبَ الوفاة، بمثابة " احتمالات، بالأكثر ". ولا يعني هذا أنه قد فكّر في إلحاق أي شك بحقيقة بقاء الإنسان على قيد الحياة عقب الوفاة. لكنه ألحّ على أننا – عندما نحاول أن نصف هذا البقاء في طور الحياة البشرية، فيما نظل دائماً محصورين في حياتنا المادية – إذاك نتعرض تماماً لنتيجتين خطيرتين.

وبادئ ذي بدء، إن نفوسنا المسجونة في أجسادنا المادية الإنسانية لا تنعم إلا بملكات محدودة وبمعلومات توردها إلينا حواسنا. فالبصر والسمع واللمس والشم والذوق، يستطيع كل منها بطريقته أن يُقحمنا في الضلالة. وبوسع عيوننا القيام بعمل يجعل شيئاً عظيم الضخامة يبدو لنا صغيراً إن كان بعيداً، ويُمكننا أن نخطئ حول ما نسمعه، وهلم جرّاً ....: حتى إن نفوسنا تعجز عن مشاهدتها الواقع بحد ذاته إلى أن تتحرّر من التشوهات وعدم الدقة التي تتسبب بها ممارسة حواسنا.

وثانياً: أكّد أفلاطون على أن اللغة البشرية عاجزة عن الإعراب مباشرةً عن الحقائق القصوى والأخيرة. فالكلمات تُخبّئ أكثر مما تكشف عن الطبيعة الداخلية للأشياء. وبالتالي، لا تستطيع أي لفظة إنسانيّة أن تقوم بأكثر من تزويدنا بدلالةٍ ما – عن طريق التماثل، أو من خلال

الأساطير، أو بأية وسيلة أخرى – حول الطابع الحقيقي لما يتموضع وراء عالمنا.

كتاب الأموات التيبتي [٨]

إن " كتاب الأموات " من بلاد التيبتْ يخرج عن المألوف تماماً ويمثل بمثابة مُختارات من تعاليم يعطيها مع كرّ القرون الزمنية، حكماءُ التيبتْ القديمة، وقد تم نقلها من جيل إلى جيل آخر بالكتابة، حوالي القرن الثامن للميلاد. ولكن، وحتى في ذاك الزمان، ما فتئت هذه التعليمات مَخبّأة لكي لا يباح بسرها لغير المطّلعين على أسرار الدين.

إن الشكل الذي اتخذه هذا الكتاب الغريب قد نجم عن شتّى الاستخدامات التي خُصصت لهُ. فأولاً، حسب رأي المتبحّرين في العلوم والذين قد حرّروه، كان الموت يُعدّ كنشاط ينطوي على تقنيةٍ ما، ولبث في الإمكان التملّص منه بفن، وأيضاً بعدم المهارة، حسبما يقتني الإنسان أو يفتقد المعارف المنشودة لهذا الشأن. ومن ثمّ، ظلت قراءة هذا الكتاب تشكل جزءاً من الاحتفال المأتمي، أو بقيت تُمارسُ عند سرير المنازع لمصاحبة اللحظات الأخيرة من حياته على هذه الأرض. فكانوا يُولون لهذه القراءة وظيفتين. الأولى هي: إعانة المحتضر على أن يتملّى من طبيعة كل ظاهرة من هذه الظواهر، في جمّ جدّتها وغمرة روعتها، بمقدار ما كان يختبرها. والوظيفة الثانية هي: السعي إلى تشجيع الباقين على قيد الحياة ليرتأوا أفكاراً خيّرةً، بحيث لا يؤخرون المنازع بمظاهر الحب أو التشنج العاطفي، لكي يستطيع أن يبلغ أصعدة ما بعد الحياة، في حالة روحية خاصة بوضعه، ومتحرّرة من أي همّ بشري دنيوي.

---

[٨] " التيبيت " منطقة تقع غرب الصين وشمال جبال همالايا [المترجم]

لكي يبلغ هذا الكتاب مقاصده، فهو يشتمل على وصف مستفيض لشتى المراحل التي تمرّ بها النفس، عقب موتها المادي. والحال هذه، يظهر التوافق (ما بين مراحل الموت الأولى التي تعرض بهذا الشكل وبين الظروف التي رواها لي هؤلاء الذين رأوا الموت عن قرب) توافقاً غريباً عجيباً، فانتستيكياً بكل بساطة.

في بادئ الأمر، حسب ما يقدمه لنا هذا الكتاب التيبتي، إن روح أو نفس المنازع تنفصل عن جسدها. وبعد قليل، تُمنى هذه النفس بنوع من الإغماء [أو الغثيان] Syncope، وتتواجد في فراغ - وليس هو فراغاً مادياً، بل هو فراغ له في الواقع حدود خاصة به، وحيث لا يزال الوعي على حاله. ولربما يسمع الميتُ في تلك اللحظة ضجات أو رنات تُثير القلق، أو تكون مكدّرة، وتوصف بالزمجرة أو بالهدير أو بالرعود، أو بأنواع صفير يشبه زفيف الرياح المعتدل. ثم يغدو، بصورة عامة، بصفته الذاتية على غرار ما يحيط به، وكأنه مغلّف بإنارة رمادية وضبابية.

فيندهش " المواتيّ "، إذْ يدرك أنه غادر جسده. ويشاهد ويسمع والديه وأصدقاءه يبكون ناحبين فيما يهتمّون بغسيل الجسد من أجل مراحل الجنازة. لكن، حينما يحاول أن يكلمهم، لا يسمعونهُ ولا يرونهُ. فهو لا يدرك بعد تماماً أنه قد مات، ويشعر بأنه شارد متحيّر. ويتساءل هل مات أو لم يمت بعد، وحينما ينتهي به الأمر إلى إدراكه أنه ميت فعلياً، لا يعرف إلى أين يمضي ولا ما سيفعل. ويستولي عليه أسف عظيم، ويشعر بأنه مكتئب بسبب هذه الحال الجديدة. ويبقى بعض الوقت في جوار الأمكنة المألوفة لديه إبان وجوده الماضي والدنيويّ.

ويلاحظ أنه لا يزال له جسدٌ لكنه جسد جديد - وسمّاه جسداً " متلمّعاً " - لا يظهر مُكوّناً من مادةٍ ما. ومن ثم، بمقدوره أن يجتاز الجدران والصخور لا بل الجبال دون أن تعيقه أية مقاومة مادية. وتلبث التحركات من جانب إلى سواه تحركاتٍ آنية، مهما كان المكان حيث

يرغب أن يمضي، فهو يبلغه بلحظة. وتصبح فكرته وإدراكاته محدودة بقدر أقل بكثير: فإن ملكة عقله صارت غزيرة الصفاء، وحواسُّه أشدّ رهافةً كما ظهرت له، وأوفر كمالاً، ومن طبيعة قريبة مما هو إلهي. وإن سبق له إبان حياته المادية [الجسدية] أن كان أصم أو كفيفاً أو مكرسحاً، فهو يفاجأ باكتشافه، في جسده " المتلمّع " أن حواسه وجميع ملكات جسده المادي قد تم ترميمها مجدّداً، بل قد استمدت المزيد من القوة. ومن المحتمل أنه يلتقي بكائنات أخرى تتقمص جسداً مماثلاً لجسده وبوسعها التواجد أيضاً أمام ما يدعوه النصّ " **نوراً صافياً ونقياً** ". وينصح التيبيتيون المنازع هذا " [أي: المواتي "]، حين اقترابه من هذا النور أن يجهد في تفكيره فقط أفكار حب وتعاطف حيال الآخرين.

إن هذا الكتاب يصف أيضاً المشاعر **بالسلام الذي لا حد له والهناء اللذين ينعم بهما "المواتي"**، وثمة أيضاً نوع من " **مرآة** " **تنعكس فيها حياته بكاملها** - مع أفعاله الحسنة والسيئة - أمام نظره بذاته، وإزاء الكيانات التي تقوم بالحكم عليه. وفي هذا الظرف، ليس من الممكن أن تحدث أية هفوة أو ضلالة، ولا يحاول أحدٌ أن يلجأ إلى الكذب حول حياته المادية الخاصة.

وزبدة القول هنا، رغم أن " كتاب الأموات التيبتي " يحتوي أيضاً على العديد من المعلومات حول المراحل اللاحقة للحياة بعد الوفاة، (وهي معلومات تتخطّى إطار الشهادات التي جمعتُها)، وبما أن أي واحدٍ من الذين أعنيهم هنا قد ذهب حتى ذاك البعد، فمن الجلي البيّن تماماً أن تقوم تشابهات مدهشة ما بين الأوصاف التي يزخر بها هذا المخطوط القديم وبين الوقائع التي دوّنها بعض الأمريكيين خلال القرن العشرين.

إيمانويل سوِدنبورغ

إن سوِدنبورغ الذي عاش من عام ١٦٨٨ إلى ١٧٧٢، قد وُلد في ستوكهولم. وفي زمانه، نعِمَ بسمعة عظيمة، وأسهم في العديد من المضامير، بتقدّم العلوم الطبيعية. أما مؤلفاته التي اتّجهت في البداية إلى التشريح والسيكولوجيا والفيزيولوجيا، قد وهبتْهُ شهرةً جديرة بالاحترام. ولكنْ، فيما بعد بقليل، قد اجتاز أزمةً دينيّةً وشرع يُعربُ عن بضع تجارب وخبرات قد حظي بها، وخلالها لعلّهُ قد دخل في اتصال مع كيانات روحية من العالم " الآخر ".

إن أعماله الأخيرة تفيضُ بأوصاف بليغة جداً تتناول الحياة بعد الوفاة. ومرةً أخرى، قد ورد التوافق ما بين كتاباته حول بعض تجاربه الروحية، وبين ما يورده " المواتيون " العائدون من اتصال حقيقي بالموت المؤقت، وهو توافق مذهلٌ حقاً !

على سبيل المثال، يتكلم سوِدنبورغ عن اللحظة حيث تنقطع الوظائف الجسدية للتنفس كما للدورة الدموية، وها أنا أدعه يتكلم:

<< مع ذلك، الإنسان لا يموت، لكنه يصير مفصولاً عن الجزء الجسدي الذي استخدمه في العالم الدنيوي هذا (...). فهذا الإنسان، عندما يموت، لا يقوم إلا بشيء واحد، ألا وهو الانتقال من عالم إلى آخر. >>

وقد أكد على أنه هو ذاته قد عاش لحظات الموت الأولى، جرت لهُ تجارب انسلاخ الإنسان عن جسدهِ:

<< أفضى بي الأمر إلى حالة عدم الإحساس من حيث الحواس الجسدية، فبلغت نوعاً ما حالة مَنْ يموت: لكن، قد استمرّت سليمة تماماً

الحياة الجوّانيّة [الداخلية الروحية] مع الفكر، بحيث أني أدركتُ واستبقيتُ في ذاكرتي كل ما راح يحدث لي، وما يحدث أيضاً لهؤلاء [" المواتيّين "] الذين قد بُعثوا من بين الأموات (...). وبصورة خاصة قد وُهِبتُ القدرة على إدراكي ... أن ثمة اجتذاب أو امتصاص يحدث و ... حركة سحب وجرّ ... للذهن، وكذلك لروحي، خارج جسدي. >>

خلال هذه التجربة، صادف كياناتٍ يُماهيها " بالملائكة " وسأله هؤلاء إن كان على أهبة للموت.

<< وسأل هؤلاء الملائكة، في بداية الأمر، ما كان عليه عقلي، لكي يروا إن كان فكري كمثل فكر " المواتيين " ويكون هذا الفكر، بصورة عامة، مُتّجهاً نحو الحياة الأبدية اللانهائية، وراحوا يتمنون أن ألبثَ على هذه الأهبة والاستعداد. >>

إن الحوار الذي قام ما بين سْودِنبورغ والأرواح لم يتخذ أيةَ سمةٍ دنيوية، ولا إنسانية، بل لم يزلْ انتقالاً مباشراً للأفكار، فالأمر هذا يجعل هفوات التفسير مستحيلةً.

<<... وحيث أن الأرواح يتحادثون بعون لغة كونية ... فكل فرد بشري، عقب موته فوراً، يعتاد على هذه اللغة الكونية ... وهي خاصة بالأرواح و" المواتيين ".

<< إن الكلمة التي يوجهها ملاك أو روح إلى كائن بشري " مواتي " تُدرَكُ على نحو صوتي كما هي الكلمة التي يقولها إنسان إلى إنسان آخر، لكنها تعصى على إدراك الآخرين القائمين قُربَه، ولكن "المواتي " وحده هو الذي يدركها. وسبب ذلك هو أن كلام ملاك أو روح يتسلل أولاً إلى وعي الإنسان وعاقلته وضميره. >>

إن الإنسان " المواتي " لا يدرك أنه ميت لأنه يحتفظ " بجسدٍ " له بعض الشبه بجسده المادي.

<< إن حالةَ إنسانٍ مواتي " شبيهة بحالته في العالم الدنيوي، لأنه في ذاك الحين يلبث كما في العوالم الخارجية. ومن ثم يعجز عن تصرفه بشكل آخر لا ينتمي إلى العالم. وينجم عن هذا أن " المواتيين "، عقب اندهاشهم من كونهم في جسد لا ماديّ مختلف وينعمون بجميع الحواس التي كانت لهم في العالم يُفضي بهم الأمر إلى أنهم يرغبون أن يعرفوا ما هي " السماء"، وما هي " جهنم ". >>

لكن الحالة الروحية تغدو محدودةً بمقدار أقل. فالإدراكُ الحسي وملكة العقل والذاكرة تنعم عندئذٍ بمزيد من الكمال، أمّا الزمان والمكان [الزمكان] لا يشكّلان من بعد أي عائق كما يحدث الأمرُ في الحياة المادية.

<< إن جميع ملكات الأرواح ... في حالة أكثر كمالاً، وكذلك هي إحساساتها وأفكارها وإدراكاتها. >>

وبمقدور حياته الماضية أن تُظهَرَ له في رؤية، فيتذكّر كل شيء تفصيلياً، وقلّما يتمكن من الإنكار أو إخفاء أي شيء من ماضيه.

<< الذاكرة الداخلية [الجوّانية] ... على حال قد سُجلت فيه جميع الأمور الخاصة ... وكل ما فكّر الإنسان فيه أو قاله أو فعله في أية لحظة سابقة في حياته الدنيوية ... منذ طفولته الأولى وحتى أقصى شيخوخته. فالإنسان يحتفظ بذكرى هذه الأشياء والأمور بأكملها متى يبلغ الحياة " المواتية " الأخرى، وينساق بالتتالي إلى أن يتذكرها بأسرها ... وكل ما قد قال أو فعل ... يظهر جلياً أمام الملائكة، في ضياء واضح كوضوح النهار ... ولا يبقى أي شيء خبيئاً في العالم إلا يتبدّى بجلاء عقب الموت [أي: " المَوات "] لأن ذلك يغدو مرئياً بالصور حينما يتم تفحّص الروح على ضوء السماء. >>

وصف سوِدنبورغ أيضاً " نور الرب " الذي يخترق المستقبل، فهو نور ذو ضياء يستحيل وصفه، وقد استطاع هو ذاته أن يتأمله. إنه نور الحقيقة والطيبة والصلاح الإلهي.

وبالتالي إذن، لدى سوِدنبورغ، كما رأينا لتونا في " البيبل " [الكتاب المقدس]، وفي مؤلفات أفلاطون، وفي " كتاب الأموات التيبتي "، **نجد أموراً متوافقة بوجه مدهش مع الظروف التي تصاحب التجارب المعاصرة** وتشفعها إبان اقتراب الإنسان من " الموات ". وإن السؤال المطروح بصورة طبيعية جداً، هو حول معرفتنا إن كان هذا التطابق هو حقاً مدهش بالمقدار الذي يبدو عليه.

وقد يستطيع البعض أن يقترحوا، على سبيل المثال، أن مؤلفي هذه الكتب قد أتيح لهم أن يؤثر بعضهم على الآخرين تأثيراً متبادلاً. ومن الممكن البرهان على هذا التأكيد في بضعة من الأحوال، لكن، لا في جميعها. وقد اعترف أفلاطون أنه استمد جزءاً من تصوراته من الصوفانية [أي مذهب الصوفيين] الدينية في " المشرق ": فمن الممكن إذن أنه تأثر بالتقاليد التي شكلت مصدر وحيٍ " لكتاب الأموات التيبتي ". وإن الفكر الفلسفي الإغريقي، بدوره، قد مهر بوسمه بعض المؤلفين للكتاب المقدس: " العهد الجديد ". وقد يحق لنا بالتالي التفكير في أن مقاطع القديس بولس التي تصف " الجسد الروحي " قد وجدت لربما مصدرها في أفكار أفلاطون.

لكن، من جانب آخر، في أغلب الحالات، ليس من السهل بهذا المقدار إثباتنا أن مثل هذا التأثير قد حدث وظهر. فكل واحد من هؤلاء المؤلفين يشير إلى بعض التفاصيل الخاصة التي تتواجد أيضاً في تقارير الذين قد قابلتهم ولم يستطيعوا بأية طريقة أن يكونوا قد استقوا أقوالهم من مؤلفين أقدم من عصرهم. أجل، إن سوِدنبورغ كان يقرأ " البيبل " المقدس ويعرف أفلاطون معرفة كاملة، لكننا نجد لديه عدة تلميحات إلى أن

" المواتي " ينتظر بعض الوقت لكي يدرك أنه ميت، وهـذه الخـصوصية التي تتكرر كثيراً في روايات هؤلاء " المواتيين " لا تبدو لي مذكورة فـي " البيبل " ولا لدى أفلاطون. ومقابل هذا، ثمة كتاب لم يستطع سودنبورغ أن يعلم بوجوده مترجماً للمرة الأولى، ألا وهو " كتاب الأموات التيبتـيّ " الذي نقل إلى الإنكليزية عام ١٩٢٧.

إذن، هل من الممكن أن هذه الشهادات التي تلقيتها قد تمكنـت مـن استمدادها بعض الأمور من مؤلفات شبيهة بما أتيت لتوي على ذكره ؟ إن جميع الأشخاص الذين سألتهم قد كان لهم - قبل تجربتهم " المواتية " بعض الاتصالات " بالبيبل " المقدس، ومنهم اثنان أو ثلاثة كـان لهـم بعـض المفاهيم حول أفكار أفلاطون. وعلى نقيض هذا، إن أي واحد مـنهم لـم يطرأ على باله وجود مؤلفات تتسم بمثل غرابة مؤلفـات سـودنبورغ أو " كتاب الأموات التيبتي ". ورغم ذلك، هناك العديد من التفاصيل التـي لا وجود لها في " البيبل "، ولا في كتب أفلاطـون وهـي تفاصـيل تبـرز باستمرار من التقارير التي جمعتها، وتظلّ تتوافق بدقة مع الظواهر التـي تذكرها البحوث العصرية الأشد غرابة.

لزام علينا القبول بأن تكرار هذه التشابهات وهذه التناظرات ما بـين مؤلفات مفكرين العهود القديمة وبين الشهادات الواردة مـن الأمـريكيين العصريين الذين يبقون على قيد الحياة بعد فترة من " الموات "، هو تكرار يُشكّلُ واقعة مرموقة قد لا يمكن، في أيامنا هذه، أن تلقى شرحاً مُرضـياً بوجه كامل. فيحق لنا التساؤل كيف يغدو ممكناً أن حكمـة قـدماء بـلاد التيبت والمعارف اللاهوتية ورؤى القديس بولس، وكل ما هو غريب فـي الحدوس والأساطير الأفلاطونية، وأخيراً الكشف عن أسرار سـودنبورغ الروحية، **أن تتقاطع جميعها وتتلاقى على نحو كامل بهذا المقدار**، لـيس فقط فيما بينها، بل أيضاً مع روايات أفراد معاصرين قد خبروا " الموات " بمثل هذا القرب الذي يبقى ممكناً لكائن لا يزال على قيد الحياة روحيّاً ؟

الجزء الرابع

أسئـلة

في المرحلة حيث نتواجد الآن، سيكون قد تسنى للقارئ أن لَحِقَ بِــهِ جمٌ من الشك والريبة، فيثير كمّاً من الاعتراضات الوفيرة. ومنذ ســنوات وأنا أعالج هذا الموضوع وإيّان أحاديثي العامة منهــا أو الخاصـــة، فقــد لزمني أن أجابه العديد من الاستفهامات. وبوجه عام، إن الأســئلة التــي طرحت علي قد لبثت دائماً هي ذاتها بغالبيّتها، وبالتالي، تمكّنتُ من إقامـــة لائحة للأسئلة التي تكرّرت في أغلب الأحيان. وأود أن أوقف هذا الفصل والتالي أيضاً على توفيري إجابات عليها.

س– أمَا أقدمتَ أنت على ابتكارك كل هذه الأمور ؟

ج– كلا، ولا أزال شديد التشبّث بمزاولتي مهنة تدريس الطب النفسي وفلسفة الطب، وإن الاختلاف الكامل لكذا من الأخبار الكاذبة قــد يعتبــر بصعوبة بمثابة وسيلة فعّالة لكي أبلغ مقاصدي.

وعلاوةً على ما سبق، قد بيّنت لي التجربة أن أي إنسان كان يقــوم، لحسابه الخاص، بتحقيق رزين وذي نية صالحة ما بين علاقاته الشخصية،

أي أقاربه وأصدقائه، حول ظواهر من هذا القبيل، فهذا الإنسان سوف يرى بعد قليل زوال شكوكه.

س- أما تورّطت في كثير من المبالغة ؟ ففي النهاية أي تكرار يمكن حدوثه لهذه التجارب ؟

ج- إني أول من يتقبل (بسبب الطابع المحدود للملف الذي جمعته) أني عاجز عن تقديمي تقديراً إحصائياً كافياً لحدوث هذه الظاهرة أو رجحانها. بيد أني أضيف بطيبة خاطري ما يلي: إن تواتر هذه التجارب يفوق جداً الفكرة التي من الممكن أن يتصورها أي إنسان لم تسنح له الفرصة لدراسة هذه المشكلة دراسةً مُوثّقةً. وحول هذا الموضوع قد قمت بمحاضرات عديدة، أمام جماهير ازدادَ عدد أفرادهم أو قلّ، ولم تنجز أية محاضرة منها دون أن يأتيني أحدهم، في نهاية حديثي، لكي يروي لي قصته، أو بالأحرى، في بعض الأحوال، لكي يرويها علناً.

من المحتمل، كما سيقول أحدهم (والأمر حقيقي) أن هؤلاء " المواتيين " الذين خبروا مثل هذه الظروف قد ينزعون، أكثر من سواهم، إلى أن يحضروا محاضرة حيث تعالج هذه القضية. ولكن، غالباً ما قد حدث مثل ذلك، فالشخص المعني هنا لم يتواجد في المحاضرة بسبب هذه المسألة المعالجة.

وعلى سبيل المثال، قد تحدثت أخيراً أمام فريق من ثلاثين شخصاً: وكان منهم اثنان قد مرّوا بتجربة " الموات " هذه، وقد حضر كلاهما فقط لأنهما منتميان إلى رابطة ذاك الفريق. وسبق لهما أن جهلا الموضوع الذي سأتناوله إبان حضور الجميع.

س- إن كانت هذه الخبرات " لموات " عابر منتشرة بهذا المقدار الذي تزعمه، فكيف من الممكن ألا يعلم الناس بها أكثر مما يحدث ؟

ج- يبدو لي أن ثمة عدة أسباب لذلك. وبخاصة هناك **ذهنية عصرنا التي تمانع بقوة، بوجه عام، التفكير في فرضية الحياة عقب الموت الجسدي**. فنحن نعيش في زمان حيث خطت العلوم والتقنية خطوات عملاقة نحو المعرفة واكتساب أمور الطبيعة: فالحديث عن حياة بعد الوفاة يبدو نوعاً ما، في رأي الكثيرين، حديثاً لا يتوافق مع تطور ذهنية هذا الزمن، ويرون أن مثل هذا المفهوم ينتمي إلى " الخرافات " أكثر منه إلى " علم " العصر الحالي. ومن ثم، إن الأفراد يمرّون بتجارب يستغربها المضمار العلمي، كما نعرِّفهُ في أيامنا هذه، هم أفراد يُرشقون بالهزء والاحتقار، وذلك بكل طواعية. وإذ يعلمون بهذا الموقف، فالذين يحدث لهم مثل هذه التجارب الفوطبيعيّة [أي التي تفوق الواقع المادي] قلما يلبثون مستعدين ليجهروا بذلك علناً. وأنا متأكد، شخصياً، أن ثمة عدداً هائلاً من هذه التجربة لا يزال دفيناً في ذكريات " المواتيين " الذين لم يتحدثوا البتّة عن خبرتهم إلا لواحدٍ أو اثنين من أقاربهم أو أصدقائهم الحميمين، وذلك خشيةً منهم أن يُعدّوا معتوهين أو يوصفوا بأن مخيلتهم تفوق ما هو مألوف hypermagination.

إلى جانب ما سبق، إن الظلام السائد في الأذهان هو كل ما يُجاورُ الموت ويبدو أنه لا يزال ظلاماً متكاثفاً من جرّاء ظاهرة سيكولوجية مألوفة بأكثر مقدار، وهي ظاهرة خاصة بالانتباه. فهناك قسط هام مما نراه ونسمعه يومياً لهُ أثره ولا يسجله وعيُنا. ولكن، متى يَستجلبُ انتباهُنا بقوة حول شيء أو أمرٍ ما، فنحن ننزع بعد ذلك إلى أن نلاحظ هذا الشيء كلما يحضرُ أمامنا. وقد حدث لنا جميعاً أننا علمنا، في أحد الأيام، بدلالة كلمة من الكلمات، وثم، في الأيام التالية، نعثر مجدّداً على هذه الكلمة التي تتكرر في النصوص التي تقع تحت أنظارنا. ولا ينجم هذا، بصورة عامة، عن أن هذه اللفظة قد فُرضت فجأة في اللغة وتبرز في كل حين، بل في الواقع، قد مثلت دائماً داخل المفردات، ولكن، حيث أننا كنا نجهل معناها، بقينا نمر بها مرّ الكرام دون أن نقيم لها أي حسبان.

وهكذا، في نهاية إحدى محاضراتي الأخيرة، أفسحت المجال للحضور لكي يُبدوا آراءهم. وإن أولى مداخلة قام بها أحد الأطباء قال فيها ما يلي:

<< أزاول الطب منذ ردح طويل من الزمن، وإن كانت هذه التجارب حقاً متكررة بالمقدار الذي تزعمه، فكيف تفسّر أنني لم أسمع قط بها ؟ >>. وإذ كنت متأكداً أنني أجد في القاعة شخصاً أو اثنين على الأقل قد خبروا حالة مماثلة، ففي الحال أعدت السؤال إلى المستمعين الحضور: << هل هنا أحدكم قد سنحت له الفرص لمثل هذا النوع من التجربة ؟ >> عندئذ، رفعت زوجة الطبيب يدها وروت حالة إحدى صديقاتها المقرّبات.

إليكم مثلاً آخر: إن أحد الأطباء الذين أعرفهم، قد علم للمرة الأولى بهذه الظاهرة، إذ قرأ في صحيفة قديمة عن إحدى محاضراتي. وفي غداة ذاك النهار، شرع أحد مرضاه، دون أن يُدعى إلى ذلك، يروي تجربة مماثلة. واستطاع هذا الطبيب التأكد أن مريضه لم يسبق له قط أن سمع بذكر أعمالي، في الواقع، ولم يبح هذا الرجل بقصته إلا لأنه قد كان مضطرباً جداً، بل يعاني هواجس بسبب ذلك. ومن ثمّ، كان يلتمس رأي أحد الأطباء، ومن المحتمل جداً، في الحالتين السابقتين، أن الأطباء المعنيين قد عثروا على شهادات مماثلة لكنهم لم يجدوا في ذلك سوى هلوسات أو تخيلات غريبة عابرة، بدلاً من ظاهرة منتشرة انتشاراً واسعاً، وبالتالي لم يُولوا أي انتباه لما قد سمعوه.

أخيراً، هناك عامل إضافي في موقف الأطباء، عامل قد يمكنه شرح السبب الذي يجعل الكثير من الناس يجهلون هذه الخصوصيات، فيما يُفترض الأطباءُ في موقع أفضل لكي يصادفوا ذلك على مسارهم الطبي. وما يحدث هو أن طلاب الطب في غضون دراساتهم يسمعون التكرار المتواصل بأنّهُ يلزمهم دائماً التقيّد بأشد الحذر حيال تصريحات مرضاهم حول حالتهم. فقد تلقّنَ الأطباء أن واجبهم الأول التشبّث بكل ما يظهر موضوعياً من سيرورة المرض، فلا يقبلوا إلا بجم من الحذر المشاعر

والانطباعات الشخصية (' Symptômes ') التي يُدلي بها المريض. ويا لها هنا من توصية معقولة تماماً ! لأن الطبيب يحقق النتائج بمزيد من السرعة عندما يتقيد بمضمار الموضوعية. بيد أن موقفاً كهذا قد ينجم عنه أيضاً أنه يهمل تجارب ' الموات ' العابر، لأن هناك القليل النزر من الأطباء الذين يسعون إلى الاطلاع على المشاعر والإدراكات التي تباغت المرضى الذين انتزعوهم من الموت. وفي هذه الظروف، ماأفضي بقولي إن الأطباء - وهم نظرياً أجدر من غيرهم لملاحظتهم ظواهر من هذا القبيل - يتسنى لهم من المناسبات (لسماعهم الحديث عن ذلك) أكثر من أي إنسان آخر في هذا العالم.

س- هل لاحظت تباينات بين الشهادات الصادرة عن الرجال أو عن النساء ؟

ج- ليس ثمة أي اختلاف ما بين هذه الشهادات كلها من حيث مضمونها، ومن حيث ميزاتها العامة. ولحظت أن الرجال والنسوة يصفون بالطريقة ذاتها حوادث ' مواتهم ' الرئيسية. ولم أجد عنصراً واحداً يجعل اختياري يميل إلى أية امرأة أو أي رجل منهم جميعاً.

رغم ذلك، من الممكن أن نقيم تمايزاً ما بين الأفراد الذكور والإناث: فبِمُجمل القول، يقوم الرجال بتحفظاتهم أكثر من النسوة بكثير متى يروون مغامرتهم. وكان الرجال أوفر عدداً من النساء في تزويدهم إياي بموجز مقتضب ثمّ لا يجيبون على رسائلي أو يتجنبون استفهاماتي كلما حاولت التقصي في تحقيقي، وأطلب منهم المزيد من التفاصيل الإضافية. وأغزر عدداً هم الذين قد أطلعوني على تفكرات من النمط التالي: ' **سعيت إلى أن أنسى أو أمحي كل ما حدث** '، وهم يتسلحون بخشيتهم من الهُزء بهم، أو يقترحون بأن الانفعالات التي أخذتهم في تلك المناسبة قد لبثت مفرطة الشدّة لكي يتمكنوا من إعرابهم لي عنها.

على أني شاعر بعجزي عن إبدائي تفسيراً لوضع الأمور هــذا، فأنـــا لست الوحيد في ملاحظتي ذلك. فالــدكتور روسّــل مــوور – الباحــث المرموق في ساحة النفسانوية [أي جملة الحالة النفسية psychisme]– قد باح لي بأنه هو ذاته وآخرين سواه قد قاموا بالملاحظة عينها. فإن نـــسبة الرجال الذين مضوا إليه لكي يرووا تجارب حالتهم النفــسيّة هـــي الثلــث بالنظر إلى نسبة النساء.

ثمة ملاحظة أخرى تستقطب الاهتمام: إن حـــالات التجــارب التـــي عاشتها النسوة الحوامل "المواتيات" على مزيد من التواتر مما كنا ننتظـــر. لعل هذا التواتر ناجم عن ترقب ولادة الجنين، فهو ترقب يشتمل بحد ذاته على عددٍ أوفر من المخاطر أو معرّض لمضاعفات طبية. وإذ يُشفع هـــذا الأمر بأن النسوة الحوامل وحدهن يشعرن بالبوح بأمورهن بأقل حرج من الرجال: فقد يستطيع [هذا الأمر] أن يفسّر التواتر النسبي للتجارب التـــي تعيشها النسوة إبان حملهنّ.

س– كيف تعرف أن جميع هؤلاء الناس لم يكذبوا عليك ؟

ج– بالنسبة إلى من لم يسمع ولم يلاحظ هــؤلاء الأشــخاص وهـــم يعيشون مجدّداً تجربتهم حول "الموات" العابر، لا شيء أسهل عليهم من أن يأخذوا ذهنياً بافتراض سلسلة من الأكاذيب. ومن وجهة النظر هذه، أحتل موقعاً متميّزاً: رأيت أفراداً بالغين، وفي معظم نضجهم، ومتوازنين علـــى الصعيد الانفعالي، – أعني النسوة والرجال على حد سواء – وهم يذرفون فيضَ دموعهم حينما لبثوا يروون لي حوادث يرجع قِــدمها إلـــى ثلاثـــين عاماً. وشعرت في أصواتهم بإخلاص صادق، وبحرارة، وبحدة مشاعر لا يمكنها، مع الأسف، أن تتبدّى بوضوح في تقرير كتابي. وهكـــذا، حـــسب رأيي، رغم أن هذا الشعور مستحيل بصورة جليـــة علـــى كـــل تقاســـم وتواصل، فإن فكرة كون هذه الروايات قابلة للتماثل مع كذب ونفاق، هي فكرة يعصى البرهان عليها تماماً.

وبمزيد من التأكيد حسَبَ رأيي الشخصي، سأذكر بعض الاعتبارات التي تبرز بقوة مناهضة لافتراض الكذب والنفاق. ومن الأوفر جلاءً بينها اعتبار تقوم فحواه في إشكالية تفسيرنا التماثل والتشابه ما بين الكثير من هذه القصص والروايات. فكيف تمكّن الكثير من الناس، خلال فترة من ثمانية أعوام، أن يَغدوا إلي ليرووا الابتكارات ذاتها ؟ ومن حيث الرأي النظريّ المحض، قد يسعنا القول إن هناك مؤامرةً ما. ولا شيء يحول دون تصوّرنا أن امرأةً جميلة، رغم تقدمها في الشيخوخة، وهي من سكان كارولين الشرقية الشمالية، وأن طالباً في كلية الطب التابعة لـ نيوجورسه، وأن بيطرياً من ولاية جيورجيا، وهلم جرّاً ... قد اجتمعوا، منذ عدة أعوام، في مؤامرة نذلة لكي يقوموا عليّ بمثل هذا النفاق والكذب. بيد أني أعترف أن مثل هذه الفرضية لا تبدو متسمةً بأي احتمال قويّ.

س- إن كان الأمر لا يعني أكاذيب متميّزة، فمن المحتمل حدوث تشويه دقيق للوقائع. ومع كرّ الأيام والأعوام، أليس من الممكن أن يكون هؤلاء الأفراد قد أضافوا المزيد من التنميق والجمال على هذه القصص ؟

ج- إن هذا السؤال يتطرق إلى سيرورة سيكولوجية معروفة كل المعرفة: فالمرء يبدأ بسرد بسيط لحادثة من الحوادث، ثم، مع مرور الزمان، يتغير كل شيء لكي يغدو قصةً طويلة ومعقدة. فعندما تُروى كل مرة، يضاف إليها أحد التفاصيل إضافةً خفية، بحيث يمضي الأمر بالراوي تدريجياً إلى أنه يصدّق ذلك هو نفسه، حتى تتخذ الرواية الأخيرة للقصة المزيد من الروعة، وبالتالي قلما يبقى لها أية صلة بالرواية الأصلية.

لا أعتقد أن آليةً كهذه قد قامت حقاً بدور حاسم في الشهادات التي تم البحث فيها. ففي البداية، إن الروايات الآتية من أشخاص قابلتهم عقب تجربتهم " المواتية " بقليل من الزمن – وقد لبث البعض منهم في

المستشفى على قيد النقاهة – هي روايات لها النمط ذاته لسواها وقد سردت الحوادث التي جرت قبل ذلك ببعض السنوات. وإلى جانب هذا، وفي بعض الحالات، كان الأشخاص الذين استجوبتهم قد حرروا تقريرا عن تجربتهم عقب سنوات قليلة من حدوثها، فاكتفوا بقراءتهم لي المذكرات التي سبق لهم أن كتبوها.

وأضيف أيضاً أنني، في أغلب الأحيان، قد كنت الأول أو الثاني لتلقي هذا البوح بقصتهم، وأحياناً عقب الكثير من التردّد، وحتى في بعض الحالات حيث سبق للحادث أن جرى قبل ذلك ببضعة أعوام. وفي هذه الظروف، ما كانت نزعة التجميل المتدرج للحادث تقوم بفعلها قليلاً أو بتةً. وفي الحال هذه، إن سرد القصص لا يختلف، في مجملها، عن القصص المتكرّرة عدة مرّات وطوال سنوات قبل أن تصل إليّ.

وأخيراً، ليس من المستبعد مطلقاً، في العديد من الحوادث أن ما يحدث في الواقع هو بدقة عكس تجميل الأمور. وإن أطباء علم النفس يدعون " حَذفاً " الآلية التي بوسيلتها يجهد الذهن لتخلّصه من الذكريات، أو المشاعر أو بعض الأفكار التي يُرغبُ فيها، فيفضي الأمر بالذهن إلى إخفاء كل هذا عن الوعي. ومرّات عديدة خلال اللقاءات، سمعت بعض الأفراد ينطقون بِجُمل تشير بوضوح إلى أن حذفاً ما قد حدث فعلياً. وعلى سبيل المثال، هناك امرأة كانت تروي لي تجربةً بتفاصيل كثيرة، وقد عاشتها متى كانوا يعتبرونها ميتةً، وأضافت: " إني متأكدة أنه قد كان أيضاً شيء آخر، لكني لا أتذكر أن أحداً ما كان يودّ الثقة بي وتصديقي. "

من جهة أخرى، ثمة رجل قد توقف نبض قلبه ايان عملية جراحية، (وكان قد أصيب بجرح خطير في الجبهة الفييتنامية) وقد قال لي كم غدا من العسير عليه أن يذكر الانفعالات التي مُني بها إيان انسلاخه عن جسده: ثم أردف ببوحه ما يلي: " وحتى الآن إني أختنق حينما أحاول

الحديث عن كل هذا ... وأشعر تماماً أن هناك أموراً كثيـرة لا أسـتطيع تذكّرها، وبذلت جهودي لكي أنساها. "

وزبدة القول، **لا يظهر لي البتّة أن سيرورة تجميل الأمور قد تمكّنت من التدخل** تدخلاً يرتدي معنىً ما، في تطور هذه الشهادات.

س- هل هؤلاء الأفراد، قبل تجربتهم، كانوا تابعين لدينٍ من الأديان؟ وفي الإيجاب، ألم يقوموا بتعديل مغامرتهم بحـسب منحـى معتقـداتهم وشكل تقاليدهم ؟

ج- أستطيع، بمقدار ما، الإجابة بنَعَم. كما سبق لي أن لحظت هـذا، رغم أن وصف " الكائن النوراني " لبث وصفاً ثابتاً، فـإن الهويـة التـي نُسبت إليه تبقى متغيّرة، وذلك كما يبدو من جـرّاء أمـور سـابقة علـى الصعيد الديني والفرديّ. ورغم هذا، لم يترتب علـي أن أدوّن مرجعيـة واحدة حول سماء أو جهنم على تطابق مع الصور الاتفاقية الرائجـة فـي مجتمعنا. بل على نقيض هذا تماماً، من روّوا لي قصتهم قد جعلوني فـي غالب الأحيان ألحظ بأي مقدار كانت شهادتهم تتمايز عما لبث من المحتمل توقّعُهُ ويعود هذا إلى تنشئتِهم الدينية. وثمة امرأة كانـت "مواتيـة " وقـد وضحت رأيها بما يلي:

<< قد قيل لي دائماً، أن المرء، في حـين الوفـاة، يـرى الـسماء [الفردوس] وجهنم، لكني لم أشاهد الفردوس ولا جهنم. >> وهناك امرأة أخرى كانت " مَوَاتية " [قد عزفت روحها عن جسدها] بعـد أن مُنيـت بجروح خطيرة، أخذت تؤكد على ما يلي:

<< إن الغريب في الأمر هو أنهم قد لقنـوني دائمـاً، إبـان التعلـيم المسيحي، أن الإنسان في ذات لحظة وفاته يجد نفسه عنـد بـاب الجنـة [سماء النعيم] أو يتواجد عند باب الجحيم ... إذن، أقول كلا ! أجل كنت هناك أحوم فوق جسدي، وهذا كل ما في الأمر ! وبقيت منذهلةً. >>

أضيف إلى ما سبق، أن **العديد من الشهادات صدرت عن أفراد لا ينتمون إلى أي إيمان**، ولم يسبق أن كانت لهم تربية دينية، لكنّ إحصاءات هذه الشهادات لا تتمايز، من حيث مضمونها، عن الشهادات التي وصلتني عن طريق أناس مؤمنين. وعدة حالات عُرضت عليّ حيث الإنسان المعني قد اقتُرحت عليه عقائد دينية فرفضوها وقد استمد من تجربته " المواتية " إيماناً أعمق بكثير. وقال لي آخرون إنهم قد زاولوا قراءات دينية – ومن بينها مطالعة " البيبل " [أي العهد القديم] – لكنهم لم يفهموا في ذاك الزمن فهماً حقيقياً بعض المقاطع، وذلك قبل تجربة " المَوات " هذه.

س– وحسب رأيك، ما قد تكون النتائج المحتملة من هذه التجارب على صعيد عقيدة التجسّد من جديد ؟ [أي التقمّص]

ج– لم ألحظ، في أية حالات قد عُرضت علي، أدنى دلالة خاصة باحتمال تجسد في جَسَدٍ ثانٍ [التقمّص]، بيد أنه من العدل اعترافنا أيضاً أن أحداً منهم لا يُلغي جذرياً هذه الفرضية. فإنْ تواجد تقمّصٌ ما، فعندئذ من المحتمل أن حادثاً متوسطاً يتموضع على صعيد آخر من الواقع الحقيقي، ويفصل الحين الذي يهمل فيه الجسد القديم عن الحين حيث يندمج الروح في الجسد الجديد. ومن ثمّ، إن دراسة بعض الشواهد الواردة من أشخاص يرجعون من "موات" قصير (في ما وراء الحياة الدنيوية)، هي دراسة عاجزة كلّياً عن تزويدنا بدلالات صالحة في هذا الشأن.

هناك تقنيات غيرها قد وضُعت على قيد التطبيق بقصد المحاولة لحل معضلة التقمص، مثلاً: فقد تمّ اللجوء إلى طريقة " **التراجع في الزمان** " régression. فالشخص المعني يوضع تحت ظل التنويم المغنطيسي ويتلقى الاقتراح بالرجوع ذهنياً إلى عصور قديمة أكثر فأكثر (عبر حياة هذا الشخص)، فحينما يبلغ ذكريات الأحيان الأولى تماماً من حياته، يُطلب منه الرجوع أيضاً إلى ما هو أقدم زمنياً. إنما عندئذٍ يبدأ بعض الأشخاص

يروون قصصاً مفصّلة حول عدد من حيوات سابقة ومتموضعة في عصور قديمة وفي أماكن بعيدة جداً. ويحدث أن مثل هذه القصص تستجيب لتحققات تكشف أموراً كثيرة، وذلك، مع التأكد أن هذا الشخص لم يستطع قطعياً أن يعرف (بطرق طبيعيّة) الأفراد والوقائع والأماكن التي وصفها وصفاً دقيقاً جداً. وإن وضع بْرايديّ مورفي Bridey Murphy هو الأكثر شهرةً، ولكن، هناك أوضاع أخرى تلبث أحياناً انطباعاتها على مزيد من الشدّة ومن التوثيق، ورغم هذا تبقى معروفة أقل من سواها. وإن القارئ الذي يرغب في التعمق حول هذه القضية بوسعه مطالعة الدراسة الرائعة التي قام بها إيان ستيفنسن Ian Stevenson، الدكتور في الطب، " عشرون حالة للتقمص ذات إيحاءات مرموقة ". ويحسن بنا التذكير أيضاً بأن " كتاب الأموات التيبتي " الذي يكرّرُ بوجه دقيق شتى مراحل " الموات " ما بعد الحياة، يؤكّد على أن التقمص يحدث في حين معيّن، ولكن بعد ذلك بكثير، أي أبعد بكثير من الحوادث التي يرويها شهودي.

س- هل استطعت أن تقارن هذه الشهادات بغيرها وقد وردت من ثقافات مختلفة ؟

ج- كلا. وفي الواقع، إن أحد الدواعي التي تُقوّلني إن دراستي ليست علمية تماماً هو أن مجمل الأفراد الذين حظيت على بوحهم لا يشكل جملة من العينات لكائنات بشرية تم اختيارهم حسب الصُدف. لو تسنى لي ما سألت عنه لغدوتُ شديد الاهتمام بسرد وقائع تجارب مماثلة قد يكون عاشها أفراد من قبائل الأسكيمو أو هنود من كواكيونس، ومن نافاهوس أو من أصل قبيلة واتوسي، وهلم جراً ... ولكن من جرّاء ظروف جغرافية وسواها، لم أستطع الحصول على أية شهادة أخرى.

س- هل هناك سوابق تاريخية لظواهر تعنى " الموات " العابر ؟

ج- لا أدري مثل هذا الأمر. لكني أضيف في الحال أنني كنت قد أوقفت كل نشاطي على حالاتٍ معاصرة فلم يتسنَّ لي الوقت الكافي

والضروري لكي أتبحّر كفايةً في هذه القضية. ولن أباغت البتّة بملاحظتي المحتملة أن ثمة قصصاً من هذا القبيل قد تواجدت في ماضٍ ما من الزمان. وأظن تماماً، من جانب آخر، أن تجارب " موات " عابر لا بد أنها قد كانت على المزيد من التواتر خلال العقود الزمنية الأخيرة، وذلك لمجرد السبب في هذه الفترة الأخيرة فقط قد تمّ **إحكام تقنيات جديدة لإنعاش المحتاجين**. وإن كثيراً من الناس الذين أعيدوا إلى الحياة، في هذا العصر الحالي، لما كانوا قد لبثوا على قيد الحياة عقب تجربتهم ومُحنتهم السابقتين. فإن حقن الأدرينالين في القلب، والصدمات الإلكترونية، والقلوب والرئات الاصطناعية لا تزال أمثلةً لأنواع التقدم الطبي.

س- هل جهدتم في تفحص ملفات من سألتموهم الطبية ؟

ج- نعم، بقدر ما استطعت. وكلما تم قبولي لإجراء هذه التفحصات، كانت الملفات تشتمل على إثباتات المسؤولين. وفي بعض الحالات، مع أخذي في الحسبان الزمان المنصرم، و/أو موت الأشخاص الذين تحملوا مسؤولية الإنعاش من " الموات "، لم تتيسّرْ استشارة الملفات هذه. غير أن الشهادات التي في شأنها لم يتم الحصول على الملفات، هي شهادات لا تختلف عن سواها بأي شيء. ومتى كان يتبدى مستحيلاً اللجوء إلى استشارة الملفات الطبية، قد لجأتُ إلى شهود آخرين – الأصدقاء، الأطباء، جوار الأفراد المألوفين – بحيث أثبتُّ باليقين أن المريض قد سبق له فعلياً أن لامس الموت الحقيقي.

س- سمعت من يقول إن كل محاولة للإنعاش تغدو دون جدوى بعد خمس دقائق. لكنك تؤكد أن بعض الأفراد لديك قد كانوا " مواتيين " خلال عشرين دقيقة. فكيف من الممكن أن يحدث هذا ؟

ج- إن غالبية الأرقام التي نسمعها في المزاولة الطبية لا تنتمي إلى نسب وسطية، إلى تقديرات ولا إلى طابع مطلق. فإن مدّة خمس دقائق التي غالباً ما نسمع الناس يذكرونها تشكل نسبة وسطية. إن الروتين الطبي

يتوخى ألا نطيل إلى أكثر من خمس دقائق، جهود الإنعاش. وذلك لأن هذه المدة، في أغلب الأحيان، تكفي لإحداث تحـولات عـصبية سـيئة عنـد الارتداد إلى ما سبق في الـدماغ البـشري وذلـك مـن جـرّاء نقـص الأوكسجين. ولكن، بما أننا في شأن نسبة وسطية، لا بد لنا من التوقع أن كل حالة فردية تتموضع إما أكثر أو أقل من هذا التقدير. ومن الـصحيح أني اخترت حالاتٍ حيث " البعث من الموت " قد حدث عقب أكثـر مـن عشرين دقيقة، دون أن تظهر أية علامة تقبل ملاحظة جرح في الدماغ.

س- هل كان جميع هؤلاء الناس أمواتاً في حقيقة واقع الأمر ؟

ج- إن أحد الأسباب الرئيسية الذي يجعل الإجابة على هـذا الـسؤال مربكةً وبجمّ من الدقة، سبب يقوم على مشكلة دلالة معنى الكلمة، المعني الذي ينسب إلى لفظة " المَوات "[٩]، وكما يسعنا أن نلاحظ فـي أعقـاب المناقشات الحادة التي أثيرت أخيراً في معـرض زرع الأعـضاء، فـإن "المَوات" [أي الموت العابر] لا يزال بعيداً عن اتخاذه تعريفاً ثابتاً بقـوة، وحتى ما بين من يمتهنون الطب. والمعايير التي يقـوم عليهـا الإقـرار بالوفاة ليست هي ذاتها في نظر الطبيب وفي رأي رجـل الـشارع، بـل علاوة على ما سبق، لا تزال هذه المعايير تتغير حسب الأطباء وحـسب المستشفيات [وحسب التكنولوجيات الطبية المعاصرة].

ومن ثمّ، إن الإجابة على هذا السؤال سـترتبط بمـا نعنيـه بلفظـة " الموت ". وسيكون مُشجّعاً لنا بالتالي أن نتفحص بالتعاقب ثلاثة تعاريف ممكنة ونزوّد كل تعريف بالتعليق عليه.

*

[٩] ولذلك تم اللجوء إلى نحت لفظة " المَوَات " التي تعني هنا: " الموت المؤقت، أو العابر " [المترجم]

١-الموت بصفته غياباً لعلامات حياتية يمكن العثور عليها سريرياً:

حسب رأي البعض، سيُقال أن شخصاً قد مات عندما يتوقف قلبه عن الخفقان، وينقطع تنفسه خلال زمن طويل بما يكفي، وحين يبلغ ضغطه الشرياني مستوى منخفضاً جداً بحيث يُمسي هذا الضغط غير مقروء. ولما تتوسع حدقتا عينيه، وعندما تبدأ حرارة الجسد تنخفض، وهلم جرّاً. وهذا هو التعريف السريري: وقم تم استخدامه طوال قرون من قبل الأطباء وسواهم من غير المدرّبين على السواء. وعملياً إن غالبية الناس الذين اعتبروا أمواتاً على الصعيد السريري، قد عوملوا بناءً على أساس هذه المعايير.

لا شك أن هذه الشروط التقليدية قد اجتمعت في عدد وفير من الأحوال التي تفحّصتُها. وإن شهادة الأطباء والإثباتات الماثلة على الملفات الطبية تأتي جميعها لتعزيز هذه القرينة لصالح موت فعليّ.

٢- الموت بصفته غياباً لنشاط موجات الدماغ:

إن أنواع التقدم التكنولوجي قد شجعت تطور تقنيات جديدة، تنعم بالمزيد من الحساسية والدقة، وتتيح الكشف عن سيرورات بيولوجية حيث قد كان من المستحيل مراقبتها بوجه آخر. فالطريقة التي تعتمد، وهي صورة الدماغ الكهربائية، تقوم على **جهاز يُضخّم ويُسجل قدرات الدماغ الكهربائية الزهيدة جداً**. ونميل حالياً إلى أن نؤسّس مراقبة موت " حقيقي " على غياب النشاط الكهربائي في الدماغ، ويشهد على هذا الغياب التخطيط [الرسم] "المسطح " لصورة الدماغ الكهربائية (E.E.G.: ت.د.ك.).

بوجه جلي جداً، وفي جميع حالات الإنعاش التي عالجتها هنا، لبث الأمر يعني حالة إسعافية ومستعجلة قصوى. ولم نكن في شأن أن يسنح لنا الوقت اللجوء إلى جهازٍ ما، وبحق، كان العاملون في المستشفى يجهدون

قبل كل شيء أن يعيدوا المريض إلى الحياة. وبالتـالي، سـيقدر الـبعض التحجّج بأن أي واحد من هؤلاء المرضى لم يُعدّ رسمياً كميت.

إلى جانب ذلك، لنفترض، في لحظةٍ مـا، أن تخطيطـات مـسطحة لتصوير الدماغ الكهربائي [E.E.G = ت.د.ك] قد تـم الحـصول عليهـا كنسبة مئوية هامة لأفرادٍ قد اعتبروا أمواتاً وتم إنعاشهم فيما بعـد، فهـل تشكل هذه الواقعة حقاً عطاءً حاسماً لحل مشكلتنا ؟ لا أرى ذلك ولثلاثـة أسباب:

أولاً: تمثل دائماً جهود الإنعاش كإسعافات مستعجلة سريعة لا تتجاوز بتّةً مدة قُرابة ثلاثين دقيقة. والحال هذه، إن إعداد جهاز ت.د.ك. [جهـاز تصوير الدماغ الكهربائي]، هو مهمة معقّدة تقتضي معارف تقنية: فمـن الدارج بما يكفي أن رجلاً تقنياً، ينعم بخبرة كبيرة، يكون مُرغماً لإجـراء إحكام دقيق للجهاز قبل حصوله على تخطيطات صحيحة ودقيقـة، ولـئن كان هذا في أفضل الظروف. وخلال إسعاف مستعجل وسريع جداً، مـع الفوضى السائدة، ستكون حظوظ الضلال متكاثرة. إذن، ولئن تـم إنجـاز (ت.د.ك) مسطح بالنسبة إلى فردٍ من الأفراد قد يروي فيما بعـد قـصة " مواته "، فمن الممكن دائماً - وبحق تماماً - أن يؤكـد أحـد النقّـاد أن التخطيط، من المحتمل، غير صحيح.

ثانياً: وحتى أحد أروع الأجهزة الكهربائية، وهو على قيد الاسـتعداد بوجه لائق، قد لا يتيح لنا أن نحدّد تماماً هل الإنعاش ممكن، مهما كانـت الحالة المعنية. وقد أُنجزت تخطيطات (ت.د.ك) لبعض الأشخاص الـذين قد أمكن إنعاشهم فعادوا إلى الحياة الدنيوية. وإن جرعات مفرطة القوة من المخدّرات التي تنوّم الجهاز العصبي المركزي، وكذلك انخفاض حـرارة جسد الإنسان، فكل هذا قد أحدث أحياناً هذه الظاهرة.

ثالثاً: هيّا بنا لنفترض أنني قادر على إجراء حالة حيـث قـد يكـون الجهاز محكماً بصورة دقيقة، فلا تزال المشكلة تُطرح دائماً. ومن الممكن

أن يدّعي أحدهم أن ليس هناك أي برهان على أن تجربة الموت المؤقت [أي هنا: " المَوَات "]، كما تُروى لاحقاً، قد عاشها فردٌ ما في الفترة الزمنية حيث الرسم في الـ (ت.د.ك) بقي " مسطحاً ": فمن الممكن أن يكون قد حدث ذلك قبل أو بعد. ولذلك، أستنتج أن الـ (ت.د.ك) لا يجدي حقاً بأي شيء في الوضع الراهن لبحوثنا وتقصّياتنا.

٣ - الموت بصفته فقداناً لا يمكن انعكاسه [فيبقى في اتجاه واحد] للوظائف الحياتية:

لربما سيريد آخرون التشبّث بتعريف أشدّ حصراً، إذ يعتبرون أن الأمر ليس في شأن زعمنا أن فرداً ما هو ميت، مهما كانت مدة الغياب، لعلامات حياته، وهي علامات من الممكن العثور عليها، ومهما كان طول التخطيط الدماغي المسطح، إن تم بعد ذلك إنعاش هذا الفرد المعني. وبتعبير آخر، **يُعرّف الموت لحالةٍ حيث يغدو من المستحيل إعادة جسد إلى الحياة.** وبوجه جليّ، إن تقبّلنا هذا التعريف، فلا يمكن لحالة من الحالات المذكورة سابقاً أن تؤخذ في الحسبان، ما دامت هذه الحالات تشتمل جميعها على " بعث إنسانٍ من الموت ".

إذن، ها نحن قد رأينا أن الإجابة على السؤال المطروح يرتبط ارتباطاً كليّاً بما نعنيه بكلمة "موت". لكن، يحسن بنا التذكّر - ولئن استطاعت هذه المناقشة، جزئياً، أن تؤول إلى مشاحنة حول الكلمات - أن هذه الإجابة تنطوي بالقدر الأقل، على تضمنات هامة. أمّا الجانب الذي يخصني، فقد أميل بالأحرى إلى أن أتبنّى التعريف الثالث، أي التعريف الأوفر حصراً. وحتى عندما قد ينقطع القلب عن الخفقان، خلال قسط من الزمن المديد، كان ينبغي أن تبقى أنسجة الجسد، ولا سيما منها الدماغ ذاته، أنسجةً مروية (مزوّدة بالأغذية والأوكسجين)، وليس من الضروري، في مثل هذه الحالة، افتراضنا أنه قد حدث انتهاك للقوانين البيولوجية: لأنه، لكي يحدث " بعث إنسانٍ من الموت "، هناك بعض النشاط المتبقي

بيولوجيا لا بد من استمراره في خلايا الجسد [إلا حينما تتدخل القدرة الإلهية !]، مع أن أية إشارة جلية لهذه السيرورة ما كان من المحتمل مراقبتها بوسيلة الطرق المستخدمة حالياً.

لكن يبدو مستحيلاً في هذا الزمان الراهن، أن نحدّد بدقّة [أين يتواجد خط عدم الرجوع]. ويمكنه أن يتغير حسب الأفراد: وبالأرجح ليس هو خطاً ثابتاً، بل هو بالأحرى حدّ متغيّر طوال مسارٍ مستمر. ومن الأكيد أن غالبية البشر الذين قد اتصلت بهم ما كانوا ليعودوا إلى الحياة قبل قرابة عشرة أعوام من تطور التكنولوجيا الطبية. وفي المستقبل، ستتمكن تقنيات جديدة أن تتيح لربما إنعاش أشخاص قد يتعسّرُ إنقاذهم في أيامنا هذه.

هيا بنا الآن لنتفحّص الافتراض القائل إن الموت يقوم على انفصال الروح عن الجسد، وخلال تلك اللحظة، ينتقل الروح إلى نمط آخر من الحياة ومن الوجود. وقد ينجم عن هذا الانتقال أن ثمة آليةً - مهما كانت - يصبح الروح بها (أو الوعي) مُحرّراً حين يباغته الموت. بيد أننا نفتقد أية معلومة أساسية تتيح لنا إثباتنا باليقين أن هذه الآلية تقوم بعملها على توافقٍ كامل مع ما نعتبره (حسب رأينا وبما يكفي اعتباطياً) لخط عدم الرجوع. وأكثر من هذا، لا نستطيع الافتراض بأن قيام هذه الآلية بعملها يتم بصورة كاملة في جميع الأحوال، أكثر من أي نظام عضوي آخر. ومن المحتمل أيضاً أن الآلية المعنية تنطلق حسب الظروف والصُدف قبل تدخل الأزمة الفيزيولوجية الحاسمة، مزوّدةً بذلك بعض الأفراد بلمحات وجيزة حول حقائق أخرى. وقد يفسح هذا الاحتمال مجالاً لنفهم، على نحوٍ أفضل، شهادات " المَوَاتيين " الذين تواجدوا خارج أجسادهم وشاهدوا وهم حاضرون فيلم حياتهم الدنيوية، وهلم جرّاً ....، في اللحظة حيث لبثوا يعتقدون بالتأكيد أنهم يفقدون حياتهم، فيما لم تلحق بهم بعد أية أذية جسدّية.

في آخر المطاف، لا بد لي أن أصرّح بما يلي:

من المحتمل مهما يصير هذا " الخط "، حيث يغدو الموت غير قابل للانعكاس والرجوع إلى الحياة، في الماضي كما حاضراً ومستقبلاً، فإن من حادثتهم قد اقتربوا منه أكثر بكثير من أغلبية أمثالهم الكبرى، ولهذا السبب وحده، أشعر أني متأهب لسماعي ما يريدون قوله لي.

إلى جانب ما سبق، في هذا التحليل الأخير، من النافل أن نجادل ونماحك حول التعريف الدقيق للموت - هل هو قابل أم غير قابل للانكفاء إلى الوراء وإلى الحياة - وذلك بسبب سياق هذا البحث. ومن يعارض هذا النوع من الاعتراضات إزاء تجارب " المواتيين "، يتشبّث، في الواقع، بشيء له المزيد من الأهمية: فحسب رأيه، طالما تستمر إمكانية نشاط متبقٍ في الجسد، فإن هذا النشاط بمقدوره أن يُشكّل السبب لهذه التجربة، وبالتالي بمقدوره أن يشتمل على الشرح والتفسير.

لكن، سبق لي أن اعترفت بوجوب الوجود - في جميع الأحوال - لوظيفة متبقية في خلايا الجسد، بحيث أنّ مسألة معرفتنا هل حدث موت " حقيقي " أم لم يحدث، مسألة تستمرّ نوعاً ما أمراً زهيداً إلى جانب هذه المسألة الأخرى الأهمّ، ألا وهي: هل الوظيفة البيولوجية المتبقية قادرة أم لا أن توضّح هذه التجارب ؟ أو، بتعبير آخر:

س- باستثناء افتراض بقاء الحياة عقب الوفاة الجسدية، هل هناك شروح أخرى ممكنة ؟

ج- هذا ما سنتمكن من تفحّصه الآن خلال الفصل التالي.

الجزء الخامس

بعض الشروح

بطبيعة الحال، سنتمكن من تزويد ظاهرة " الموات " أي الموت المؤقت بشروح أخرى. فعلى **الصعيد الفلسفي** المحض، بمقدور كل تجربة، أو كل ملاحظة، أو كل واقعة، أن تُثير عدداً لا حدود له من الافتراضات. أجل لا شيء يحول دون تراكمٍ لا نهاية له لشروح صالحة نظرياً، مهما كان الأمر الذي نسعى إلى توضيحه. وعلى هذا المنوال، تلبث تجربة " المواتيين ": تطرح على بالنا جميع أنواع الحلول.

ما بين التوضيحات العديدة التي قد نقترحها على الصعيد النظري، ثمّة البعض منها قد اقتُرحت عليّ في غالب الأحيان إبان تناظرات بالآراء كانت تتالى عقب محاضراتي. وسأعرض للتو الاقتراحات التي لبثت تتكرر بوجه مُتواتر. وسأضيف إليها اقتراحاً، ومع أنه لم يُذكر البتّة، فمن المحتَمل أن يُقترح تماماً. وصنّفتُها بإيجاز في ثلاث فئات: الفوطبيعيّة [التي تفوق الطبيعة]، الطبيعيّة (أي العلمية) والسيكولوجية.

أولاً
الشروح الفوطبيعيّة

كان المستمعون على جمّ من الندرة وراحوا يقترحون توضيحات لوضع " المواتيين "، عن طريق أصناف تدخل الشيطان، مُلمّحين بأن تلك الرؤى لا يمكن حدوثها إلا بقوى الضرّاء والأذية المتعمّدة.

أجيب على هذا التفسير بما يلي: لا أستطيع سوى قولي التالي: حسب رأيي، إن أفضل وسيلة لتمييز أعمال " الله " عن أعمال الشيطان عساه يكون ملاحظتنا ما قد يقوله ويفعله الشخص المعني عقب تجربته. أتصور أن " الله " قد يحث بالأحرى هؤلاء الذين يظهر لهم على أن يكونوا مُحبّين ورؤوفين. أما الشيطان فبالأحرى يُقحِم خُدّامَهُ في طريق الضغينة والهدم. وعلى نحو جليٍّ، إن أفرادي [الذين استجوبتهم] قد عادوا من " مواتهم " مزوّدين بتصميم مُتجدّد لصالح التصرف الأول [أي المحبة والرأفة]، وبامتناع عن التصرف الثاني [أي الحقد والهدم]. وإن نحا تفكّرنا إلى جميع المؤامرات والدسائس التي قد يكون الشيطان استرسل إليها لخداع ضحاياه البائسين (وسعياً إلى أي هدف؟)، فبوسعنا التأكيد على أن الشيطان قد أخفق إخفاقاً ذريعاً – وهذا بقدر ما أستطيع الحكم عليه – في إعداده بعض التلاميذ المُقنّعين في سبيل برنامجه الشيطاني !

ثانياً

شروح طبيعيّة

نتفكّر أحياناً في أن تجربة " المواتيين " قد تنجم عن المخدرات التي تُعطى للمرضى إبان الأزمات الشديدة. وثمة عدة وقائع تنسب إلى هذا الافتراض بما يشبه الاحتمال. مثلاً، من المُسوّغ، في رأي غالبية الأطباء وغير الاختصاصيين، أن بعض المخدرات تتسبب بحالات ذهنية هلوساتية. وعلاوة على هذا، نجتاز حالياً عصراً حيث يُثار اهتمام شديد بمشكلة الإسراف في تعاطي المخدرات، وقد رُكِّز انتباه الجمهور بمقدار بالغ حول الاستخدام اللاقانوني للمخدر .L.S.D، والمرجوانا، الخ... وهي مخدرات، تُسبّب فعلياً، كما يبدو **بالهلوسات**. وأخيراً، في الواقع، إن الكثير من الأدوية التي توافق عليها هيئة الأطباء تشمل، على الصعيد الذهني، تأثيرات قادرة على إيحائها لمريضٍ ما بشعورٍ ينتابه فيعتقد أنه على قيد الوفاة.

من بين هذه المخدرات، ألكيتامين Kétamine (أو سيكلوإكزانون)، هو مخدر يعطى بالحقن داخل الأوردة، وليست تأثيراته الثانوية دون تماثل مع تجارب انسلاخ الروح عن الجسد. ويُصنّف هذا المخدّرُ ما بين المواد التخديرية " الفاصلة " لأن المريض الذي يصاب بتأثير المخدّر لا يبدي من بعد أيّ ردّ فعل حيال الألم، ولا حيال كل جواره. فيشعر بأنه " مفصول " [مفصوم] عن بيئته، وحتى عن أجزاء جسده، الذراعين، الساقين، الخ ... ومتى يسترد وعيه، يصاب بآلام من أمور باقية تتضمّن هلوسات أو أحلام يقظة شديدة التلوّن (ولا بد أن نلاحظ هنا أن أفراداً عديدين قد استخدموا كلمة "انفصال" لكي يُعربوا عن مشاعرهم إبان مكوثهم خارج جسدهم.)

علاوة على ما سبق، قد تقبلت بعض القصص الصادرة عن أشخاص قد سبق لهم، تحت تأثير المخدّر، أن شعروا بأمور قد ماهوها هم أنفسهم برؤى الموت الهلوسية. وإليكم مثالاً عن ذلك لدى امرأة قالت ما يلي:

<< لا بد أنني كنت في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمري، وقد ذهبت إلى طبيب الأسنان لكي يرصص لي سناً من أسناني. وتم تنويمي بالبروتوكسيد الآزوتي، ولم أشعر بالطمأنينة حيث أني بقيت أخاف من عدم استيقاظي بعد التنويم. وحينما بدأ المخدّر يقوم بفعله، شعرت بأني مسحوبة في طريق حلزوني، ولم يكن الأمر وكأني أدور على ذاتي بل كانت كنبة الطبيب هي التي تتحرك طوال هذا الطريق الحلزوني الصاعد، ورحت أصعد معه، وأصعد دون هوادة ...

<< بدأ كل شيء يتلمّع، وبقي كل شي أبيض، ولما بلغت قمة الطريق الحلزوني، وفد بعض الملائكة ليلتقوا بي بقصد ذهابهم بي إلى " السماء ": واستخدم لفظة " ملائكة " بالجمع لأن كل ذلك لبث غامضاً جداً، بيد أنني متأكدة مما أقول، فكان هناك أكثر من ملاك، وأجهل كم كان عددهم.

<< وفي لحظة ما، تكلم الطبيب ومساعده معاً حول شخص آخر، لكنهما عند بلوغ نهاية جملتهما، ما كنت أتذكر من بعد بدايتها. وكل ما أزال أعرفه هو أنهما يتكلمان، وأن صوت حديثهما ينعكس من صدى إلى صدى. وراح الصدى يمضي مبتعداً عني، وكأنه في الوادي. وأتذكر أنهما بقيا يتحدثان تحت المكان الذي كنت فيه، لأني بقيت أحوم في الأعلى على طريق " السماء ".

<< وهذا كل ما أتذكره باستثناء عدم شعوري بالخوف وعدم ذعري من فكرة الموت. وفي ذاك الحين، كنت أخشى الذهاب إلى جهنّم، ولكن، خلال تلك المغامرة لم يكن الأمر يعني لي سوى ذهابي إلى " السماء ". وفيما بعد، أدهشني هذا الأمر، فإن فكرة الموت لم تجعلني على مزيد من الانفعال، لكن انتهيت إلى إدراكي أنني في الحالة حيث وضعني المخدّر،

لم يعد أي شيء هاماً في رأيي. ولم أزل مسرورة جداً، وأعلم جيداً أن الغاز هو الذي أدّى بي إلى اللامبالاة. وأقلّه كنت أفكر هكذا، وقد كان الحدث غامضاً جداً ولم أُركّز كثيراً، منذئذ، على تفكّري بما قد جرى لي. >>

من المحتمل أن يكون المطالع قد لحظ العديد من التشابهات ما بين هذه التجربة وسواها التي تم اعتبارها حقيقيةً هؤلاء " المواتيون " الذين عاشوها. فهذه المرأة تكلمت عن ضوء أبيض ومتلمّع، وعن مصادفتها كيانات أتت لمساعدتها على العبور إلى الجانب الآخر [الروحي]، وتكلّمت عن اللامبالاة حيال فكرة الموت. وهناك تفصيلات حول المكوث خارج الجسد: الشعور بأنها تسمع صوت طبيب الأسنان وصوت الممرضة، بصفتهما صوتين واردين من أسفل، والإحساس بالعومان.

مقابل هذا، هناك سمات أخرى من هذه القصة، سمات تبتعد بقصد عن النمط النموذجي الذي أورده أشخاص جابهوا " المَوات "، وهو نمط اعتبره هؤلاء الأشخاص كجملة من الوقائع " الحقيقية ". وإن الضوء المتلمع لم يُشخَّص، ولا يعني الأمر سعادة وسلاماً يعصيان على كل تعبير، ويبدو وصف ما وراء الحياة الدنيوية أنه يؤخذ بالمعنى الحرفي – وكما قالت هذه المرأة ذاتها – يتأثر هذا الوصف بتربيتها الدينية. وتتماهى الكيانات المصادفة " بملائكة "، وراح الأمر يعني الذهاب إلى " السماء "، وهذه " السماء " تتموضع " في الأعلى ". وأنكرت المرأة أنها رأت جسدها أو أنها اتخذت نوعاً من جسدٍ آخر، ونسبت حركة دورانية [حلزونية] لم تقم به بل أنجزته كنبة الطبيب. وأخيراً، قد ألحت المرأة على الجانب الغامض لهذه المغامرة. وكما يظهر من إفادتها، لم تبقِ هذه المغامرة أيّ أثر على إيمانها بما هو بعد الحياة الدنيوية (في واقع الأمر، ينتابها، في الوقت الحاضر، بعض الشكوك حول البقاء على قيد الحياة عقب الوفاة).

إن قارنّا القصص حيث تُنسب التجربة إلى تأثيرات المخدّر بالقصص التي تعتبرها هذه التجربة قد حدثت في الحقيقة، فعندئذ ثمّة ملاحظات عديدة تفرض نفسها. **أولاً**، إن بعض الأفراد الذين وصفوا لي انطباعاتهم كأوهام نجمت عن مواد كيميائية، ليسوا أفراداً حالمين أو متخيلين، أو أذكياء أو متوازنين أسوياء ذهنياً، أكثر أو أقل من الأشخاص الذين يقدّمون الوقائع بصفتها حقيقية. **ثانياً**، إن الرؤى المنسوبة إلى المخدرات تلبث دوماً غامضة بأقصى الغموض. **ثالثاً**، تختلف السيناريوهات بمقدار بالغ فيما بينها وتختلف أيضاً عن تجارب الموت " الحقيقية ". ولا بد من توضيحي أنني عند انتقائي قصة التخدير هذه، قد اخترت عمداً القصة التي تقترب بالأكثر من مجمل الشهادات التي قُبلت بصفتها حقيقية. وقد يُسمح لي، بالتالي، بتأكيدي على أن هناك تباينات بالغة ما بين نموذجَيْ التجارب هذين.

إلى جانب ما سبق، ثمّة عدة عوامل إضافية تعارض بصورة جذرية تفسير الظاهرة المعنية على الصعيد الصيدلي: وما هو الأشد حسماً هو التالي وحسب: في العديد من الحالات، **لم يُعطَ أي دواء ومن أي نوع قبل التجربة هذه**، وقلما حدث هذا فيما بعد. وقام العديد من الأفراد، على نقيض ذلك، يتشبثون بالتشديد على أن تجربتهم قد جرت قبل تدخل أي مخدّر، وأحياناً قبل أن يعالَجوا طبياً بكثير، بل حتى في الحالات حيث قام الأفراد قبل أو بعد الظاهرة بتجرّعهم منتجات صيدلية، بقي تنوع هذه المنتجات تنوعاً عظيماً: فهو يمتد من الأسبرين حتى المخدّرات المحلّية أو الغازية، مروراً بالمضادات الحيوية والأدرينالين. ولا تشمل غالبية هذه الأدوية تأثيرات على نفسية الفرد أو على جهازه العصبي المركزي. وليس هناك أيضاً تباينات ما بين مجمل التجارب المعاشة بعد تناول المخدرات، والتجارب التي لم تسبقها معالجات طبية.

أخيراً، سأضيف، بمعزل عن أي تعليق، شهادة امرأة قد " ماتت " مرتين، في ظرفين منفصلين بفترة عدة سنوات، ونسبت " غياب " تجربة ما خلال " موتها " الأول إلى أنها قد خُدّرت سابقاً، فيما أنها، في التجربة الثانية، لم تتجرّع أي دواء، وقد عاشت مغامرة مزوّدة بجمّ من التفاصيل المعقّدة.

إنّ أحد الآراء الخاصة بعلم الصيدلة الطبية العصرية - وهو رأي فسيح الانتشار أيضاً في الجمهور - هو أن المخدرات النشيطة نفسياً هي " سبب " تجليات نفسية مصحوبة بتجرّعها. وهذه التجليات النفسية، بالتالي، تُوصف بأنّها " لا حقيقية "، بل " هلوساتية "، أو " وهمية " أو " من ابتكار المخيلة ". ويحسن بنا، مع ذلك، التذكير بأن طريق الرؤية هذا لا يحظى بإقرار عالمي، وهيهات أن يحدث ذلك، وهناك أيضاً طريقة أخرى لتصور العلاقة ما بين المخدّرات والتجارب التابعة لاستخدامها. أتكلم عن استخدام هذه المخدّرات التي ندعوها: " منتجة للهلوسات " لمقاصد تلقينية أو استكشافية.

طوال القرون، قد لجأ أُناسٌ إلى أنواع الخليط النشيطة نفسياً وذلك بغية الاقتراب من حالات وعي أخرى وبلوغ ميادين سواها لحقيقة الواقع. وعلى الصعيد التاريخي، لم تتواجد المخدّرات فقط، مشاركة الطب ومعالجة المرضى، بل أتت أيضاً لمقاصد دينية ولبحوث الإشراق الصوفي. وعلى سبيل المثال: إن الطقوس المعروفة جداً لتعبّد " البيُوتل " Peyotl لدى هنود أمريكا الحمر في غرب الولايات المتحدة، وخلالها يُجرع " البيوتل " (وهو نوع من الصبّار المكسيكي الذي يحتوي على الميسكالين mescaline) بقصد الحصول على رؤى دينية وعلى أنواع من الوحي والإيحاء.

ونجد طقوساً مماثلة في كل جوانب العالم. ويجهر من يزاولونها بأن المخدر المستخدم يفسح لهم الانتقال إلى أبعاد أخرى من حقيقة الواقع. وإن

تقبلنا أنه من الممكن أن يظهر هذا الرأي قائماً على أساس ثابت، فعندئــذ، من المسوّغ افتراضنا أن اللجوء إلى المخدرات لا يشكل سوى طريق مــا بين طرق أخرى تذهب بالإنسان إلى الإشراق وإلى اكتــشاف مــضامير أخرى من الواقع الحقيقي. وبمقدور تجربة " المواتيين " تماماً، مــع هــذا الافتراض، أن يندرج في عداد هذه الطرق، وهذا ما يفسّر التشابهات التي نلحظها ما بين الرؤى الناجمة عن المخدرات، وبين تجارب تخوم المــوت الحقيقي.

الشروح الفيزيولوجية

الفيزيولوجيا فرع من البيولوجيا التي تدرس وظائف الخلايا والأعضاء والجسد بكامله، لدى كائنات حية، كما تدرس التداخلات البينية لهذه الوظائف بوجهٍ متبادل. وثمة شرح فيزيولوجي غالباً ما سمعته يُطرح عليّ لحل مشكلة التقاربات من الموت، وهذا هو: بما أن **تغذية الدماغ بالأوكسجين تنقطع إبان الموت السريري**، وبمناسبة شتى حالات الصدمة، فلا بد أن تكون الظواهر التي تُدرك متوافقة مع نوع من الرجفة الفجائية Sursaut الأخيرة، مع تشنج تعويضي للوعي الذي ينطفئ.

إن الاعتراض الرئيسي على هذا الافتراض هو التالي وحسب: كما يسهل أن ندرك الأمر ونحن نعيد قراءة الشهادات الواردة أيضاً، فإن عدداً من التجارب قد جرت قبل تدخل صدمة ما فيزيولوجية. وفي بعض الحالات، في الواقع، كانت الظاهرة تتكرّر بمعزلٍ عن أي جرح أو تَلَف جسدي. ومع ذلك، فكل عنصر من العناصر التي أُدخلت في حالات الجروح الخطيرة، هو عنصر يظهر أيضاً في الحالات حيث لم يتضرّر الجسد.

شروح عصبولوجية

العصبولوجيا neurology فرع طبي يدرُس أمراض الجهاز العصبي لدى البشر (الدماغ، الحبل النخاعيّ، الأعصاب)، إلى جانب فن تشخيصها وعلاجها. وإن ظواهر مماثلة لما يصفه " المَوَاتيون " تظهر أيضاً في ظروف ترتبط بالعصبولوجيا. وقد يميل البعض إلى تزويدهم تجارب " المَوَاتيين " بشروح عصبولوجية، مع تحججهم بأنواع الخلل الذي يحل في جهاز الأعصاب لدى المنازعين. ولا بد لنا هنا أن نأخذ في اعتبارنا

المظهر العصبولوجي لعنصرين رئيسيين يشكلان تجربة " المواتيين "، وهما "إعادة النظر " الآنيّة لحوادث الحياة، وشعور " الموَاتي " بأنه ينسلخ عن جسده.

سألت مريضاً من صنف العصبولوجيا في أحد المستشفيات: وكان يصف شكلاً خاصاً من فوضى تحلّ بعد أزمة صحية حيث قد شاهد من خارج جسده حوادث سابقة لوجوده في جسده الدنيوي، فقال لي:

<< عندما حدث لي هذا للمرة الأولى، كنت على قيد النظر إلى صديق بقي منتصباً أمامي، في غرفتي، وبغتةً، بدا لي الجانب الأيمن من وجهه مُلتوياً ومتشوّهاً كلّياً. وفجأةً أيضاً، اجتاح وعيي تدفق من صور تُمثّلُ مشاهد من حياتي الماضية، ولبثتْ تكرّرُ الأمور بدقة كما سبق لها أن جرت، وبقيت شديدة التفاصيل والدقة ومتحلية بألوان قُزحيّة وبارزة. فاجتاحني القرف، وبسبب شدة مفاجأتي البالغة، حاولت أن أقصي عني هذه الرؤى. ومنذ ذاك الحين، غالباً ما أُصبت بأزمات مشابهة، وتعلّمت أن لُدعها تتابع مسارها بمعزل عن أية ردود فعل مني. وإن أفضل تشبيه بمقدوري العثور عليه - وكان هذا مع حفلات بث تلفزيونيّ في نهاية السنة - حينما تستعرض صور خاطفة للحوادث الهامة التي جرت طوال السنة، فما يكاد المرء يلمح صورة حتى تتالى بعدها صور سواها متعاقبة قبل التمكن من التفكير فيها: فبالنسبة إلى أزماتي الصحية، كان الأمر مشابهاً لهذا العرض تماماً. وكلما رأيت شيئاً خاطبت نفسي بقولي: " أجل ! أتذكر هذا " وحاولت استبقاء تلك الصورة في ذهني، لكن تحل مكانها بسرعة صورةٌ أخرى وأنا عاجز عن فعل أي شيء.

<< إنها بأسرها صور أمور قد حدثت حقاً، ولا شيء تغير فيها. ولما انتهى ذاك العرض، من الصعب علي جداً أن أتذكر ما قد شاهدته. وأحياناً، تعود إلي الصور ذاتها. وحينما تأتي، أبدأ بالتفكير فأقول: << من جديد ها هي الصور ذاتها، وقد رأيتها >>، ولكن فيما بعد، يستحيل علـ

نوعا ما أن أعثر مجدّداً على أيّ شيء كان يعني ذلك. ولم تكن بالضرورة الحوادث الهامة في حياتي الماضية، أو لم تكن قط هامة. بل كانت كلها تافهة– ولا تتعاقب بانتظام، حتى بالتسلسل الذي حدثت فيه خلال حياتي، فكانت تأتي حسب الصُدف.

<< عندما يبدأ الاستعراض، أستطيع، رغم ذلك، أن أشاهد ما يحدث حولي، لكن وعيي يظل وكأنه وهنٌ ضعيف: فلست على يقظة كاملة. وكأن نصف فكري قد أخذته الصور فيما راح النص الثاني مهتمّاً بما كنت أتابع فعله. وإن الأفراد الذين شاهدوني تحت عبء هذه الأزمات يقولون إنها لا تدوم أكثر من دقيقة واحدة، ولكن، بالنسبة إلي يدوم هذا الأمر قروناً. >>

عسانا نستطيع انتقاء تشابهات جلية ما بين هذه الأزمات العصبية التي تتوافق بالتأكيد مع بؤر من الحساسية في الدماغ، ومع الذكريات الشاملة التي تثيرها بعض شهادات " المَوَاتيين ". وهكذا، فإن الأزمات لبثت تتخذ، لدى هذا الرجل، شكل صور مرئية حية وذات ثلاثة إيعاد بأقصى مقدار. وبالمزيد على ذلك، كانت هذه الصور تتدفق تدفقاً ذاتياً، بمعزل عن كل تدخل متعمّد من قبله. وقد ذكر أيضاً سرعة هذه الصور، وأخيراً، ألح على تشوه شعوره بمدة الزمن إبان الأزمات.

لكننا نلحظ أيضاً تباينات مدهشة. فعلى نقيض ما يحدث في تجارب " المَوَات " العابر، ما كانت صور الذكريات تمثُل حسب الترتيب الزمني، ولم تكن أيضاً مشمولةً بنظرة واحدة، في رؤيا بانورامية شاملة. ولم يكن الأمر يعني أكثر من حوادث هامة أو ذات دلالة، فالمريض يوضح تفاهتها. وبالتالي، **لا يظهر أن إثارة الذكريات قد توافقت مع نيّة حكمٍ أو دعوة إلى الأفضل.** فيما يؤكد " المواتيّون "، عقب تذكر الماضي هذا، على أنهم كانوا يحتفظون بذكرى حوادث حياتهم بالمزيد من الوضوح، وبالمزيد

من التفصيل بالنسبة إلى الماضي، أما هذا الرجل فقد أعلن أنه، في نهاية الأزمة، لم يستطع أن يتذكر ما قد شاهده.

إن صنوف المكوث خارج الجسد [في " الموات "] لها ما يعادلها على الصعيد العصبولوجي في ما يُدعى " الهلوسات الذاتية " (حيث يرى المرء نفسه من خارج جسده)، التي أوقف لها الدكتور ن. لوكيانوفسكي N. Lukianowski مقالة رائعة في المجلة الطبية تحت عنوان: " أرشيف العصبولوجيا والطب النفساني ". وفي هذه الرؤى الغريبة، يدرك المرء إسقاطا خارجيا لذاته في ميدان بصره الخاص. وإن هذا " الثنائي " الغريب يقلّد تقاسيم وجه الجسد الأصلي وحركاته، فيغدو المرء منذهلاً ومضطرباً حين يشاهد بغتةً صورته الخاصة على بعض المسافة عنه، وبصورة عامة، أمامه مباشرةً.

رغم وجود أمر هنا مماثل بوضوح جلي لتجارب انسلاخ الروح عن الجسد التي سبق وصفها، فإن التباينات تتغلب كثيراً على التشابهات. فإن الشبح الذي يرى ذاته autoscopique يُدرك دائماً بصفته حيّاً – وأحياناً ما يحدث أن الفرد يعتبره أوفر حياةً وأشد وعياً مما هو عليه – بينما، في الانسلاخات عن الأجساد يُدرك الجسد كشيء يفتقد الحياة inerte، كقوقعة فارغة. فالفرد الذي يشاهد ذاته أمامه قد يسمع ثنائيهُ يخاطبه، ويعطيه تعليمات، ويخضعه لبعض التجارب أو الإغراءات، الخ ... وفي حالات الانسلاخ عن الجسد، يُرى هذا الجسد بكامله (إلا إن كان مستوراً جزئياً أو مخبّأً)، بينما الثنائي الذي يرى ذاته يظهر في أغلب الأحيان مقتصراً على جذع إنسان [أي نصفه الأعلى].

من حيث الواقع، يشبه الأشخاص الذين يرون أنفسهم عقب خروج الروح من الجسد [وهم "المواتيون "]، بمزيد من المقدار، ما قد أسميته " الجسد الروحي " بدلاً من الجسد المادي الذي يدركه "المواتيون" خارج كيانهم. وإن النسخ المطابقة بالألوان توصف في أغلب الأحيان بأنها

بخارية وشفافة ودون ألوان. ويحدث أيضاً أن " المـواتي " يـرى ذاتـه تخترق الأبواب المغلقة أو عوائق مادية سواها، وذلك بمعزل عـن أيـة صعوبة [لأن هذه الذات روح].

إليكم هذه القصة التي رُويت لي عمّا يبدو أنه قد كان هلوسة " مواتيَ " شاهد ذاته، إنها لحالةٌ فريدة بنوعها، لأنها تخصّ شخصين في آن. وقال الراوي:

<< حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً، خلال ليلة صـيفيّة، وقبـل زواجنا بعامين تقريباً، كنت أُعيد إلى منزلها الفتاة التي سـتغدو زوجتـي. وصففتُ سيارتي القابلة للانكشاف إلى جانب الرصيف المـضاء بمقـدار خافت، وأمام منزلها. وفوجئ كلانا، حينما رفعنا ناظرينا في نفس الحـين، بأننا نرى صوراً كبيرة لذاتينا، من خصرينا وما فوق، جالسين متحـابين، في الأشجار الكبيرة التي يزدان بها ذاك الشارع، وعلى مسافة ثلاثين متراً تقريباً أمامنا.

<< كانت الصورة قاتمة، كمثل أشباح تقريباً، وتعذّرت الرؤيـة مـن خلالها، لكن الصور لبثت على كل حال نسخاً دقيقة تماماً. لم يلقَ أي واحد منا أدنى صعوبة للتعرف فوراً على ذاتينا وراحت الصور تتحرك دون أن تقلّد حركاتنا، بما أننا بقينا ساكنين ونحن ننتظر: فعلـى سـبيل المثـال، أمسكتْ صورتي بكتابٍ وأظهرت وجهاً شبيهاً بوجه زوجتـي، وانحنـت زوجتي إلى الكتاب لكي ترى رؤية أفضل. وخلال ذاك الوقت، لـم نـزل جالسين جنباً إلى جنب، وأنا أروي لزوجتي ما كنت أشـاهده بالتسلـسل، وبقي ما أقوله لها متطابقاً مع ما رأيته لتوّي.

<< وبقينا هناك ردحاً كافياً من الزمن – وأقلّه، نصف ساعة – ونحن ننظر ونعلّقُ على ما نشاهده. ومن المحتمل أن ذلك قد يكون استمر هكـذا طوال الليل بكامله: لكن توجب على زوجتي أن تعود إلى منزلها، فعندئـذ صعدنا معاً مراقي الدرج المؤدي إلى منزلها عند قمة التلة. وعندما نزلت،

شاهدت الصور ثانيةً وقد بقيت هناك دون انقطاع، عندما قمت أخيراً أسوق سيارتي.

<< لا مجال لأشرح ما شاهدنا، بواسطة انعكاس ما في الزجاج الأمامي، لأن سقف السيارة القابل للانفتاح كان مطوياً وأننا نظرنا من فوقه، من فوق الزجاج الأمامي بكثير، وذلك خلال الفترة كلها، حيث حضرنا ذاك المشهد. ولا أحد منا كان يزاول الشراب - ولا الآن أيضاً - وقد حدث ذلك قبل ثلاثة أعوام من سماعنا الحديث عن المخدر .L.S.D [الذي يتسبب بالهلوسات] أو مخدرات من النوع ذاته. ولم نكن تعبين، رغم أن الساعة كانت متأخرة في الليل، ولا نائمين، ولم نستسلم لأي حلم يقظة ما. بل لم نزل على تيقظ كامل، وننعم بصفاء ذهنينا ومذهولين تماماً، وقد استُثيرت أعصابنا ونحن نشاهد الصور ونتبادل شتى أفكارنا وتعليقاتنا. >>

أجل، إن هلوسات رؤية الفرد ذاته تبدي بعض التقارب من ظواهر الانسلاخ عن الجسد المصحوبة بتجارب " المواتيين ". لكن، ولئن تشبثنا بالتشابهات - مع إهمالنا تماماً التباينات - فإن وجود الهلوسات لمشاهدة الفرد ذاته لا يزوّدنا بأي تفسير حول تجارب الخروج من الجسد. وذلك لسبب بسيط جداً: ليس ثمة أيضاً تفسير موفّق لما يخص هلوسات المرء الذي يشاهد ذاته. وقد تم اقتراح الكثير من الافتراضات المتناقضة من قبل العصبولوجيين [اختصاصيين بعلم جهاز الأعصاب] والأطباء النفسانيين، بيد أن المناقشة حولها لا تزال قائمة، ولم تُفلح أية نظرية في حصولها على الوفاق العام. ومن ثم، إن زعمنا أننا نفسّر الرحلات خارج الجسد بتماثلها مع هلوسات من يشاهدون أنفسهم بصور خارجية، فذلك لا يؤول إلا إلى استبدال عتَمة بأحجية.

بمثابة نهاية، إليكم تفصيلاً أخيراً يتّصل بمحاولات تفسير عصبولوجي لتجارب " المواتيين ". صادفتُ حالة حيث قد عانى الشخص المعني من

تأثيرات عصبولوجية عقب وفاة " مواتية ". وانحصرت هذه التأثيرات في شلل جزئي لمجمل صغير من العضلات في جانب من الجسم. وعلى أني غالباً ما سألت مرضاي بقصد معرفتي إن لم تشتمل مغامرتهم على عواقب سيئة لهم، فإن المعني الأخير هو المثل الفريد الذي وجدته مصابا بأذيّة عصبولوجية من جرّاء تجربة قرّبته من الموت.

شروح سيكولوجية

لم تبلغ السيكولوجيا بعد، وبالتأكيد لا، درجة الدقة الصارمة حيث أفضت علوم أخرى إبان عصرنا الحديث هذا. ولا يزال السيكولوجيون على خلاف ما بين شتى المدارس الفكرية المتنازعة دون هوادة (بوجه متبادل)، وعلى تباين تامّ، حول آرائها الخاصة بكل منها، وحول نهوج عملها وطُرقها، وتصوراتها الأساسية من حيث وجود الروح وطبيعتها. ومن ثم، تتباعد التفسيرات السيكولوجية لتجارب " المواتيين " تباعداً بالغاً حسبما تنتمي المدرسة الفكرية إلى كلّ مُفسّر. وبدلاً من تفحّصنا، بالتالي، جميع أنواع الشروح التي قد ينجزها بعض السيكولوجيين، سوف أقتصر على العدد الضئيل من الشروح التي عَرضَها عليّ، في أغلب الأحيان، أعضاء من جمهور المستمعين إلي، علاوةً على شرح واحد قد أدهشني بصفته يُشكّل التفسير الأشد إغراءً وغرابةً.

سبق لي أن لامست، في بعض صفحات هذا الكتاب، تفسيرين غالباً ما تم ذكرُهما، ألا وهما: التفسيران اللذان قد افترضا تدخل بعض الأكاذيب الواعية أو المقالات اللاواعية. وفي هذا الفصل أودّ البحث في تفسيرين آخرين.

تأثيرات العزل

في غضون الاجتماعات العامة العديدة، قد تحدثت عن دراساتي، ولم يقترح أحد علي قط تفسير تجارب " المواتيين " باستيحاء البحوث الراهنة

التي تعني تأثيرات العزل [أو الانعزال isolement]. ولكن، إنما داخل مضمار هذه الدراسة للتصرف الإنساني، وهي علم حديث العهد نسبياً وينعم بملء الانطلاق، قد لوحظت فيه (بل أُحدِثتْ مخبرياً) الظواهر التي تتمّ بالأكثر عن التشابهات الأشد ارتباطاً بالمراحل حيث تمرّ تجربة " المواتيّين ".

يطالُ هذا البحث ما يحدث في وعي فردٍ وفي جسده، حينما يتواجد، بطريقة أو بغيرها، منعزلاً، وحيداً. مثلاً، لمّا يصير على تمام الانقطاع الاجتماعي عن سواه من البشرية، أو عندما يُخضع طوال فترات مديدة لمهمة رتيبة وذات تكرار متواصل.

حول تأثيرات هذا النمط من الوضع قد تم الحصول على دلالات بوسيلة عدة طرق. وإن التقارير المحرّرة عن تجارب مستكشفين منعزلين في القطبين الشمالي والجنوبي، (أو من لبثوا على قيد الحياة منفردين عقب غرق سفينتهم)، هي تقارير تنطوي على معلومات ثمينة جداً. وطوال العقود الزمنية الأخيرة، قد جهد بعض الباحثين في دراستهم ظواهر مماثلة، داخل المخابر. وثمة تقنية قد استقطبت جمّاً من الأحاديث، تقنية تقوم على إبقاء إنسانٍ متطوّع في طور تدلٍّ داخل بركة مليئة بماء يحتفظ بحرارة الجسد البشري، وذلك بغية التقليل من شعوره بالحرارة والوزن. وتُغمض عيناه بعُصابة، وتُزوّدُ أذناه بسدّادتين سعياً إلى تصعيد الشعور بالعتمة والصمت. وتولج ذراعاه في غِمدين لكي لا يتمكن من تحريكهما، فيتواجد هكذا محروماً من كل إحساسٍ يشفعُ ويصاحب الوضع والحركة.

في ظروف الانعزال هذه، وكذلك في سواها من ظروف تُشبِهُها، قد شعر البعض من هؤلاء المتطوعين بظواهر سيكولوجية يشبه العديد منها شبهاً قوياً الظاهرات التي وصفتُها في غضون الفصل الثاني. وإن امرأة قد مضت فترات طويلة من الانعزال في القطب الشمالي، معانيةً من

ظروف مأسوية، قد روت رواية بانورامية شاملة لحوادث حياتها. وهناك بحّارة غارت سفينتهم في البحر، وراحوا يعومون وحيدين ضائعين طوال أسابيع على زوارق صغيرة، قد وصفوا الهلوسات التي أوهمتهم بأنهم قد أنقذوا، وأحياناً على يد كيانات شبيهة بكيانات عادية، أو بأشباح أو بأرواح. ويشتمل كل هذا على تزويده بتشابهات غامضة مع " الكائن النوراني " أو مع أرواح المتوفين الذين صادفهم على طريقهم الكثير من الأشخاص الذين استجوبتهم.

هناك ظاهرات يتم الشعور بها حين الاقتراب من الموت وتلبث أيضا في تجارب الانعزال: تشويهات معنى المدة الزمنية، الشعور بالانسلاخ عن الجسد، مقاومة فكرة الرجوع إلى الحياة الحضارية، أو فكرة مغادرة الانعزال، والشعور بالاندماج في " وحدة " مع الكون. وبالإضافة إلى هذا، كثيرون هم الذين قد مرّوا بتجربة الانعزال في أعقاب غرق السفن في البحار (أو بظروف أخرى متعادلة) ويقولون إنهم، بعد أن عاشوا في مثل هذه الظروف طوال عدة أسابيع، قد رأوا رجوعهم إلى المجتمع المتحضر مشفوعاً بانقلاب عميق لمقياس القيم. وأحياناً ما أضافوا أنهم شعروا، فيما بعد، بالمزيد من الصفاء لسريرة ذهنهم. وليس ثمة شك في أن هذا الاندماج المتجدّد للشخصية يقترب جداً من الاندماج العائد الذي يصفه عدد لا يستهان به من البشر الذين انكفأوا من " مواتهم " إلى حياتهم الدنيوية.

وهكذا أيضاً، فإن بعض مظاهر الظروف حيث يتواجد " المواتيون " تذكّر كثيراً بالظروف المصاحبة للتجارب (التي يتم تحمّلها أو يتم إحداثها) لدى المنعزلين. والمرضى المشرفون على الموت غالباً ما يلبثون منعزلين ومثبّتين دون حراك في قاعات الإنعاش داخل المستشفيات، وحيث تُخفض الأضواء وتُخفف الضجّات، وحيث تُحظّر الزيارات العائلية. وقد يسعنا أيضاً التساؤل هل التعديلات الفيزيولوجية التي تصاحب انحطاط طاقة الجسد ليست بحد ذاتها قادرة على إنتاجها شعوراً عميقاً بالانعزال، إذ

تتسبّب بانقطاع تام تقريباً عن جميع الإحساسات التي ترد إلى الدماغ. بل هناك أزودُ من هذا: فكما لاحظنا سابقاً وخلال ردح طويل، ثمة العديد من الأفراد الذين رووا لي انطباعاتهم المُقلقة عن الانعزال، والوحدة، والقطيعة عن كل اتصال بشري، ألا وهي الانطباعات التي شعروا بأنها تجتاحهم حين كانوا ينسلخون عن أجسادهم.

أجل من الأكيد الثابت أنّه يتسنّى لنا انتقاء بضع حالات حدودية cas limites قد يعسر تصنيفها في تجارب " المَوَاتيين " أحرى مما تكون في تجارب الانعزال فمثلاً: ثمة رجل قد أفضى إليّ بالقصة التالية وقد عاشها في أحد المستشفيات إبان إصابته بمرض متفاقم فقال:

<< كنت مريضاً وعلى خطر داهم، داخل المستشفى، ومضجعاً في سريري، ولم أنفكّ عن مشاهدتي صوراً تأتي إليّ وكأنها على شاشة تلفزيونية. وبقِيت تُمثّل أناساً، وشاهدت شخصاً يقترب، وكأنه يتموضع في حيّزٍ على بعض مسافة مني، وراح يمرّ فيحل مكانه شخص آخر. ولبثت على وعيٍ تام بكوني في المستشفى، مريضاً، بيد أني طفقتُ أتساءل ما يعني كلُّ ما أراه. وما بين الأفراد الذين شاهدتهم يمرون، كنت أعرف البعض منهم شخصياً – من أقارب أو أصدقاء – لكنني لم أعرف أي واحد سواهم. وأدركت فجأةً أن جميع الذين عرفتهم سبق لهم أن قضوا نحبهم. >>

في أية فئة نموضع هذه التجربة ؟

إنها تنطوي على نقاط مشتركة، على السواء مع القصص حول الانعزال، ومع شهادات عن "المَوَات " [أي: الموت المؤقّت]. وهي تذكّر بصلات " المَوَاتيين " الذين يذكرون التقاءهم بأرواح الموتى، غير أنها تتمايز عن ذلك بكون أية ظاهرة أخرى للاحتضار تجد لها موضعاً في هذا الأمر. وبما يكفي من الغرابة، في تقرير عن الانعزال، ثمة مريضٌ قد أمضى بعض الوقت في العزلة داخل غرفة فردية، يُخبرنا عن بعض

الهلوسات حيث شاهد صوراً لرجال ذائعي الصيت تمرّ قربه. وبالتالي، هل يلزمنا اعتبار الشهادة السابقة كتجربة منازعٍ من جرّاء خطورة مرضه القصوى، أو كتجربةٍ يعود سببها إلى الانعزال، بسبب ظروف الانفراد التي فرضتها حالته الخاصة ؟ من الممكن تماماً ألا يتيح أيُّ معيار مُطلق إجراء تمايز قاطع ما بين هاتين الفئتين. ولربما تلبث هناك دائماً حالاتٌ حدودية.

مهما يكن من أمر، وبالرغم عن هذه التداخلات، لا تزال نتيجة البحوث حول الانعزال غير كافية، لتزويدنا بشرح يُرضينا حول تجارب " المَوَات ". وبادئ ذي بدء، إن شتى الظواهر المصاحبة للانعزال لا تجد هي ذاتها شرحاً لها في أي علم باللاهوت قائم حالياً. ومن المحتمل أن اللجوء إلى الدراسات حول الانعزال لكي نشرح تجارب " المواتيين " (وبدقة كما فعلنا لتونا بالنسبة إلى الهلوسات التي تُشاهد مُشاهَدةً ذاتية autoscopiquc) قد يغدو لجوءاً ساذجاً يسعى إلى إحلال سرّ غامض بدل سرّ آخر.

فثمة تياران فكريان على تعارض ويلبثان متنازعين حول طبيعة الرؤى التي تشفع وتصاحب الانعزال. ويعتبر البعض هذه الرؤى " لا واقعية " أو " هلوساتية "، فيما بقي، طوال غضون التاريخ، صوفيون وشاما نيون [دعاة عبادة الطبيعة والقوى الخفية] يطلبون الانعزال في الصحراء، متوخين حصولهم على استثارة الوحي وإشراقه. وإن المفهوم الذي يقول بنهضة روحية يمكن اقتناؤها في الانفراد والانعزال، هو مفهوم يشكل جزءاً ملازماً للعقائد الدينية المنبثقة عن التقاليد جمعاء، وهو مفهوم يلبث في غالبية الكتب الدينية، ولا سيما منها " كتاب " العهد القديم.

رغم أن هذه الفكرة تبدو غريبة بعض الغرابة، لدى بنياتنا الذهنية في " الغرب "، لكنها تلقى العديد من المدافعين عنها وحتى داخل مجتمعنا الراهن. وإن جون ليلّي John Lilly، الدكتور في الطب، هو أحد أوائل

الباحثين الذين تناولوا دراسة الانعزال، وفي آن معاً، هو أحد أوفرهم نفوذاً، وقد نشر أخيراً كتاباً يشكل نوعاً من السيرة الذاتية الروحية تحت عنوان " مركز الإعصار The Center of the Cyclone ". وأثبت، في هذا المؤلَّف، بجلاء الإثبات ووضوحه، أنه يعتبر الظواهر التي عانى منها ذاتياً، حينما وضع نفسه في ظروف الانعزال، كتجارب استنارة ورؤيا جوّانية intérieure، وليس مطلقاً كأوهام أو مجرد تخيلات محضة [فانتازما: phantasmes] لا حقيقية. ومن المجدي أيضاً معرفتنا أنه دوّن اقتراباً من الموت قد كان معنياً به ذاتياً، وأن شهادته كاملة التشابه بالشهادات التي تمكّنتُ من جمعها. وعلاوةً على ما سبق، قد وضع تجربته " المَواتيّة " في الفئة ذاتها مع تجارب انعزاله. وزبدة القول، هي أن هذا الانعزال، كما هو استخدام المخدّرات منبع الهلوسات، والإصابات الأولى "بالمَوات"، هو انعزالٌ من الممكن ألا يغدو سوى وسيلة من بين وسائل سواها تتيح الارتقاء إلى مستويات جديدة من الوعي والإدراك.

أحلام اليقظة، هلوسات، زيغانات

لعل البعض سيقولون إن تجارب " الموات " ليست سوى أحلام يقظة أو تعابير عن رغبات دفينة أو مجرد تخيلات بحتة [فانتازما]، أو هلوسات تنجم عن أسباب متنوعة - سوء استخدام المخدرات في حالة ما، أو تقصير دماغي anoxie cérébrale في حالة أخرى، أو عدم إدراك حسّي aperception في حالة ثالثة، وهلم جرّا ... وقد يُفسّر كل شيء، بالتالي، بوسيلة ألفاظ تعني الاضطرابات والزيغانات aberrations.

حسب رأيي الشخصي، هناك عدة عوامل تعارض بوضوح هذه الأطروحة، أولاً، لا بد من أخذنا في الحسبان جميع التشابهات التي دُوّنت في الحوادث المروية وفي سيرورتها المتنامية قُدُماً progression، وذلك رغم أن ما يمثّل في أغلب الأحيان لا يتطابق بوجه جليّ مع الأفكار الشائعة، في وسطنا، حول ظروف الموت. ومن جانب آخر، ندرك أن

اللوحة التي شُكلت بهذه الطريقة، وكما تتوضح من هذه الأوصاف، هي لوحة تُكرّرُ بصورة مدهشة اللوحة التي تقدمها مؤلفات قديمة العهد جداً سرّية وباطنية جداً، ويجهلها تماماً الأفراد الذين أعنيهم.

وما يبقى، هو أن الأشخاص المعنيين هنا غير مصابين بأمراض نفسية، psychoses، بل على نقيض هذا، قد تركوا لي تأثير أشخاص أسوياء متوازنين ذهنيّاً، وعاديين، ومندمجين في المجتمع اندماجاً حسناً. ويزاولون مهناً، ويشغلون مراكز هامة، وينهضون تماماً بمسؤوليات مهامهم. وقد أنشأوا أسراً ثابتة ويقيمون صلات جيدة مع عائلاتهم، وأصدقائهم. وأيٍ واحد من هؤلاء الذين قابلتهم، تقريباً، لم يختبر أكثر من مغامرة واحدة مجاورة لما هو طبيعي paranormale، في غضون حياته. وأخيراً، وعلى نحو جلي بمقدار كامل، إنهم أُناسٌ يعرفون التمايز ما بين حلم اليقظة وحالة السهر.

غير أن هؤلاء الأفراد، حينما يَرْوُون ما جرى لهم عند اقترابهم من الموت، لا يتصرفون وكأنهم يروون حلم يقظة، بل يتصرفون كما يفعل إنسان يروي وقائع قد حدثت في حقيقة الواقع. وخلال روايتهم، وبصورة ثابتة، تقريباً، كانوا يقاطعون حديثهم لكي يؤكدوا صحة تجربتهم بأنها ليست أحلام يقظة، بل، بكل تأكيد، هي الواقع الحقيقي بشكل قاطع.

وأخيراً، ثمة أيضاً واقعة القصص حول بعض تجارب الانسلاخ عن الجسد، وهي التي تمّ إثباتها بمقابلتها مع شهادات مستقلة تماماً. ورغم الالتزامات التي اتخذتها وتحظّر عليّ الإدلاء بأسماء وتوضيح بضعة تفاصيل، فما رأيتُه وسمعتُه يسوّغ لي قولي إني لا أزال مفاجأً بل منذهلاً من ذلك. وألبثُ على كامل القناعة من أن أي إنسان سيتوخى التفحّص المنهجي لملف تجارب " المَوَاتيين " سيجازف، هو أيضاً، بأنه إزاء تأكيدات غريبة عن الوقائع التي يتم الإدلاء بها. وأقلّه، أعتقد أنه سيجد

يكفي من التقاطعات لكي يتساءل إن كانت هذه التجارب - بدلاً من كونها أحلام يقظة - قد لا تنتمي، في نهاية المطاف، إلى فئة سواها تماماً.

على سبيل ملاحظة نهائية، أرجو السماح لي بالتشديد على أن شتى أنواع التفاسير التي ردّدتُ صداها لا تنحصر في كونها منظومات ذهنية مطلقة. فهذه التفاسير تشكل أيضاً، بمقدار ما، إسقاطاتٍ للـ " أنا " من قبل أفراد يقترحونها. فكل واحد يتشبث، نوعاً ما (بوجهة آراء عاطفية) بقوانين الشرح العلمي التي يقرّرها وينتمي إليها.

إن المحاضرات العديدة التي ألقيتها في معرض مجموعتي الاستشهاداتية قد جعلتني ألتقي بأصحاب أوفر الحلول تنوعاً. فحسبما يكون ذهن المرء ينحو إلى السيكولوجيا، أو إلى الفارمكولوجيا أو العصبولوجيا، فسوف يستحوذ عليه إغراء استحصاله، من كل المنابع هذه، على حجج ستظهر، بوجه حدسي، حججاً حاسمةً، فيما تبدو الحالات المعروضة على إقصائها كل تفسير من هذا القبيل. وإن أتباع نظريات فرويد Freud يستمتعون برؤيتهم في " الكائن النوراني " إسقاطاً لـ " والد " الشخص المعني، بينما يجد تلاميذ السيكولوجي يونغ Jung في ذلك نماذج الوعي الجماعي القديمة archétypes، وهلم جرّاً ...

مع أنه لا بد لي من التأكيد، مرّةً أخرى، على أني لا أسعى بتّةً إلى تقديمي هنا تفسيراً جديداً من ابتكاري الشخصي، بل قد حاولت الإدلاء بالأسباب التي تجعلني أعتبر أن التفاسير التي غالباً ما اقتُرحت علي، تلبثُ شروحاً تطالها المشاققة والجدال. وما أودّ اقتراحه هو، في الواقع، ما يلي: هيا بنا نحافظ على الروح المنفتح على الفكرة التي تقول إن تجارب " المواتيين " عسى أن يكون بمقدورها تشكيل ظاهرة فريدة أصيلة، ويلزمنا لدراستها أن نطبق نهوجاً وطرقاً جديدة لشرحها وتفسيرها.

الجزء السادس

انطباعات

ما كنت أجهل بتّةً، وأنا أحرر هذا الكتاب، أن أقوالي ومقاصدي قد تظلّ تُفسّرُ تفسيراً غالطاً. وأود، على الخصوص، أن يعلم تماماً هؤلاء الذين سيقرؤون كتابي هذا بروح علمية، إدراكي الكامل أني لم أُقدّم، في غضون هذه الصفحات، دراسة " علمية " بتمام معناها. وأتوجّه هنا إلى زملائي الفلاسفة، مُحبّي الحكمة وأصحابها، متشبثاً بإعلاني أني لست على أي ادعاءٍ وهمي بأني أتيت "بالبرهان" أن ثمة حياةً عقب الوفاة. ولكي أعالج موضوعاً كهذا معالجة معمقة، قد توجب عليّ أن أتناول مناقشةً لعدد وافر من التفاصيل التقنية التي تتجاوز إطار هذا الكتاب. وسوف أكتفي، بالتالي، ببعض الملاحظات التالية.

في الفروع العلمية المختصّة كمثل المنطق، الحق، العلم، لا تزال الكلمات: نتيجة، برهنة، استدلال، تقنتي (بصفتها مصطلحات تقنيّة) دلالاتٍ ومعاني أوفر دقة بكثير مما في اللغة العادية. ففي المحادثات اليوميّة، تُستخدم هذه الألفاظ استخداماً أوسع حريةً بكثير. وبنظرة عابرة وسريعة على المجلة الشعبية الأولى التي نقع عليها لإثارة إحساسنا، نلحظ

أن أية قصة مذهلة تماماً قد تُقدّم بمثابة برهان على أي تأكيد تبتكِرُهُ براعة الخيال.

في صدد علم المنطق الفلسفي، ما نستطيع، أو لا نستطيع، استنتاجه من مقدّمات منطقية prémisses ليس قطعياً من أمور الصدفة، فإن آلية الاستدلال تعرّفُ بدقة حسبما تقتضيه القواعد، والاتفاقات والقوانين. وإن قلنا إننا خلصنا إلى هذه النتيجة أو تلك، فنحن نضمّن بذلك أن أيّ فرد ينطلق من هذه المقدّمات عينها، لا بد له من بلوغ نتيجة متماهية، إلا إن ارتكب ضلالاً منطقياً.

وهنا تماماً يكمن السبب الذي يدعوني إلى الامتناع عن خلوصي إلى نتائج من الدراسة السابقة، وإلى تأكيدي أنني لا أتوخى هنا البتّة إقامة برهنة على السبب الأكيد للاعتقاد القديم حول بقاء الحياة بعد الوفاة. إلا أني أَعتبر هذه الشهادة الواردة من أناس شاهدوا الموت بمثل هذا القرب **هي شهادات تنعم بقيمة دلالية عظيمة**. وما أسعى إلى فعله، هو أن أمنحهم تفسيراً قد لا يتورط في إحدى المغالاتين المتناقضتين، ومنهما واحدة تقوم على رفضها جملةً وتفصيلاً بحجة أنها لا تزودنا بأي برهان علمي أو منطقي، والثانية منهما تقوم على نسبتها إلى هذه الشهادات طابعاً مثيراً للإحساسات، وتعلن بنفس المقدار من الغموض والمشاعر أنها تأتي " ببرهنة " على بقاء الحياة عقب الموت السريري المادي.

من جانب آخر، من الممكن تماماً كما يبدو لي، أن عجزنا الراهن عن إثبات كذا برهنة لا يُعزى مطلقاً إلى عائق ملازم للطبيعة ذاتها الخاصة بهذه الظواهر، وإن هذا العائق قد يتموضع في النهج والطرق المقبولة عموماً على صعيد الفكرة العلمية أو المنطقية. ولا يستثنى أن التطلّعات المستقبلية لدى العلماء والمنطقويين المُقبِلين لا يطرأ عليها بعض التعديلات. (ومن المجدي تذكّرنا بأن الميتودولوجيا [علم المنهجية

المطبقة على العلوم وعلم المنطق، طوال مجرى التاريخ، لم تكن منظومة مستديمة وقائمة دون هوداة، بل لبثت تتابعاً لسيرورات دينامية وتطورية).

بالتالي، ها أنذا مــزوّد، لا " باســتنتاجات " ولا " باســتدلالات " ولا " ببرهنات "، بل أظلُ مزوّداً بِحِملٍ أقل تحديداً بكثير، ألا وهو: انطباعات، مسائل، تشابهات، وهواجس وقائع تحتاج الكثير من السعي إلى تفسيرٍ ما. وبدلاً من مطالبتي بخلوصي من الدراسة باستنتاجات، فقد يكون مزيد من الحكمة أن أسأل بأي شيء أثّرت فيَّ شخصياً هذه الدراسة. وإليكم كل مـــا بوسعي أن أجيب به: في واقعة مشاهدتي فرداً ما يرويِ لي تجربته، **هناك شيءٌ مقنع جداً** ومن العسير أن أنقل فكرةً عنـــه بتحريـــري نـــصاً مـــن النصوص. وفي رأي جميع هؤلاء الناس، قد كانت تجاربهم، عند تخـــوم الموت الدائم، حوادث حقيقية جداً، وفي غـــضون اتـــصالاتي بهـــم، **قـــد أصبحت هذه الحوادث تتسم بجمٍ من حقيقة الواقع في نظري أنا.**

لا أشك في وعيي التام أن هنا بالذات اعتباراً شخصياً كاملاً لا يمـــت بالمنطق بأيّة صلة. فالمنطق ينهض بطابع شمولي: وليس الأمر على هذا المنوال في رأي السيكولوجيا: ويستطيع تسلسل هـــو ذاتـــه فـــي بعـــض الظروفِ أن يُحولَ فرداً وينال منه بطريقة من الطرق، وأن يُحوّل فـــرداً سواه بطريقة مختلفة تماماً. ومن ثمّ، لا أزعم مطلقاً أن ردّ فعلي الشخصي حيال هذا الاستقصاء لا بد من تنصيبهِ، بصفته قانونـــاً تـــستخدمه جميـــع أشكال الفكر الإنساني.

وفي هذه الظروف، سيعارضني بعض الأفراد بقولهم:

<< إنْ كانَ تفسير هذه التجارب والخبرات، في آخر المطاف، أمـــراً شخصياً وحسب، فعندئذٍ ما هي الجدوى من كل هذه الدراسة ؟ >>

لا أتصور طريقة أخرى للإجابة على هذا السؤال سوى تذكيري مرّةً أخرى أيضاً **بالقلق الإنساني والشامل إزاء سرّ الموت الدائم**. وأعتقد أن

أدنى نور يُسقط على طبيعة " الموات " هو نور ليس من الممكن أن يغدو سوى خير للجميع.

من المحتمل أن تصير بعض التوضيحات مُبشّرةً بجدوى لأعضاء العديد من الفروع الأكاديمية ومهن أخرى. فهي تلبّي احتياجات الطبيب حين ينبغي عليه مجابهة الهواجس، وآمال المحتضرين، واحتياجات الكاهن الذي يتوجب عليه مساعدة مريض على وشك الموت، وما يحتاج إليه أيضاً السيكولوجيّون وأطباء الأمراض النفسية، وذلك لأنه (لكي نواجه نهجاً علاجياً عملياً وآمناً ولكي يُشفى المرء من الاضطرابات الانفعالية) من الضروري أن نعرف ما هو الروح، وهل من الممكن وجوده خارج الجسد. وإذا لم يكن هذا الأمر ممكناً، فلا بد للعلاج السيكولوجي، في الحال، أن يتركّز بوجه نهائي على طرق فيزيائية كمثل: العلاجات الطبية، والصدمات الكهربائية وعمليات جراحية في الدماغ، وما يشابه ذلك. وعلى نحو معاكس، **ثمة دليلٌ ما يشير إلى أن الذهن بمقدوره التواجد خارج الجسد**، [والذهن إحدى ملكات الروح !] فيقتني جوهراً خاصاً به، وفي هذه الحال ينبغي على علاج الاضطرابات الذهنية أن يندفع داخل مسلك مختلف تماماً.

مهما تكن الأمور، تتدخل هنا اعتباراتٌ تتعالى وتسمو فوق مظهر الأمور الأكاديمي أو المهني. وتتّهم هذه القضية بعمق ردود أفعالنا الشخصية، لأن كل ما سوف يتاح لنا أن نعرفه حول الموت بوسعه أن يأتينا بتعديلات هامة في طريقة عيش حياتنا. وإن كانت التجارب من نوع ما سبق لنا أن علقنا عليه هي تجاربٌ تنتمي إلى حقيقة الواقع، فهي تتضمّن تورطات ذات عمق بعيد جداً من حيث ما ينبغي على كل واحد منا القيام به، وحيال وجوده [على قيد الحياة وعقب الحياة]. فعندئذ عسى يكون من الصحيح قولنا إننا لن نفهم أبداً معنى هذه الحياة حتى نتمكن مسبقاً من إدراكنا ما سوف يأتي عقب حياة الإنسان في جسده الماديّ.

ملحق إضافي

حـول الانتحـار

انقضى أكثر من عام على إنجاز هذا المخطوط وصدور طباعته. وفي تلك الغضون قد لفتت انتباهي معلومات إضافية وافــرة. ولا أزال أعلــق أهمية خاصة جداً على شهادات تعني ظواهر تقارب الموت وتــنجم عــن محاولات الانتحار. واعتبرها تُدلي بدلالات كافية لكي أخصص لها حيّــزاً في هذا المجلد الراهن.

كانت هذه التجارب تشتمل على طابع مشترك، أعني طــابع كونهــا مكدّرة. وكما قالت لي هذا إحدى النسوة: **<< إن غــادرتَ هــذا العــالم ونفسكَ معذّبةً، فستغدو نفساً معذّبةً في العالم الآخر. >>**

بموجز القول المختصر، يأتينــا الــشهود بــأن أوضــاع النزاعــات والخصومات التي حاولوا التملص منها بوسيلة الانتحار، كانت أوضــاعاً تجد امتداداً لها عقب " المَوْت "، ولكنْ، مع المزيد من الأمــور المعقّــدة. وفي حالة انسلاخهم عن أجسادهم، لبثوا يرون أنفسهم عاجزين عن حــل مشكلاتهم، وظلوا أيضاً يتكبّدون النتائج الرديئة التي استبقتها أفعالهم.

هناك رجل أفضى به موت زوجته إلى اليأس، فانتحر مُطلقاً على نفسه عياراً نارياً " فمات " من جرّاء جُرحه، ثم أُعيد إلى الحياة، وصرّح بما يلي:

<< لم أتمكن من اللحاق (بزوجتي). ومضيت إلى داخل مكان كئيب (...). وفي الحال أدركت الضلال الذي ارتكبتُه (...). وقلت لنفسي: " كم أنا آسف لأني انتحرت. >>

وثمّة آخرون، تَرتّبَ عليهم أن يعانوا من هذه الحالة العصيبة في " اليَمْبُس " [مكان مكوث الأرواح بعيداً عن الفردوس]، وقالوا إنهم شعروا بمكوثهم هناك لردح من زمان مديد، ولبثوا هكذا يؤدون ثمن " مخالفتهم القواعد الإلهية "، إذ أقصوا أنفسهم باكراً عن ما كان يشكل " مهمّةً " – ألا وهي التقيّد بغائيةِ للحياة البشرية.

إن كذا ملاحظات تتوافق مع ما قاله لي أفرادٌ آخرون سبق لهم أن " ماتوا " في ظروف مختلفة، بيد أنهم أكّدوا على أنهم – خلال مرورهم بما بعد الحياة – قد فهموا أن الانتحار فعلةٌ مخالفة جداً لما يتوجّب فِعلُهُ وتستوجب عقوبات قاسية. وإن رجلاً " مَوَاتياً " في أعقاب حادثة مميتة قال:

<< (حينما تواجدتُ في الجانب الآخر) [من الحياة]، حظيت بشعوري أن أمرين سيُحظران علي تماماً: الانتحار وقتل إنسانٍ ما (...). وإن أقدمت على الانتحار فَسَيُمْسي ذلك مشابهاً لرفضي هبة "الله" وأنا أقذف هذه الهبة على محيّاه (...). وإن قتل إنسان آخر، إنما هو اعتراض للخطة التي أعدّها "الله" لهذا الإنسان الذي خلقه " الله ". >>

إنّ حُدوساً كهذه قد تم إبلاغي بها مرات عديدة، وتلبثْ، في الوقت الحاضر، تُكرّر بدقة المشاعر التي أُعرِب عنها في الحجة اللاهوتية والأخلاقية الأقدم والتي تدين الانتحار، وهي حجة تَظهر تكراراً بأشكال

متنوعة في مؤلفات أصحاب الفكر كالقديس توما الأكويني ولوك، وكانط. وحسب رأي كانط، يقوم الانتحار بفعله مناهضاً مقاصد " الله "، ومتى يبلغ المنتحر العالم الآخر، سوف يُقضى عليه متمرّداً على مشيئة " خالقه ".

الملحق الثاني للمترجم

<u>القصة الأولى</u>[١٠]

قرأت ذات يوم قصة غريبة جداً في مجلة " العلم والحياة " الفرنسية وكان الأمر يعني إنساناً أمريكياً وَهَبَهُ " الله " تعالى قوة بصرية تفوق المعتاد. فاقترح عليه أحد الأصدقاء يمتهن الطب البشري أن يتبرع بعينيه إن فقد الحياة فجأة فقَبِل وتبرّع بهما. وقد حدثت المفاجأة وقضى نحبه وأقرّ طبيب العائلة بأنه قد مات. وبما أنه قد سبق له التبرع بعينيه، تم الاتصال بمستشفى العيون، فهرع أحد الأطباء إلى منزل المتوفي وعقب الفحص الدقيق أقرّ بأن الرجل فارق الحياة حقاً.

نُقلت الجثة بسرعة إلى المستشفى. واجتمع أطباء حولها وأعادوا الفحص بدقة ولا سيما تفحّص ذبذبات التيار الدماغي فإذا الفحص يبدي خطاً مسطحاً تماماً. ولبث القلب على سكون كامل فشرع الطبيب المختص باستئصال العيون يتهيأ لإجراء عملية سلخ العينين من حجرتيهما. وارتدى لباسه الأبيض ووضع الكمامة على فمه واستدعى ممرضة لمساعدته. وعندما قرّبَ المبضع من العين اليمنى شعر بأنها على اختلاج خفيف. فارتدّت يده منكفئة إلى صدره وصاح: " إنه حي ! إنه حي ! ".

---

[١٠] كما وعدت المطالع الكريم في كلمتي الاستهلالية أورد هنا أربع قصص تروي لنا أموراً مشابهة جداً.

وحقاً كان حياً وعاش سنين مديدة !

القصة الثانية

وهذه القصة استقيتها من مجلة فرنسية لربما هي أيضاً " العلم والحياة " الفرنسية. وقد رواها سائق تكسي في أمريكا أيضاً، فقال ما يلي:

في يوم بارد قارص، وخلال الهجيع الأول من الليل كنت عائداً في سيارتي إلى منزلي والثلج يندف على غزارة شديدة. وقبل وصولي إلى بيتي بقليل، ذهلت حين شاهدت امرأة على الرصيف تستنجد بي فهرعت إليها وفتحت لها باب السيارة وإذا بها على ارتعاش شديد جداً من جرّاء الطقس الرديء ولربما من الخوف. فخلعت ترانشكوتي وألبستها ثم عدت أقود السيارة مستفهماً منها إلى أين؟ فقالت إنها تسكن قريباً مِنْ ذاك المكان الذي كان بالصدفة في الحي حيث أسكن. وبعد قليل قالت لي أن أتمهل وأشارت بيدها إلى منزلها وكان مضاءً ويبتعد عن الرصيف عبر حديقة لم تكن قريبة. فنزلت وقالت لي أنها آسفة، فليس معها أية عملة لتدفع الأجرة. فقلت لها لا بأس عليك واتركي الترانشكوت عليك وغداً سآتي إلى منزلك ونتدبر الأمور. فذهبت بتأنٍ خوفاً منها أن تنزلق على الثلج.

في اليوم التالي، كان الجو صحواً والشمس مشعشعة فذهبت إليها قبل الظهر وقرعت باب منزلها. فانفتح وظهرت سيدة ترتدي فستاناً أسود، ووجهها ممتقع تماماً. فقلت لها أن تدعو السيدة فلانة لكي استرد ترانشكوتي. وإذا بها تصيح قائلة إني على هبل وجنون. فتراكض الجيران علي يسألوني عما يُحدِث الصراخ. فقالت لهم إني أطلب السيدة فلانة. فدفعوني داخل المنزل وإذا بي أرى صورة فلانة على الحائط مقابل الباب وقد وضعت إشارة الحداد عليها. فقلت إنها كانت معي في التكسي في ظروف صعبة جداً فأوصلتها إلى الحديقة وهي ترتدي ترانشكوتي ولم تدفع لي الأجرة ولست بطالب بها. وأريتهم بطاقتي الشخصية وبطاقة السيارة. فشعر الجميع أن هناك أمراً غريباً فاستدعوا شرطة الحي،

وعندما أتى رئيس الشرطة المسؤول، بادر بالسلام علي وقال لهم: " إنـــي أعرفه تماماً وليست له أية مشكلة طوال خدمته فما هو الأمر ". فرَويــت عليه القصة كاملة. فارتأى أن نذهب إلى المقبرة ونستفقد مــدفن العائلــة. وهكذا حدث !

لما وصلنا إلى المدفن دُهشت العائلة من أن المــدفن مفتــوح ومــن المفروض أن يكون موصوداً. وولَجَ البعضُ منا مع رئيس الشرطة إلـــى داخل المدفن وكان تابوت إلى يسارنا فقالوا هذا هو تابوت السيدة فلانـــة، واندهش الجميع ثانيةً إذ وجدوا غطاء التابوت غير مقفل تمامـــاً فرفعـــوه. وإذا بالسيدة فلانة مضجعة فيه ومرتدية ترانشكوتي لكنها ميتة !

والراوي الأول لهذه القــصة كـــان محـــرر المقـــال ودكتـــوراً فـــي السيكولوجيا. وقد استنجد بالقراء سائلاً إياهم أن يُبدوا رأيهم حول ما جرى لتلك السيدة ... لكنه أدلى برأي له قد أدهشني أنا المترجم، إذ قال إن نسبةً تتراوح ما بين ٦ – ٨ % من الأموات، يموتون في قبورهم لا خارجهـــا وحتى في البلاد المتطورة !

القصة الثالثة

روى لي هذه القصة أحد الكهنة الأفاضل المنزهين عن كـــل كـــذب وتدجيل، وعقب أن أخبرته بمضمون هذا الكتاب الذي لبثت آنذاك على قيد ترجمته وقال لي ما يلي:

يا أخي هذه أمور ليست غريبة تماماً ودعني أروي لـــك مـــا حـــدث لقريبة من أقاربي: كانت تعاني من أوجاع كلية من كليتيها. وبعد الفحـــص بالأشعة تبين وجود رمل وبحص في الكلية وطلبت السيدة أن تجرى لهـــا عملية لإنقاذها من آلامها المبرحة وهكذا كان.

وعندما كانت في طور الجراحة، استؤصلت كليتها التي تعاني منهـــا السيدة، وكانت الكلية على وضع سيّء حسب رأي الأطبـــاء المـــشاركين.

وفيما هم يتشاورون كفّ قلب السيدة عن الخفقان وأمسى خط نشاط الدماغ مسطحاً فقالوا إنها قد ماتت. لكن أحدهم اقترح عليهم أن ينزع ما في داخل الكلية ويغسلها ويعيدها إلى مكانها، فقد يؤول ذلك إلى إنعاشـــها. وعقـــب تَرَدُّد لم يطل كثيراً وافقوا على هذه العملية وهكذا كان وأُعيدت الكلية إلى جسدها.

كم كانت دهشتهم عظيمة عندما شاهدوا خط الدماغ أخذ يتذبذب شـــيئاً فشيئاً، فدمعت عيونهم وارتعشت قلوبهم وأخذوا يهنئون بعـــضهم بعـــضاً. وعقب عدة ساعات أفاقت السيدة من نطاق التخدير وكان الطبيب صاحب الاقتراح إلى جانبها. فأول ما قالت له: " هل نظفت كليتي كما يجـــب ؟ " فانذهل من هذا السؤال وقال: كيف عرفت ذلك ؟ فأجابت كانـــت روحـــي عند سقف غرفة المعالجة وكنت أراكم وأسمعكم وقد تتبعت كل ما فعلتموه وقلتموه ورأيتك عند المغسلة تغسل كليتي !

القصة الرابعة

استقيت هذه القصة الرابعة من محطة تلفزيونية متخصصة بالـــشؤون الروحية والدينية، وهنا أمر قد لا يُبقي الكثير من الثقة بواقعية ما سأرويه، لدى أخوتنا الملحدين أو أصحاب الشكوك الدائمة. ولكن، حـــسب قنـــاعتي أروي لكم ما يلي: ظهرت على الشاشة سيدة في الأربعـــين مـــن العمـــر وبدأت تقول إنها كانت رديئة الحظ. فعندما كانت صغيرة قيل لها إنها أتت إلى العائلة دون رغبة من والديها.

وبدءاً من طفولتها لاحقها حظها السيّئ، فَحُرِمَتْ من العطف والـــدلال والرعاية الحسنة طوال طفولتها ومراهقتها وشبابها حتى شعرت ذات يوم أن شاباً طفق يحبها فأحبته بدورها وتزوجا. ولكنه أساء تصرفه معها قبل الزواج وعقبه ورغم أنها أنجبت منه طفلة لم تكن في صحة جيدة تماماً.

تفاقمت أوضاعها تفاقماً مُطّرِداً، وأخذ اليأس يتسلل إلى سريرة كيانها. وطفح الكيل ذات يوم حتى أفضى بها اليأس إلى تصميمها على الانتحـار. فهرعت إلى خزانة ثيابها باحثةً عن مسدسها. وراحت تبحـث عنـه دون جدوى. وعندما لم تجدهُ تحت تصرفها، انهارت على الأرض باكية ناحبة مولولة وهي تجدّف بقولها إن " الله " هو أيضاً لا يحبها ولا يريد خلاصها من عذابها المستديم. ولكن، طرأ على بالها حل قـد يـأتي لهـا بـبعض الانفراج. فمضت إلى مستشفى الحي المختص بالعـصبولوجيا [أي العلـم بالأمور العصبية].

وما أن دخلت حتى استقبلها شاب يرتدي ثـوب الأطبـاء الأبـيض. فرحّبَ بها واستفهم عن مشكلتها وراحت تروي له بعض مآسـيها باليـةً منتحبة. فأخذ يعزيها بكلمات لطيفة مؤنسة وبغتة، لأجل التـرويح عنهـا، طلب منها أن تنظر إلى الجدار المقابل لجلستهما.

وإذا بها ترى على الجدار شاشة كشاشة التلفزيـون وأخـذت بعـض الصور تتالى عليها مظهرة بداية حياتها منذ ولادتهـا فـرأت أمهـا بعـد ولادتها ثم تسلسلت صور طفولتها ومراهقتها وزواجها وصور إخفاق هذا الزواج في صور أنيقة قزحية نافرة تذهل المشاهد وأذهلتها بشدة فصاحت بالطبيب مستفهمة كيف تمكن من فعل كل ذلك. فأجابها أنه يهتم بها منـذ زمان طويل ولن يتخلى عنها في محنتها. فأصرت مستفهمةً عن شخصيته الغريبة المذهلة فصاحت به: من أنت قل لي أيها الإنسان الغريب ؟ فقـال لها: << أنا يسوع المسيح ! >> وأنه استقبلها بعد أن أخفى المسدس عنها، لكي يؤكد لها أنه يراقبها ولن يتخلى عنها فهو يحبها كمـا يحـب جميـع الضعفاء والمعوزين إلى النجدة السماوية. فانتعش قلبها بكلمات عزائه لها وأخذت تبكي فرحاً وعندئذٍ غاب عن عينيها واختفت الشاشة عن الجدار.

وأصبحت تلك المقابلة مع السيد المسيح بداية حياة جديدة تتقبلها بكامل ما فيها من سرّاء وضرّاء!

المحتويات



الحياة مابعد الحياة

"حدث لي ذلك إبان ولادة أحد أطفالي . فقد كانت عملية الولادة شاقة جداً واعتراني نزيف شديد . وسبق للطبيب ان عدل عن إنقاذي (---). وعندئذ ادركت وجود جماعة من أناس يحومون عند سقف غرفتي، وكان جميعهم افراداً كنت أعرفهم في السابق وقد انتقلوا إلى الحياة الأخرى . وكانت اللحظة تلك رائعة بسنى إشراقها "

في كل مكان من العالم ثمة آلاف من الناس قد نجوا من هذا الوضع ويُدلون بشهادات كهذه تُربك الأذهان وتثير فضوليتها وغالباً ما يلبث هذا السيناريو هو ذاته ، فالإنسان الذي يُعتبر ميْتاً على الصعيد السريري، يشعر بأنه يخرجُ من جسده ، فتمضي " روحُهُ " وتندرج عندئذٍ في نفق يتألق في نهايته نورٌ يفوق المعتاد، ففي مكانٍ من سلام وجمال ، يستقبلُ هذه الروح كائنٌ من ضياء ، يكشف لها كلَّ ما جرى لها من حوادث طوال حياتها . لكنّ هذه الروح تعود ، آسفةً ، إلى داخل جسدها ويستعيد الإنسان وعيهُ .

هو ذا كتاب يُربك القارىء لكنه يحرِّزهُ من كل خشيةٍ وخوف .

المؤلف : د. ريمون مودي : طبيب ودكتور في الفلسفة . وخلال أكثر من عشرين عاماً قام بجمع شهادات أناس قد عاشوا الـ .N.D.E* واوحت له أعماله موضوع هذا الكتاب (الحياة بعد الحياة) الذي أصبح مرجعاً حول " ما بعد الحياة " ، وقد ألّف أيضاً : (أضواء جديدة حول الحياة ما بعد الحياة) و (رحلات في صنوف سابقةٍ من الحياة) - دار النشر : " قرات " .

* Near Death Experiences. N.D.E :تجارب عند تخوم الموت وجواره .



